


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٥ - المحرم ١٤٢٧هـ - فبراير ٢٠٠٦م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 355 - Feb.2006

- كراكوف البولندية ودورها الحضاري
- الأراضي المقدسة بين اعتداءات الصليبيين وأطماع الصهاينة
- العقير: تاريخ وسياحة

الصناعة الدوائية تدعم الصناعة العلمية







لتزام بالإمتياز ...

التزام بجودة صحية عالية ...

التزام تجاه العملاء ...

RIYADH PHARMA الرياض فارما

ص. ب ٤٤٢ - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية هاتف ٤٦٥٥٠٧٥ (١ ٩٦٦ +) فاكس ٤٦٤٤٢٨٣ (١ ٩٦٦ +)

P.O. Box 442 Riyadh 11411 Saudi Arabia Telephone : +966 1 4655075 Fax : +966 1 4644283





مجلة ثقافية شهرية. العدد ٣٥٥. المحرم ١٤٢٧هـ. فبراير ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 355 -Feb.2006

## ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هنالك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكُتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كُتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

## السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠, ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

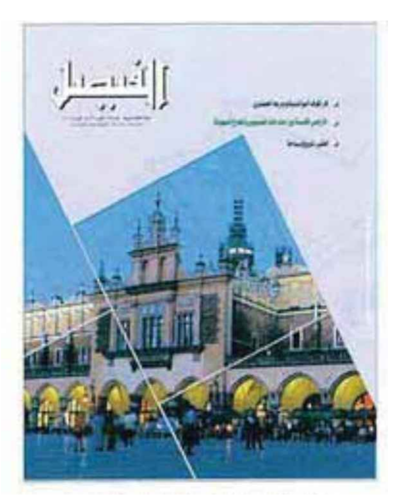
## الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٠٠٩٦٣. تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦. قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢. البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٢١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١. الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥. المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٣٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧









مدينة كراكوف ودورها في التاريخ

كراكوف مدينة بولندية عريقة يعود بداية الاستيطان البشري فيها إلى خمسة آلاف قرن، وتتميز بموقعها الجغرافي على مفترق طرق تجارية عابرة للقارات. وشهدت المدينة فترات ازدهار، وكانت أحد أهم مراكز الإشعاع في أوربا. فماذا يقول التاريخ عنها، وعما قامت به من دور حضاري؟


### إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

### هيئة التحرير:

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضيط

حوى النبي علي صالح

### الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار



### المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١


### الاشتراك السنوي

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.


### الإعلانات

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨




تحيات حارة من الهند

أولاً: أعبر عن إعجابي بكل ما ينشر على صفحات المجلة، فأحمد الله الذي أتاح لي بفضله فرص الاطلاع على مجلتنا الغراء منذ ثلاثة أعوام. إنها حقًا قد سقتني. كما سقت كثيرين من زملائي في الكلية. من مورد ديني عربي شراب العلم النافع في أنواع متنوعة ولا تزال. فها أنا ذا أتمنى لكم من أعماق قلبي دوام الاستمرار وتمام النجاح.

ثانيًا: أقف وقوف متعجب أمام شدة اهتمامكم بقرّائكم، فإن هذه الصفحة التي يُزيِّن بها صدر المجلة ليست إلا أدلَّ دليل يُبرز مدى هذا الاهتمام. ولكني مع هذا الإعجاب والدهشة أسأل نفسي. مع أني على قمة الوثوق بأنكم تقومون دائمًا بمسؤولية نقل الوعي الديني والثقافي في شتى أنحاء العالم إلى العالم الإسلامي. لم لا تأتي المجلة إلى بلادنا الهند العزيزة، وتتحدث عن أحوالها، والحركات الصحوية والأنشطة الدينية فيها. والله الموفق وهو المستعان.

ختامًا تقبلوا مني فائق الاحترام، وأحر التحيات.

أخوكم في الله مصطفى محمد

كلية الشيخ أبو بكر - مركز التربية الإسلامية

كوتيبرم - كيرلا - الهند

التحرير:

نشكر لك هذه الرسالة الرقيقة، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن أمثالك من الإخوة القراء، وأن تكون خطوات التطوير مرضية لهم جميعًا، وسؤالك عن حضور المجلة في الهند، والاهتمام بما فيها من انشطة يجعلنا نطلب منك أن تعمل جهدك لإعداد استطلاع مصور عن كيرلا، وتاريخها، والوجود الإسلامي بها، مع تزويدنا بصور جيدة، ونحن على استعداد لنشر الموضوع في أقرب عدد.

لماذا الغياب؟!

لقد اطلعت أخيرًا على بعض أعداد مجلة «الفيصل» الثقافية بعد أن تهيأت لي الظروف لأداء فريضة الحج، ولله الحمد، وكنت ظننت أن المجلة توقفت عن الصدور بعد أن طال غيابها عن رفوف مكتبات السودان، وكنت أطلبها من العاصمة، إذ كانت لا تصل إلينا في الولاية الشمالية.

وعندما وجدت عددًا في مكة المكرمة تلقفته بشوق شديد، وبعد أداء الحج تلمست الوسائل للحصول على أعداد سابقة، ونلت رغبتي عندما وجدت صديقًا لي يحتفظ بأعداد متفرقة من المجلة، فقرأت كثيرًا من موضوعاتها بنهم شديد، والحمد لله أن وجدت «الفيصل» تحافظ على مستواها المعهود، بل أشعر بما طرأ عليها من تطور تحريرًا وإخراجًا، في ظل ظروف ثقافية قاسية بعد أن سيطرت ثقافة الصورة على العقول، ولم يعد هناك وقت للاطلاع على المجلات

الثقافية، مما جعلها تجارة خاسرة، وأخشى أن يكون هذا من أسباب غياب «الفيصل» عن السودان، ولكن بما عودتمونا من أريحية آمل أن أطالع «الفيصل» في السودان بعد أن طال الشوق إليها، وهي بالنسبة إلى الكثيرين من أبناء الريف في منزلة الكتاب الذي يعز على أغلبنا شراؤه بعد أن ارتفع ثمنه.

أرجو الا اكون مثقلاً عليكم بطلبي هذا، ولكن كما يقولون في بلادي: «من باب العشم».

وتقبلوا وافر تحياتي

إبراهيم محمد شايقي

الولاية الشمالية ـ السودان

محافظة وادي حلفا

التحرير:

نشكر لك حرصك على اقتناء المجلة، ونأسف للظروف التي حالت دون وصولها إلى السودان الشقيق، ونبذل جهدًا كبيرًا لتجاوز هذه الظروف لحرصنا على الوصول إلى القارئ أينما كان، ونكرر لك التحية والتقدير على هذا التواصل الحميم مع مجلتكم.

### تنويه

ننوه بأن موضوع «المافيا: تقاليد وثورة» الذي نشر في العدد ٣٥٤، ذو الحجة ١٤٢٦هـ ـ الموافق يناير ٢٠٠٦م، وكان الموضوع الرئيس فيه قامت بإعداده الأستاذة الباحثة غابرييلا كانجيلوزي، وترجمه الأستاذ محمود كيلاني مراسلنا في إيطاليا. وجاء خطأ أن الباحثة من روما، بينما الصحيح أنها من بالرمو وهي موطن المافيا، حيث ظهرت أول مرة كلمة المافيا في وثيقة تعود إلى عام ١٩٥٨م لذا لزم التنويه والاعتذار للأستاذة الباحثة، وللإخوة القراء الكرام.

## ردود سريعة

### الأخت نداء محمد شريف ـ الرياض ـ السعودية:

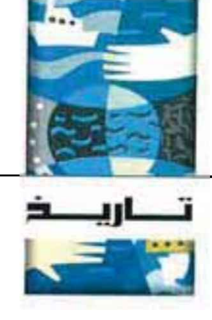
إن الخاطرة التي عبرت بها عن مشاعرك تجاه صديقتك تدل على أن لديك ملكة أدبية، وقدرة عالية على التعبير، ولكن عليك التخلص من لزوم السجع، لتتركي لنفسك المجال لتعبير أعمق بدلاً من هذا القيد الذي يكبل أسلوبك. ويتطلب اكتساب القدرة على التعبير المداومة على القراءة الحرة في مختلف المجالات، ولعل أسلوبك يوحي بميلك إلى الأدب، ومن ثم عليك قراءة القصص والروايات الهادفة، ولكن أهم معين على امتلاك اللغة السليمة هو القرآن الكريم الذي يهذب الفكر، ويعين على تجويد اللغة، وامتلاك ناصيتها.

### الأخ أبو بكر بن قاسم ـ غانا:

نشكر لك هذا الحرص على اقتناء المجلة، ونتمنى أن تشارك بالكتابة، علمًا بأن المجلة نشر فيها كثير من المواد عن غانا، وارتباطها بالحضارة العربية الإسلامية، وعن بعض أعلامها، ونفيدك أن الاشتراك يضمن وصول العدد إلى القارئ الكريم في أي مكان من غير أي صعوبة، وهذا ما ننصح به لمن يحرصون على اقتناء المجلة بصورة دورية، ونأمل أن نلبي رغبتك في القريب.

### الأخ حسن شحاتة ـ القاهرة ـ مصر:

التعريف بالأعلام في كل مجال من أهداف المجلة، ويسعدنا أن نتلقى حوارات مع المفكرين والمثقفين على أن تكون على مستوى عال، يحقق طموح المجلة في التميز، وتقديم مادة جيدة الإعداد لقرائها، وعمومًا تخضع المواد جميعًا للتحكيم، ووفقًا لذلك يقرر مدى صلاحيتها للنشر.




# الأراضي المقدسة بين اعتداءات الصليبيين وأطماع الصهاينة

سمير عطا

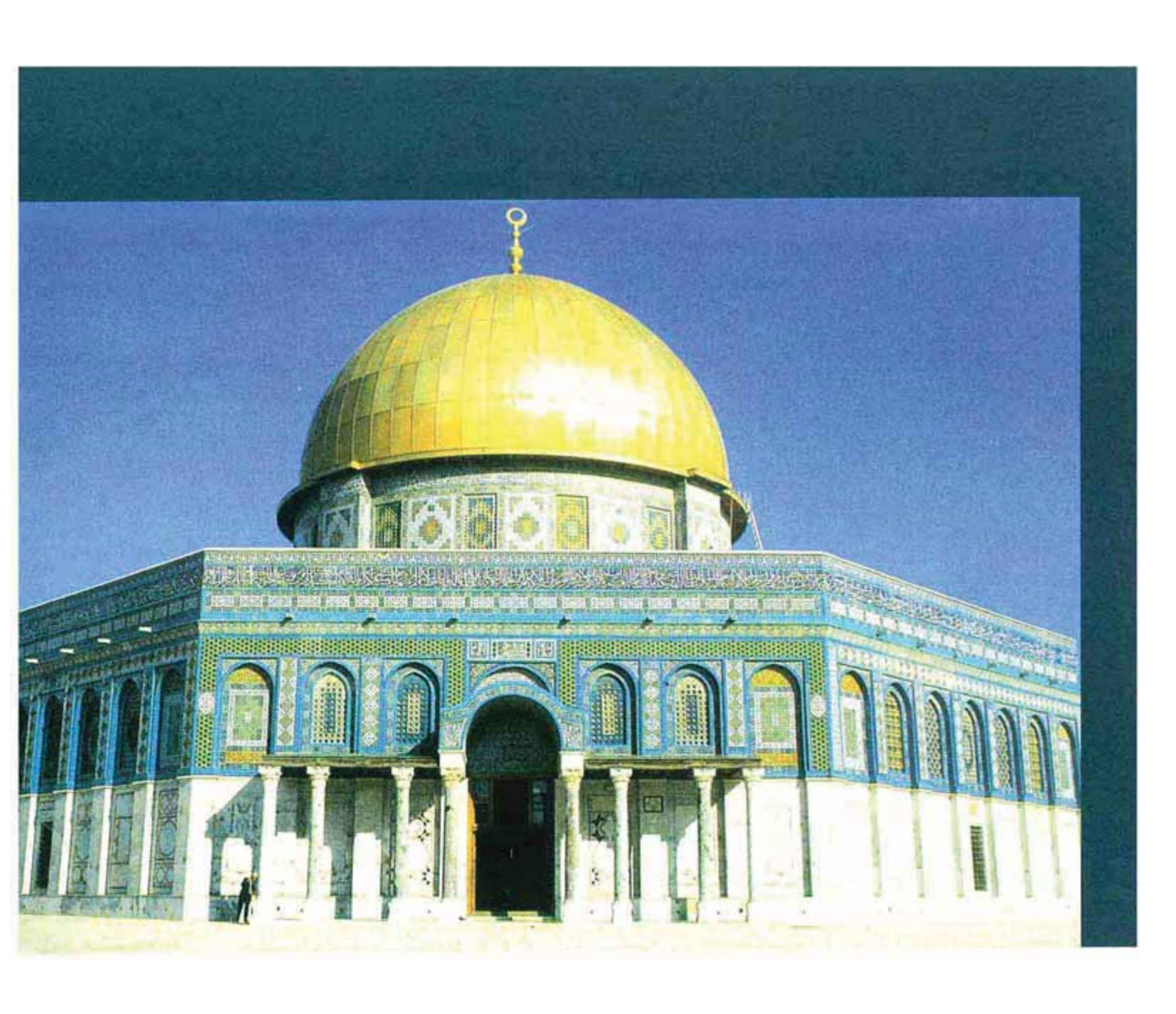
القاهرة ـ مصر

شطحت بأرناط ـ الأمير الصليبي المتهور والمتعجرف ـ في عام ١١٨٢م / ٥٧٨هـ أن يضرب ضربته القاصمة في خضم اعتداءات الصليبيين على البلاد الإسلامية بأن يغزو الإسلام في عقر داره بالاستيلاء على مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

هذه الحملة الصليبية لم توفها المراجع العربية المعاصرة أو اللاحقة حقها، وإن أشار إليها بعض المؤرخين مثل ابي الفدا، وابن جبير. أما المؤرخ الفرنسي أرنولد الذي عاصر تلك الحملة الهوجا فقد أرخ لها بتفصيل اكثر، ونقل عنه الدكتور عبدالرحمن زكي في مقال وافر باسم «يوم مشهود في تاريخنا الإسلامي» (١) كما أشار إليها بشيء من التفصيل من وجهة النظر الصليبية القس والمؤرخ والرحالة الصليبي وليم الصوري (٢).

وارناط هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون العرب على رينولد دي شاتيون Reynauld de Chatillon، وهو واحد من الأمراء الفرنسيين الذين نكبت بهم بلاد الإسلام أيام الحروب الصليبية ومن أسوئهم وأطولهم مدى في اعتداءات الصليبيين على المسلمين. فمن هو هذا الأمير المتهور المتعجرف؟. وكيف واتته هذه الفكرة المجنونة؟

كان الصليبيون قد أثبتوا أقدامهم في «انطاكية» عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ، ثم القدس في العام التالي، وأقام الأمير الصليبي جود فري دي بويون Goderfray de Bouillon



نفسه أميرًا عليها، ولم يمض عام حتى توفي هذا الأمير، وخلفه أخوه بلدوين الذي سار على دربه في الاعتداء المستمر على الأراضي العربية منتهزًا فرصة الانقسام السائد بين أمراء البلاد العربية وحكامها قبل ظهور صلاح الدين الأيوبي.

وبلغ من سعة مملكة بيت المقدس أنها كانت تمتد من بيروت شمالاً حتى العريش في مصر جنوبيًا.. وضمت كل أراضي مملكة «أيدوم» القديمة من جنوب «البحر الميت» إلى رأس خليج العقبة، الذي يسيطر عليه ثغر أيلة.. ثم امتد سلطانها إلى شرق الأردن لتضم أراضي مملكة مؤاب القديمة، ومن بينها مدينة البتراء. ولزيادة إحكام سيطرة الصليبيين على هذه الأراضي، فقد قاموا بتشييد الكثير من القلاع والحصون، مثل قلعة الكرك التي أدّت دورًا كبيرًا في الصراع الصليبي الإسلامي. وقلعة جبل الشراة والشوبك (٣)، والبتراء(٤)، وغيرها؛ لتكون قواعد ينطلقون منها للإغارة على بلاد المسلمين، كما يحتمون بها ضد أي هجمات مضادة لهم، كما مكنهم ذلك من قطع طرق القوافل التجارية، وقوافل الحجاج المتجهة من


رسم متخيل للقائد صلاح الدين مع قائدين من قواد جيشه

الشام ومصر إلى الحجاز، فضلاً عن بدء تحرشهم بالسفن الإسلامية العاملة في البحر الأحمر، ولا سيما بعد استيلائهم على القلعة المواجهة لثغر أيلة على جزيرة القرية (٥) وظلت في أيديهم ما يقرب من خمسين عامًا حتى استردها منهم صلاح الدين.

في هذا الوقت ولد رينولد في بلدة شاتيون بفرنسا، ومن هنا جاء اسمه دي شاتيون، وحارب تحت قيادة لويس السابع - ملك فرنسا - وهو ما زال صبيًا، كما اشترك عام ١١٥٣م (٥٤٨هـ) في حصار عسقلان. وعندما قتل زميوند - أمير أنطاكية الصليبي - في قتال مع قوات نور الدين محمود بن زنكي قامت بالحكم في أنطاكية زوجته كونستانس؛ وصية على ابنها الصغير. ولما كانت كونستانس شابة صغيرة جميلة فقد تسارع فرسان الصليبيين على الزواج بها، ومنهم رينولد دي شاتيون الذي عرف بجرأته في ذلك الوقت؛ وذلك لانتسابه إلى أسرة من أعرق الأسر الفرنسية، ولأنه تعهد لها بالانتقام من نور الدين محمود. ولكي يقوي نفسه، ويثري إمارته قبل مواجهة نور الدين، فقد رسم خطة طموحًا تقضي بالاستيلاء أولاً على جزيرة قبرص وانتزاعها من يد القوات البيزنطية الحاكمة بها. وعبر البحر على متن عدد قليل من السفن، وهاجم الجزيرة على حين غفلة، ودمّر الكثير من بيوتها وكنائسها بعد أن نهبها، وأحدث كثيرًا من المذابح والانتهاكات الأخلاقية ضد سكانها ورهبانها، وعاد بقواته إلى أنطاكية محملاً بكثير من الغنائم والأموال التي لم يهنأ بها كثيرًا، وهو يستعد لقتال نور الدين محمود، فقد قوبل بسيل من قوات الإمبراطور البيزنطي تزحف على أنطاكية تحت قيادة الإمبراطور نفسه، وتحاصرها حتى كاد أهلها يشرفون على الهلاك؛ وهذا ما دفع رينولد إلى أن يخرج إلى الإمبراطور مستسلمًا ذليلاً، يطلب العفو منه، فقبل الإمبراطور توسله على شرط أن تصبح أنطاكية خاضعة لسلطة الإمبراطور، ولم يكن أمام رينولد وكونستانس إلا أن يخضعا لشرط الإمبراطور.

وما كاد الإمبراطور يعود إلى بيزنطة حتى عاود رينولد أمله في مواجهة نور الدين محمود، فقام بعدة غارات على أراضي المسلمين المجاورة للسلب والنهب، لكن نور الدين لم يدعه يهنأ بما يغنمه من هذه الإغارات حيث

ففاجأته قوات مجد الدين بن الداية . أحد قواد نور الدين . عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ، وأسرته، وألقت به في السجن بحلب حتى أطلق سراحه بعد ستة عشر عامًا بعد دفع الفدية، وعاد أرناط إلى أنطاكية ليرى كونستانس وقد تزوجت من فارس صليبي آخر، فلجأ إلى حصن الكرك، وكان تحت إمرة امرأة فرنسية مات عنها زوجها، فتزوجها أرناط، ومن ثم أصبح هو الحاكم الفعلي لحصن الكرك، وهو ذو موقع مهم يمكنه من قطع طرق التجارة، وقوافل الحجاج، وهنا طمع به خياله إلى غزو مكة المكرمة والمدينة المنورة. في ذلك الوقت كان نور الدين محمود قد توفي، وظهر صلاح الدين على مسرح الأحداث وآل على نفسه أن يقود العالم العربي لمواجهة هجمات الصليبيين بعد أن قضى على الدولة الفاطمية المتآكلة آنذاك في مصر والشام والحجاز، وكان أرناط في الوقت نفسه يثبت سلطانه، ويوسعه حتى وصل إلى رأس خليج العقبة، مثلما كان الأمر على عهد بلدوين، وعندما واجهته قوات صلاح الدين خانها حظها في معركة الرملة عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ.

## أرناط ينقض الهدنة

انتهى الأمر بعقد هدنة بين الطرفين، وسرعان ما نقضها أرناط، ذلك أنه انتهز هذه الهدنة، وابتنى أسطولاً صغيرًا أعده من غابات إقليم الكرك عام ١١٨١م/٥٧٧هـ، وساعده أهالي عسقلان الصليبيون على ذلك، ونقل سفن هذا الأسطول مفككة على ظهور الجمال إلى البحر الأحمر، وقام بإغارة مفاجئة على تيماء، ثم عاد إلى حصن الكرك بعد ذلك محملاً بالغنائم، وكثير من الأسرى من الرجال والنساء. وقد أغرته هذه الغارة بمحاولة أخرى للوثوب على المدينة المنورة، وأرسل رجالاً لدخول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإخراج جسده الشريف من القبر (٦)، غير أن أمير حلب فروخ شاه كان قد أسرع، وقطع الطريق على قوات أرناط، ولم يمكنهم من تحقيق هدفهم، كما أن ملك القدس الصليبي قد عارضه؛ (أي: عارض أرناط) في تلك الغارة، وغضب منه لإدراكه أن مثل هذه المحاولات سوف تقلب عليها كل القوات العربية والإسلامية، وهو ما لم يهتم، أو يعبأ به أرناط، وظل يحلم باليوم الذي يعاود فيه الهجوم والاستيلاء على مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ولم يمض عام واحد حتى اكتملت لديه النية لتنفيذ حلمه عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ، فأعاد تقوية أسطوله، وقاد بنفسه سفينتين حربيتين لمهاجمة جزر خليج العقبة تأمينًا لباقي أسطوله المتجه جنوبًا الذي كلف بعمل غارات متواصلة حتى وصلوا إلى عيذاب على الساحل الغربي للبحر الأحمر في مصر . فنهبوها، واستولوا على عدد من السفن كانت متجهة إلى اليمن والحجاز، فضلاً عن ست عشرة سفينة أخرى كانت راسية في الميناء، وواصلت سفن أرناط عبثها في البحر الأحمر، حتى وصلت إلى الحوراء شمال ينبع وإلى رابغ شمال جدة، وبعد ذلك حتى ثغر عدن في مدخل البحر الأحمر جنوبًا.

لم يصل هذا العبث، وهذه الإغارات إلى حد المعارك الحربية المتعارف عليها، ولم تخرج عن كونها أعمال قرصنة حتى قام أرناط أخيرًا بتسيير قواته إلى تبوك لقطع خطوط الإمداد بين الشام وأيلة على حين اتجهت قوات أخرى عبر الصحراء قاصدة المدينة المنورة، حتى أصبحوا على مقربة منها. كان صلاح الدين في ذلك الوقت يجاهد منازل الموصل، فلما بلغته هذه الأخبار السيئة أرسل إلى أخيه الملك العادل (نائبه في مصر) بأن يجابه هذه الحملات الصليبية على الأراضي المقدسة فسارع الملك العادل بإنشاء أسطول في دمياط والإسكندرية، وأمر حسام الدين لؤلؤًا قائد الأسطول

بحمل هذه السفن مفككة إلى بحر «القلزم - السويس». وتعميرها بالرجال وكان معظمهم من رجال البحار من أهل تونس والجزائر، كما عهد الملك العادل إلى حسام الدين لؤلؤ بالرد على الصليبيين، وطردهم من البحر الأحمر.

قسم حسام الدين أسطوله قسمين: قسم اتجه بمراكبه إلى جزيرة أيلة سالكًا طريق رأس محمد جنوب

منهم، لكنهم لم يعثروا هناك على الصليبيين.

## لؤلؤ يأسر الصليبيين

واستمرت العمليات البحرية في البحر الأحمر نحوًا من شهرين، وأخيرًا اتجهت السفن بقيادة حسام الدين إلى رابغ حيث أُدرك الأعداء معتصمين بساحل الحوراء..



قلعة البتراء



بقايا قلعة كرك

سيناء وانقض على المرابطين فيها من الصليبيين انقضاض الجوارح، وقذفهم بسهامه القاتلة، فأخذت مراكب العدو برمتها، وقتل أكثر رجالها إلا من تعلق بهضبة، أو اختفى في كهف أو مركب أو وكر.. حتى هؤلاء كتب عليهم الموت، ولم ينج منهم إلا من وقع في الأسر.. أما القسم الآخر من الأسطول فقصد أولاً عيذاب، وتمكن رجاله من إطلاق أسرى المسلمين، وردّ ما سلب

وحينما رآهم الصليبيون أسرعوا إلى الالتجاء إلى رأس جبل محاولين الاحتماء به غير أن المسلمين ظلوا وراءهم حتى قضوا عليهم جميعًا (٧).

صادف ذلك أشهر الحج، وكان قد وقع عدد من الصليبيون أسرى في يد قوات حسام الدين لؤلؤ، وهم على مقربة يوم واحد من المدينة، فساق حسام الدين منهم أسيرين إلى منى حيث ذبحا هناك أمام أعين



كولمبس يشرح للملكة إليزابيث تفاصيل رحلته

المهللين والمكبرين، أما الباقون فسيقوا إلى القاهرة، وهم مقيدون بالسلاسل، وطيف بهم في شوارع القاهرة وسط تهليل الناس وهتافاتهم. ومن القاهرة طيف بهم في شوارع الإسكندرية في ١٦ أبريل عام ١١٨٣م/ ٥ ذي الحجة ٥٧٨هـ) وتصادف وجود الرحالة ابن جبير بها الذي ضمّن رحلته الشهيرة وصفًا مقتضبًا لهذه الوقائع فقال (٨): «لما حللنا الإسكندرية.. عاينا مجتمعًا من الناس عظيمًا بروزًا لمعاينة أسرى الروم الذين أدخلوا راكبين على الجمال.. ووجوههم إلى أذنابها، وحولهم الطبول والأبواق، فسألنا عن قصتهم فأخبرنا بأمر تتفطر له الأكباد إشفاقًا وجزعًا، وذلك أن جملة من نصارى الشام اجتمعوا، وأنشئوا مراكب في أقرب المواضع التي لهم من بحر القلزم (البحر الأحمر) ثم حملوا أنقاضها على جمال.. فلما وصلوا بساحل البحر سمّروا مراكبهم، وأكملوا إنشاءها وتأليفها، ودفعوها في البحر، وركبوها قاطعين بالحجاج، وانتهوا إلى بحر النعم، فأحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبًا، وانتهوا إلى عيذاب فأخذوا فيها مركبًا كان يأتي بالحجاج من جدة، وأخذوا أيضًا في البر قافلة كبيرة تأتي من قوص (في صعيد مصر) إلى عيذاب وقتلوا الجميع، ولم يحيوا أحدًا، وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل، كانت معدة لميرة مكة المكرمة والمدينة المنورة أعزهما الله، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في الإسلام، ولا انتهى رومي إلى ذلك الموضع قط».. ثم يضيف ابن جبير: «ومن أعظمها حادثة تسد المسامع شناعة وبشاعة؛ وذلك أنهم كانوا عازمين على دخول

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإخراجه من الضريح المقدس. أشاعوا ذلك، وأجروا ذكره على ألسنتهم فأخذهم الله باجترائهم، عليه وتعاطيهم ما تحول عناية بينهم وبينه. ولم يكن بينهم وبين المدينة أكثر من مسيرة يوم. فدفع الله عاديتهم بمراكب عمرت من مصر والإسكندرية دخل فيها الحاجب المعروف بـ «لؤلؤ» في قصيدة عصماء منها:

قلت بعد التكبير لما تبدى
هكذا هكذا يكون الجهاد
جعفر لؤلؤ يصيد الأعادي
وسواء من اللآلي يصاد

تحطمت آمال أرناط بعدما تطهر البحر الأحمر من



مآذن القاهرة القديمة



الحرم النبوي بالمدينة المنورة

مع أنجاد المغاربة البحريين، فلحقوا العدو وهو قد قارب النجاة بنفسه، فأخذوهم عن آخرهم، وكانت آية من آيات المنايات الجبارية، وأدركوهم عن مدة طويلة كانت بينهم من الزمان نيّف على شهر ونصف أو حوله، وقتلوا، وأسروا وفرق من الأسارى على البلاد ليقتلوا بها، ووجه منهم إلى مكة والمدينة».

ويصف الشاعر الذروي (٩) هذا الحادث الجلل رجس أعماله، وكانت الخلافات قد ازدادت بين أمراء الصليبيين، فطلبوا . وعلى رأسهم «جي لوزينيان Gui de lusignan . كونت يافا وملك الفرنجة ١١٨٦م/ ٥٨٢هـ . الهدنة مع المسلمين، وأجابهم صلاح الدين لذلك، لكن لوزينيان كان رجلاً ضعيفًا(١٠) غير مسموع الكلمة لدى كثير من الأمراء، وعلى رأسهم أرناط، الذي سارع إلى نقض الهدنة، وانقض على قافلة من المسلمين قادمة من

خطمت آمال أرناط بعدما تطهر البحر الأحمر من رجس أعماله. وكانت الخلافات قد ازدادت بين أمراء الصليبيين. فطلبوا – وعلى رأسهم جي لوزينيان – كونت يافا وملك الفرنجة ١١٨٦م/ ٥٨٢هـ – الهدنة مع المسلمين. وأجابهم صلاح الدين

القاهرة إلى دمشق عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ مارة بالقرب من حصن الكرك فنهبها، وقتل الكثير من رجالها، وأسر الباقين من رجال ونساء، وقيل: إن أخت صلاح الدين كانت بين الأسرى. وقف ارناط بين الأسرى.. صائحًا في زهو: ما دمتم تعتقدون في محمد فادعوه الآن لفك أسراكم ويخلصكم مما أنتم فيه.

صدم صلاح الدين مما حدث، وتبين له عجز لوزنيان عن السيطرة على أمراء الصليبيين، واحترام الهدنة، وإجبار أرناط على رد الأسرى المسلمين، فقام على الفور بتعبئة شاملة لقواته(١١) من مصر وحلب والجزيرة وديار بكر، وخرج على رأسها من دمشق في مارس عام ١١٨٧م/ المحرم سنة ٥٨٢هـ فهاجم حصن الكرك معقل

دالت دولة الصليبيين. وحلّ محلّها دولة الصهاينة في العصر الحديث. وأعينهم لا تني عن التطلع إلى الأراضي المقدسة: تحركهم أطماعهم وادعاءاتهم بأن شمال الحجاز أيضًا. بالإضافة إلى فلسطين والأرض الواقعة من النيل إلى الفرات كان سكنًا لهم قبل الإسلام

أرناط والشوبك، وأوقع بالصليبيين خسائر فادحة، وبهذا انتهت الهدنة بين المسلمين والصليبيين، فحاول الصليبيون توحيد صفوفهم في الإمارات المختلفة، وتناسي ما بينهم من خلافات، وحشدوا قواتهم عند صفورية، ورأى صلاح الدين بمفهوم عسكري رائع أن يستدرج الصليبيين إلى حيث يعسكر، فيصلوا إليهم منهوكي القوى من شدة حرارة الجو، وطول الطريق، وقلة الماء، ومن ثم بادر بمهاجمة مدينة طبرية وهي في أيدي الصليبيين وأحرقها مما زاد في استفزازهم وإثارتهم، فسعوا إليه مع طول الطريق وأخطاره، بينما هو وجنوده ينعمون بالماء والغذاء قرب طبرية في انتظار قدوم الصليبيين إليهم وعندما اقترب زحف الصليبيين تقدم صلاح الدين بقواته إلى مكان قرب قرية حطين حيث دارت معركة حطين الشهيرة في التاريخ الإسلامي والصليبي في يوليو عام ١١٨٧م/ جمادى الأولى سنة ٥٨٢هـ التي ألحق فيها صلاح الدين بالصليبيين هزيمة منكرة، ووقع كثير من أمراء الصليبيين اسرى بين يديه، منهم جو لوزينيان - كونت يافا، وملك الفرنجة (ملك بيت المقدس): وجود فري، وأرناط، وغيرهم.. ودعا صلاح الدين ملك بيت القدس وارناط إلى خيمته، وأجلس الملك بجانبه.. ولما أعلمه بعطشه أمر فجيء له بماء مثلوج، فشرب منه، وأعطى الملك ما تبقى منه لـ «أرناط» فصاح صلاح الدين، وقال للمترجم: «قل للملك ما سقيته أنا، ولكنك أنت الذي سقيته» قاصدًا بذلك أن ارناط لم يصبح آمنًا بعد أن شرب من ماء صلاح الدين، ثم قام صلاح الدين وأنّب ارناط على تنكيله بقوافل المسلمين، وتطاوله على مقام النبوة، وقال: ها أنا انتصرت لمحمد. ثم هوى عليه بالسيف فأرداه قتيلاً. ارتعد ملك الفرنجة، وخاف أن يثني به، فأمنه صلاح الدين قائلاً: لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك أما هذا

فقد تجاوز حده، وسبّ نبينا صلى الله عليه وسلم فقدرنا لئن أظفرنا الله به لنقتلنه» (١٢).

بعدها واصل صلاح الدين هجماته على معاقل الصليبيين وممالكهم حتى تم له تحرير القدس في أكتوبر من العام نفسه، وتسارع الشعراء في مدح صلاح الدين وتهنئته، ومنها قصيدة الجواني نقيب الأشراف في الديار المصرية يقول فيها:

أترى منامًا ما بعيني أنظر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم في القيد مصفود ولم
ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي
هو في القيامة للأنام المحشر

ومن قصيدة لابن سناء الملك يصف ملوك الفرنج وهم وقوف بين يدي صلاح الدين:

وتصيدتهم بحلقة صيد
تجمع الليث والغزال الأغنّا
وجرت منهم الدماء بحارًا
وجرت فوقه الجزائر سفنا
وحوى الأسر كل ملك يظن الـ
دهر يفنى وملكه ليس يفنى

وفي قصيدة للشاعر السوري «ابن الساعاتي» يشير فيها إلى أثر تلك الموقعة في أمن مكة المكرمة والمدينة المنورة:

وحبا (مكة) الحسنى وثنّى (بيثرب)
وأطرب ذياك الضريح وما ضمّا (١٢)

### البرتغال وتطويق بلاد الإسلام

لم تمت النعرة الصليبية لدى الغرب، وما إن تخلص البرتغاليون من حكم العرب وأمنوا إغارة جيرانهم المسيحيين حتى واصلوا تلك الحروب الصليبية التي ألفوها، وقام الأمير هنري، الذي عرف في ما بعد بهنري الملاح، بالإغارة على الساحل المغربي، واستولى على سبتة (١٤)، وكانت معقل سلطان المغرب: وأول غرض كان يرمي إليه هو أن يبحر على شاطئ إفريقية الغربي ليتصل بملك الحبشة المسيحي الذي استفاضت الأخبار في أوربا عن عظمته (١٥) وقيل: إنه هو الشخصية الأسطورية برسترجون Prester John التي شاع ذكرها في الغرب، وذلك بقصد التحالف معه لتطويق بلاد الإسلام، وبذلك كان هنري آخر صليبي، وأول من أوحى بالكشوف الحديثة، وكان ساحل إفريقية الغربي معروفًا برأس بوجادور، وكان الاعتقاد السائد أن الساحل يدور بعده في شكل قوس عظيم حتى يصل إلى خليج عدن ثم بعده إلى الهند، وبالفعل وصل برثلميوديانز Barthlumio Diaz عام ١٤٨٧م/٨٩٣هـ إلى رأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب القارة الإفريقية، ولم تمض سنوات حتى سقطت غرناطة في يد الإسبان عام ١٤٩٢م/٨٩٨هـ، وقام كرستوفر كولومبوس في العام نفسه برحلته إلى العالم الجديد بقصد الوصول إلى الهند بالسير غربًا، فانتظر البرتغاليون النتيجة، فلما عاد كولومبوس من رحلته الثانية ظهر أن العقبات في الاتجاه الغربي أكثر مما يمكن أن يكون في الاتجاه شرقًا عن طريق جنوب إفريقية وبحر العرب، ووصل فاسكو

---

وقع عدد من الصليبيين أسرى في يد قوات حسام الدين لؤلؤ. فساق حسام الدين منهم أسيرين إلى منى حيث ذبحا هناك أمام أعين المهللين والمكبرين. أما الباقون فسيقوا إلى القاهرة، وهم مقيدون بالسلاسل، وطيف بهم في شوارع القاهرة وسط تهليل الناس وهتافاته

---

داجاما، Phasco da Gamma بالفعل إلى الهند واستولى البرتغاليون من بعده على موزمبيق «وكلوة»، وكانت تحت سلطان العرب. وحين أدرك السلطان الغوري خطر الوجود البرتغالي في المحيط الهندي، وبحر العرب، وشاطئ إفريقية الشرقي، وهذا ما يؤدي إلى إغلاق طرق الملاحة العربية بين الهند ومصر والشام عبر موانئ البحر الأحمر عدن وجدة وعيذاب، أسرع إلى التصدي للبرتغاليين، إلا أن البرتغاليين انتصروا عليه، واستولوا على بعض سفنه، فأعاد الغوري الكرة مستعينًا بحلفائه البنادقة (١٦)فانتصر المصريون والبنادقة أول الأمر عام ١٥٠٨م/٩٠٤هـ إلا أن البرتغاليين عادوا بقيادة ألميدا Almeida، ودمروا الأسطول المصري والبندقي في موقعة ديو Dew البحرية شمال بمباي بالهند، وبعد بضع سنين أخذ البوكير Albuquerque شيخ المستعمرين البرتغاليين ـ عدن، وهزم القوات المصرية في اليمن. وإذ ذاك أعد قانصوه الغوري أسطولاً جديدًا ليوقف توغل البرتغاليين في البحر الأحمر، غير أنه ووجه بكارثة أخرى، إذ غزا السلطان سليم الأول العثماني الشام، ثم اتجه إلى مصر؛ مما أفسح المجال للبرتغاليين أن يعيثوا فسادًا في البحر الأحمر. وبينما كان السلطان سليم يهاجم مصر، كان البرتغاليون يمطرون جدة بوابل من قنابلهم عام ١٥١٦م ـ١٥١٧م/ ٩٢٢ ـ ٩٢٣هـ. وحين استتب الأمر للعثمانيين في الشام ومصر والحجاز، واستطاعوا آخر الأمر طرد البرتغاليين من البحر الأحمر وتطهيره منهم بعد عدة مواجهات عام ١٥٢٦م/٩٣٣هـ و١٥٥١م / ٩٥٨هـ و ١٥٥٨م / ٩٦٥هـ.. ولزيادة تحقيق الأمن في البحر الأحمر حرصوا على تحصين ميناء جدة، وجعلوا جدة باشوية ألحقوا بها بعض الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر الإفريقي، وأطلقوا عليها اسم ولاية الجيش (١٧)، ثم أصبحت بعد ذلك إيالة جدة والحبش (١٨). وتم إنقاذ الأرض المقدسة من غارات البرتغاليين واعتداءاتهم.

فاسكو داجاما



## مغامرة أرض مدين

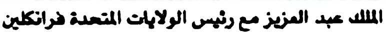
دالت دولة الصليبيين، وحلّ محلّها دولة الصهاينة في العصر الحديث، وأعينهم لا تني عن التطلع إلى الأراضي المقدسة: معقل الإسلام، ومهبط الوحي، تحركهم أطماعهم وادعاءاتهم من أن شمال الحجاز أيضًا بالإضافة إلى فلسطين والأرض الواقعة من النيل إلى الفرات كان سكنًا لهم قبل الإسلام، وأن المسلمين أخرجوهم منه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

في عام ١٨٩٧م/١٣١٥هـ انعقد المؤتمر الصهيوني الأول، وصدرت عنه عدة قرارات أهمها العمل على إنشاء



الملك عبد العزيز يستعرض حرس الشرف إلى جوار الملك فاروق





الملك عبد العزيز مع رئيس الولايات المتحدة فرانكلين

دولة يهودية في فلسطين تكون موطنًا لتجمع يهود العالم، وقبل المؤتمر وبعده كانت هناك عدة أطروحات عن إمكان إيجاد أماكن أخرى لإنشاء هذه الدولة مثل أوغندا، والأرجنتين، قبرص، والعريش، وأنجولا، وموزمبيق، والكونجو، والبحرين، والأحساء، وليبيا، ورودس، وسهول البقاع في لبنان، وشرق الأردن، وجنوب العراق، وهي أطروحات وأفكار لم يتم تنفيذ أي منها لأسباب كثيرة ومختلفة، أهمها معارضة الصهيونيين الذين يصرون على إقامة دولتهم في فلسطين التي أثير معها سؤال في أول الأمر. وهو إذا أقيمت دولة اليهود في فلسطين فهل هي فلسطين التاريخية فقط أم كل تلك الأراضي التي يدعون أنها حق لهم من النيل إلى الفرات، بما في ذلك شمال الحجاز؟ وسواء كانت فلسطين أو كل تلك الأراضي المتاخمة لها - وكلها تحت السيادة العثمانية - فقد تآمرت القوى الصهيونية مدعومة بالقوى الاستعمارية في ذلك الوقت، وعلى رأسها إنجلترا للضغط على السلطان العثماني بكل الوسائل بدءًا بما عرضه هرتزل مؤسس الصهيونية من أموال على السلطان. وهذا ما رفضه السلطان عبد الحميد بشدة، وكان سببًا إن لم يكن أهم سبب في رأيي للقضاء عليه، واتهامه بأنه السلطان

الأحمر. وعلى الرغم من أن شمال الحجاز كان تحت السيادة العثمانية إلا أنه كان من ناحية أخرى تحت الإدارة المصرية في ذلك الوقت لتأمين طرق الحج.

وقد عنّ لأحد الصهاينة المغامرين أن يبدأ من هذه المنطقة بمشروع إسرائيل الكبرى. تم ذلك في فبراير عام ١٨٩٢م/١٣١٠هـ، وقبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بخمس سنوات كشفت عن ذلك جريدة «المؤيد» المصرية الشهيرة في ذلك الوقت حين أشارت إلى وصول قوة يهودية إلى تلك المنطقة بقيادة يهودي اسمه فريدمان لاحتلالها.٠,٠,٠٠٠,٠

كان بول فريدمان Paul Friedman يهوديًا ينتمي إلى أسرة أحد أفرادها زعيم لطائفة يهودية في برلين (١٩)، وكان فريدمان يرى أن حل المشكلة اليهودية لن يتأتى إلا بنقل يهود أوربا إلى دولة يهودية خالصة ترعاها دولة غربية، ومن ثم سعى إلى البحث عن بلاد ضئيلة السكان لتكون بداية لدولة إسرائيل، واختار لهذا الغرض ما يسمى إقليم مدين الواقع شمال غرب الجزيرة العربية، والمتاخم لمدينة العقبة الأردنية، وعمل على الاتصال بالزعماء اليهود والحاخامات والشخصيات البارزة لتدعيم المشروع، كما تقرب إلى جمعية «قاديما»: أي: قادمون، والجمعية الأنجلويهودية وجمعية الأليانس في باريس وفيينا، وحاول استمالة البارون دي هيرش لتمويل

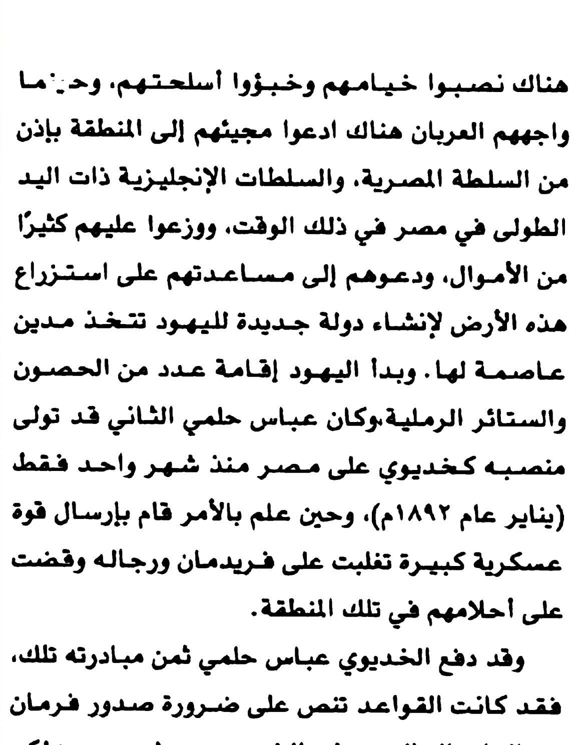
بلغ من سعة مملكة بيت المقدس أنها كانت تمتد من بيروت شمالاً حتى العريش في مصر جنوبًا.. وضمت كل أراضي مملكة "أيدوم" القديمة من جنوب "البحر الميت" إلى رأس خليج العقبة، الذي يسيطر عليه ثغر أيلة

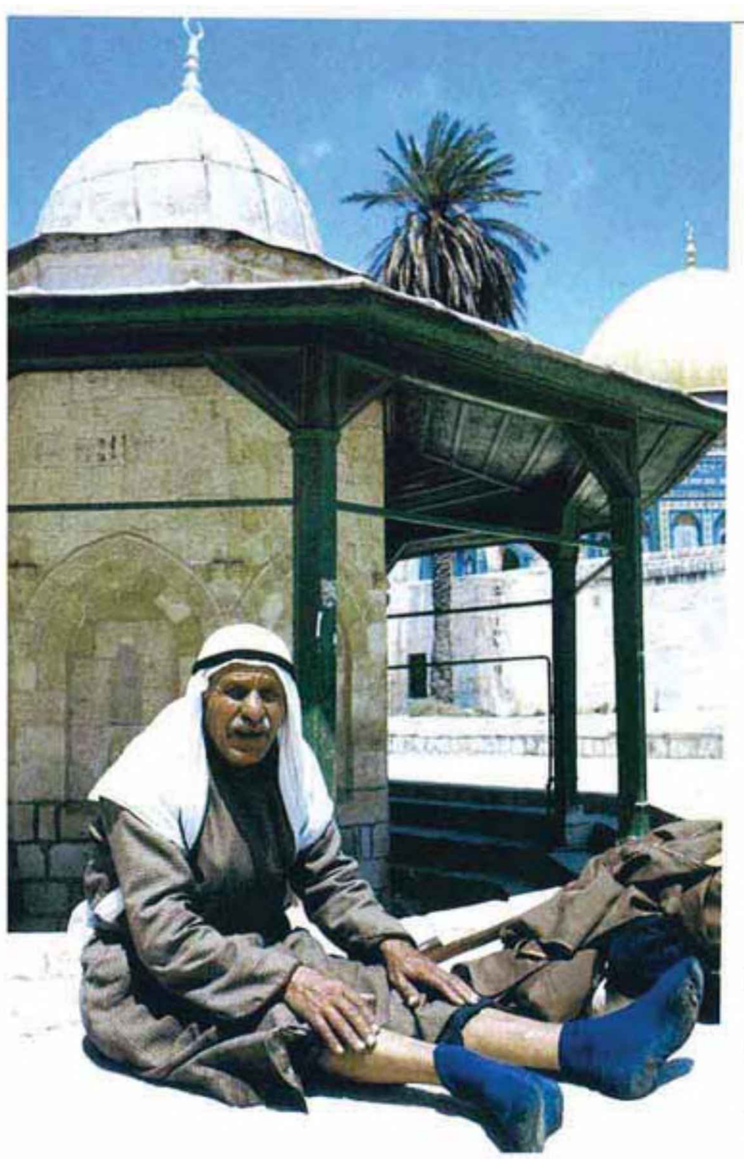
أرناط هو الاسم الذي أطلقه المؤرخون العرب على رينولد دي شاتيون، وهو واحد من الأمراء الفرنسيين الذين نكبت بهم بلاد الإسلام أيام الحروب الصليبية ومن أسوئهم وأطولهم مدى في اعتداءات الصليبيين على المسلمين

المشروع. ومن ناحية أخرى سعى إلى توفير مظلة دولية لمشروعه، فقابل اللورد كرومر في لندن عام ١٨٨٩م، وأكد له الأخير أن الحكومة البريطانية لن تعرقل خطواته.

وفي عام ١٨٩٠م قام بزيارة مصر لدراسة أوضاع أرض مدين، والحصول على موافقة الحكومة المصرية على المشروع؛ إذ كان الإقليم خاضعًا لإشراف حاكم مصري في السويس. وبعد عودته إلى برلين نشر عام ١٨٩١م كتيبًا بعنوان «أرض مدين» وصف فيه أحوال الإقليم واقتصادياته وطبيعة السكان والمناخ وعدد مزايا الاستيطان اليهودي في تلك الأرض التي زعم أنها كانت في الماضي جزءًا من المملكة اليهودية القديمة.

وعمل فريد مان على إرسال الكتيب إلى عدد من السياسيين ورجال الدولة في أوربا على ممارسة نفوذهم ليقنعوا أكبر عدد ممكن من اليهود بالهجرة إلى مدين. وفي الوقت نفسه بدأ جهوده العلمية لتحويل المشروع إلى واقع، فقام بتجنيد عدد من اليهود الروس في فرقة عسكرية لتكون نواة لجيش المستوطنين وابتاع يختًا بحريًا أطلق عليه اسم «إسرائيل»، وأبحر في نوفمبر مع المجندين المسلحين والمزودين بالبنادق، وعدد من المدافع والسيوف، وعبروا قناة السويس، ثم خليج السويس، ودارت الباخرة حول رأس محمد في جنوب سيناء، حتى شرم الشيخ ومنها إلى الساحل الشرقي لخليج العقبة،





هناك نصبوا خيامهم وخبؤوا أسلحتهم، وحينما واجههم العربان هناك ادعوا مجيئهم إلى المنطقة بإذن من السلطة المصرية، والسلطات الإنجليزية ذات اليد الطولى في مصر في ذلك الوقت، ووزعوا عليهم كثيرًا من الأموال، ودعوهم إلى مساعدتهم على استزراع هذه الأرض لإنشاء دولة جديدة لليهود تتخذ مدين عاصمة لها. وبدأ اليهود إقامة عدد من الحصون والستائر الرملية،وكان عباس حلمي الثاني قد تولى منصبه كخديوي على مصر منذ شهر واحد فقط (يناير عام ١٨٩٢م)، وحين علم بالأمر قام بإرسال قوة عسكرية كبيرة تغلبت على فريدمان ورجاله وقضت على أحلامهم في تلك المنطقة.

وقد دفع الخديوي عباس حلمي ثمن مبادرته تلك، فقد كانت القواعد تنص على ضرورة صدور فرمان من الباب العالي بتولي الخديوي عرش مصر؛ لكي تصبح توليته قانونية، ولم يكن الفرمان قد صدر بعد ومن ثم عدّ الباب العالي في إسطنبول الحركة التي قام بها الخديوي من تلقاء نفسه بإرسال قوة عسكرية إلى تلك المنطقة دون أخذ إذن منه خروجًا عن القواعد إذ إن سلطة مصر إدارية فقط، وهو موقف يتناقض مع مواقف السلطان المناهضة للخطط الصهيونية، ربما كان ذلك بخديعة إنجليزية أوصوا بها للسلطان، بل وأكثر من ذلك طلبت السلطة العثمانية من الخديوية المصرية التخلي عن إداراتها لتلك المنطقة، وإعادتها إلى السلطة، والإشراف العثماني، وهذا ما استجابت له الخديوية في مصر (٢٠).

وإذا كانت محاولة فريدمان قد لقيت انتقادات، وتعرضت لهجوم من قبل جهات صهيونية متعددة فإن هذه الانتقادات انصبت على شخص فريدمان نفسه، وعدم الاقتناع بشخصيته المتسلطة وإحساسه بجنون

قام صلاح الدين وأنّب أرناط على تنكيله بقوافل المسلمين، وتطاوله على مقام النبوة، وقال: ها أنا انتصرت لمحمد. ثم هوى عليه بالسيف فأرداه قتيلاً. ارتعد ملك الفرنجة، وخاف أن يثني به، فأمنه صلاح الدين قائلاً: لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك

العظمة، ولم تتعرض لعملية الاستيطان نفسها، أو لفكرة اغتصاب أرض يملكها الآخرون(٢١) سواء في فلسطين أو شمال الحجاز أو سيناء، ولم تبعد عن ذهنهم فكرة شراء شمال الحجاز على عهد الملك عبدالعزيز آل سعود.

### موقف الملك عبدالعزيز آل سعود

كان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله- من أكثر الحكام العرب تنديدًا بالمخططات الصهيونية، وإدراكا لخطرها، ولم تغب عنه محاولات الصهيونية الدائبة لاستقطاب الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة العظمى القادمة التي سوف تخلف بريطانيا في تأثيرها في مجرى السياسة الدولية، يعبر عن ذلك محتوى الكتاب الذي أرسله جلالته إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في ٧ شوال سنة ١٣٥٧هـ (٢٩يناير عام ١٩٣٨م) يلفت نظره إلى دعاوى اليهود الباطلة، وإلى ما يعمدون إليه من تضليل الشعب الأمريكي فيقول: «لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن موقف أمريكا أن قضية فلسطين نظر إليها من وجهة نظر واحدة هي وجهة نظر اليهود والصهيونية، وأهملت وجهة نظر العرب. وقد رأينا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة النطاق أن الشعب الأمريكي الديمقراطي قد ضلل ضلالاً أدى إلى اعتبار مناصرة اليهود على سحق العرب في فلسطين عملاً إنسانيًا، في حين أن مثل ذلك ظلم فاضح لشعب آمن مستوطن في بلاده».

وأشار إلى أن تصريح بلفور هو وعد أصدره من لا يملك لمن لا يستحق. وأهاب الملك بالرئيس الأمريكي أن يقف إلى جانب الحق في هذه القضية. وإبان الحرب العالمية الثانية دأبت الحكومتان الإنجليزية والأمريكية على خطب ود الحكّام العرب ظاهريًا ضمانًا لولائهم، ومما جاء في كتاب الرئيس الأمريكي موجهًا للملك عبدالعزيز في جمادى الأولى سنة ١٣٦٥هـ/ أبريل عام ١٩٤٥م: «أنه في مناسبات سابقة أبلغت جلالتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا الا يتخذ قرار في ما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد دون استشارة تامة لكل من العرب واليهود ...». هذا في الوقت الذي أصر فيه «تشرشل» رئيس الوزراء البريطاني على الاستجابة إلى طلب اليهود لتأليف فيلق يهودي والحاقه بالجيش البريطاني كوحدة مستقلة وجعلته القيادة البريطانية جزءًا من الجيش البريطاني في الحرب. وعاد روزفلت، بعد إعادة انتخابه رئيسًا للولايات المتحدة ، تأكيد تعهده لزعماء اليهود في أمريكا تأييده جعل فلسطين دولة يهودية.

وتحوي مذكرات الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين التي نشرتها مجلة «آخر ساعة» المصرية في سلسلة مقالات عام ١٩٧٣م إشارة إلى لقاء تم في فندق أوبرج الفيوم على شاطئ بحيرة قارون في مصر عام ١٩٤٥م بين كل من الملك عبدالعزيز والرئيس الأمريكي روزفلت، أثيرت فيه مسالة فلسطين والدولة اليهودية. وبعد أن عاد روزفلت يطمئن الملك إلى

---

في عام ١٨٩٧م/١٣١٥هـ انعقد المؤتمر الصهيوني الأول. وصدرت عنه عدة قرارات أهمها العمل على إنشاء دولة يهودية في فلسطين تكون موطنًا لتجمع يهود العالم. وقبل المؤتمر وبعده كانت هناك عدة أطروحات عن إمكان إيجاد أماكن أخرى لإنشاء هذه الدولة



بقايا قلعة شوبك

موقفه المتوازن من هذه القضية «عرض عليه أن يسمح لليهود باستيطان المنطقة الواقعة شمال الحجاز والمشتملة على أراضي خيبر وبني قريظة وبني النضير وبني قينقاع وتيماء ووادي القرى وأبلغه استعداد اليهود لدفع مبالغ عظيمة من المال لقاء ذلك» .. (٢٢).

وكان رد الملك عبدالعزيز على عرض روزفلت حاسمًا ومعبرًا عن الثورة الجارفة التي امتلأت بها نفسه عندما سمع هذا العرض من الرئيس الأمريكي روزفلت، واستنكره استنكارًا شديدًا، ورفضه رفضاً باتاً وقاطعاً.

كان السفير السعودي طاهر رضوان وقت ذاك عام ١٩٤٥م نائبًا لوكيل وزارة الخارجية السعودية؛ أي: أنه كان معاصرًا لهذا اللقاء الذي تم بين الملك عبدالعزيز والرئيس الأمريكي. وعندما نشرت مذكرات الحاج أمين الحسيني عام ١٩٧٣م متضمنة الإشارة إلى هذا اللقاء، وكان السفير طاهر رضوان ممثلاً للمملكة في الجامعة العربية، علق في حديث له مع مجلة «آخر ساعة» (٢٣)، مصححًا بعض ما جاء في هذه المذكرات خاصة بهذا اللقاء،إذ قال: إن اللقاء الذي تم في أوبرج الفيوم على

شاطئ بحيرة قارون كان بين الملك عبدالعزيز والمستر تشرشل، ومعه وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن، أما اللقاء مع الرئيس روزفلت المشار إليه في مذكرات الحاج أمين الحسيني فقد تم على ظهر الطراد الأمريكي كونيري الراسي في البحيرات المرة بوسط قناة السويس.

وطلبوا من الملك عبدالعزيز الموافقة على أن تعطى فلسطين لليهود، وأن يجلو العرب عنها، ويوطنوا في مكان آخر، وأن يكون توطينهم على حساب اليهود، وعلى اليهود أن يضعوا مبلغ عشرين مليون جنيه إسترليني لهذه الغاية.

فأجابهم الملك عبدالعزيز بأنني لا أوافق على ذلك، ولا أكون خائنًا لديني وبلادي.

وأيًا كان الأمر فإن هذه الوقائع التاريخية تؤكد استمرارية المحاولة التآمرية من جانب القوى الصهيونية والاستعمارية للتأثير في العاهل السعودي الكبير، وموقفه الحاسم والحازم من هذه المحاولات، كما تشير في الوقت نفسه إلى أن الصهيونية لم، ولن، تنفض عن فكرها أحلام التوسع والاستيلاء على أرض العرب تحقيقًا لأباطيل وادعاءات خلقتها عقولهم المأفونة، وأطماعهم السوداوية، تساعدهم على ذلك، وتقف من ورائهم قوات الاستعمار مهما تنوعت أشكالها وممارساتها.

وقام أرناط بإغارة مفاجئة على تيماء، ثم عاد إلى حصن الكرك بعد ذلك محملاً بالغنائم، وكثير من الأسرى من الرجال والنساء. وقد أغرته هذه الغارة بمحاولة أخرى للوثوب على المدينة المنورة، وأرسل رجالاً لدخول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإخراج جسده الشريف من القبر

## المراجع


١. مجلة «المجلة» المصرية، عدد ٢ فبراير ١٩٥٧م.
٢. في كتاب المعنون: «الحروب الصليبية»، ٤، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٥م.
٣. قلعة «مونتريال» في كتابات الغربيين.
٤. قلعة «مواز» أو «وادي موسى» في كتابات الغربيين.
٥. قلعة «صلاح الدين» في ما بعد.
٦. العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د عبدالمنعم ماجد، ص ١٧٠، مكتبة الجامعة العربية، بيروت.
٧. يوم مشهود في تاريخنا الإسلامي مجلة المجلة المصرية، د. عبدالرحمن زكي، فبراير ١٩٥٧م.
٨. رحلة ابن جبير، ص ٣١، دارالتراث بيروت.
٩. يوم مشهود في تاريخنا الإسلامي.
١٠. موسوعة معارك العرب، د. صالح زهر الدين، ج٢، ص ١٦٤، المركز الثقافي اللبناني ص ٢١٨، ج٤، «الحروب الصليبية»، ويليام الصوري ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٥م.
١١. موسوعة معارك العرب ص ١٦٥.
١٢. صلاح الدين بطل حطين، د. عبداللطيف حمزة، ص ١١٠، دار الفكر العربي، ١٩٥٩م والعلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، د. عبدالمنعم ماجد، ص ١٧٠.
١٣. الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، د. عبداللطيف حمزة، ص ٧٧، مكتبة النهضة، المصرية، وصلاح الدين بطل حطين، ص ١١٣.
١٤. استولى عليها الإسبان في ما بعد، وما زالوا يحكمونها حتى الآن.
١٥. معالم تاريخ أوربا الحديث، د. محمد رفعت ومحمد أحمد حسونة. المطبعة الأميرية بالقاهرة.
١٦. كانت إيطاليا آنذاك منقسمة إلى ممالك صغيرة، منها البندقية (فينيسيا) وجنوة ونابلي وروما وفلورنسة وبيدمونت، وغيرها وكانت البندقية أقوى هذه الممالك، ولها تحالفات مع دولة المماليك في مصر والشام والحجاز لمصالح تجارية.
١٧. سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، طارق غنيم ص ٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نقلاً عن رسالة ماجستير غير منشورة لمحمد عبدالحسين الحلبي عن «عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر ١٧٩٨-١٨٢٩م»، نوقشت بمعهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨م.
١٨. المصدر نفسه، ص ٦٩.
١٩. موسوعة: اليهود واليهودية والصهيونية: عبدالوهاب المسيري، ج٦، ص ٣٠٩، دار الشروق، القاهرة.
٢٠. مجلة الدبلوماسي، عدد ٦٥، ص ٨٥.
٢١. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص ٣١٠، ج٦، وما بعدها.
٢٢. نشير هنا فقط إلى العدد رقم ٢٠٠٩ الصادر في ٢٢ ربيع الأول ١٣٩٣هـ. ٢٥/٤/١٩٧٣م.
٢٣. مجلة آخر ساعة، عدد ٢٠١٠ الصادر في ٢٩ ربيع الأول ١٣٩٢هـ. ٢/٥/١٩٧٣م.




# العقير .. تاريخ وسياحة

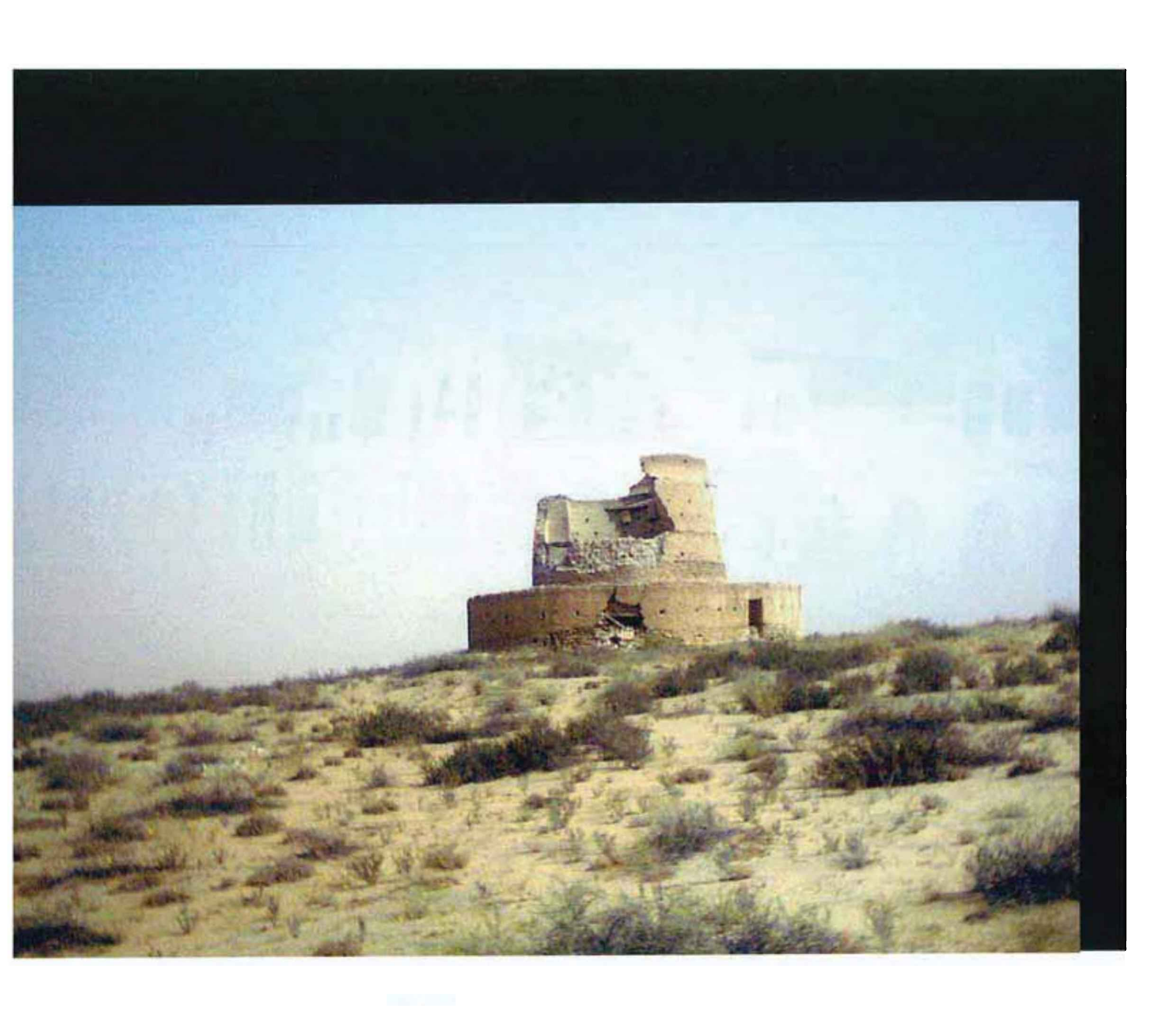
عبد اللطيف الصباغ
عاطف عبد الحميد
الأحساء ـ السعودية

حين تذكر النافذة البحرية للأحساء، تستدعي ذاكرة الناس صورة مدينتين أنيقتين هما الخبر والدمام. غير أن قليلاً منهم يعرفون أن هذه المكانة كانت دوما للعقير: ذلك الميناء الذي أصبح أثراً بعد عين.

حينما زارها رونكيير البلجيكي عام ١٩١٢م، كتب يقول «بلدة لا تزيد عن قلعة طينية صغيرة، ومحطة للقوافل، ورصيف حجري متواضع، يقف على شاطئها ١٢ قارباً شراعياً، ليست فيها نخلة واحدة توفر ظلاً، ومياه الشرب تجلب من بئر ماؤه عسر، وليس فيها سكان مدنيون، ويعيش الجنود الأتراك بها في عزلة تامة» (١).

ويعتقد الرحالة الإنجليزي تشيزمان أن العقير هي نفسها الجرهاء الميناء الفينيقي القديم (٢). وقد شهدت المنطقة هجرة قبائل الأزد على أثر انهيار سد مأرب، ثم توافدت عليها القبائل العربية، وأشهرها بنو عبد القيس، الذين استقر جزء منهم في العقير، ثم ملكها الفرس قبيل ظهور الإسلام، وما لبثوا أن خرجوا منها مع المد الإسلامي في المنطقة (٣).

ولقد دخل الإسلام المنطقة صلحاً في العام الثامن للهجرة، وعندما استأثر القرامطة بالأحساء في القرن الثالث الهجري، كانت العقير المنفذ البحري لهم على العالم الخارجي. ثم تتابع على حكم المنطقة كل من العيونيين، وآل زامل الجبري، ثم احتلها البرتغاليون عام



٩٢٧هـ(١٥٢٠م) عن طريق العقير، وظلوا بها حتى تمكن الأتراك من إخراجهم عام ٩٥٨هـ(١٥٥١م) (٤).

ومثّل موقع الأحساء واقتصادها، إغراءً للقوى السياسية المحيطة بها دائماً؛ وهذا يفسر توجه آل سعود إليها عبر أطوار دولهم الثلاث، بعد فراغهم من توحيد نجد مباشرة في كل مرة. وعلى النسق ذاته تطلع محمد علي . والي مصر . إلى الأحساء، بعد أن استقر له الأمر في نجد عام ١٨١٨م، وحلّ محلّه بنو خالد الموالين للدولة العثمانية، ثم راوده الحلم مرة أخرى بالسيطرة على الأحساء عام ١٨٣٨ بقوة صغيرة غير نظامية، انقسمت إلى حاميات في القطيف والعقير. وعندما تمكن الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود من ضم الأحساء في جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م) شهدت العقير خروج آخر جندي عثماني من الأحساء. وقد بلغت العقير ذروة مكانتها في العهد السعودي؛ فعندما التقى (السلطان) عبدالعزيز آل سعود مع السير بيرسي كوكس الخبير البريطاني بمنطقة الخليج، وأول مندوب سام للعراق في عام ١٩٢٠م احتضنت العقير اللقاء (٥). وفي



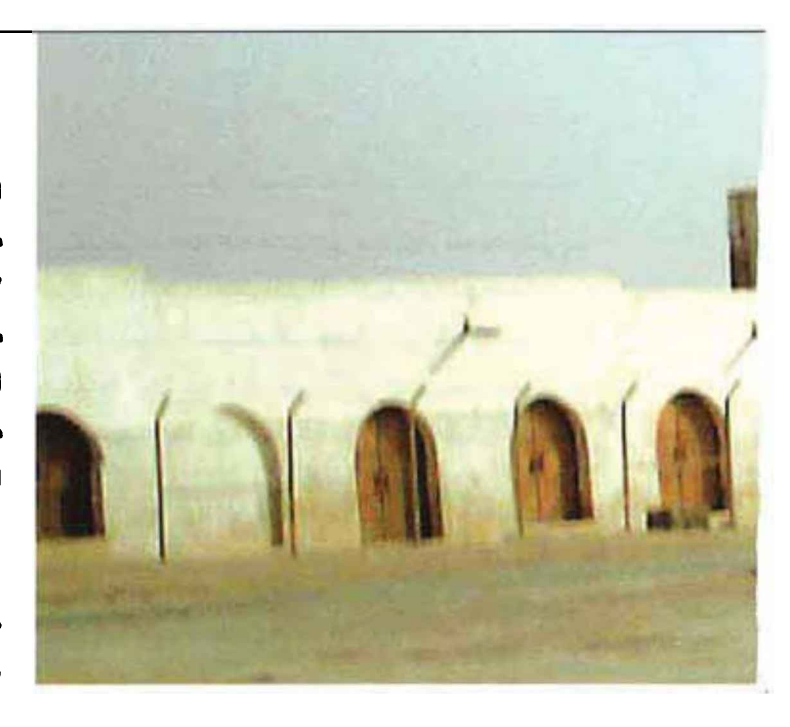
جانب من مجمع القلعة والخانة وتبدو عليه آثار الصيانة والترميم

ربيع الآخر سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) اختار (السلطان) عبد العزيز آل سعود ميناء العقير مقرًا لعقد أول مؤتمر لتسوية الحدود بين آل سعود وجيرانهم في العراق والكويت. وجاء مؤتمر العقير بفكرة المناطق المحايدة التي تم فتحها للبدو من رعايا الطرفين لارتيادها على حد سواء بإشراف مشترك (٦).

هذا وأدّى ميناء العقير دوراً كبيراً في تنشيط التجارة الداخلية والخارجية في شرق جزيرة العرب عبر التاريخ، بسبب وفرة المنتجات الزراعية، والصناعات المحلية المترتبة عليها، فنقل بنو عبد القيس منتجات هجر من النسيج والتمور إلى خارج شبه الجزيرة العربية عن طريق العقير. كما استقبل الميناء نفسه حاجات المنطقة من الواردات الهندية والصينية من التوابل والمواد الغذائية والملابس، ثم نُقلت إلى هجر ونجد والحجاز، وتوثقت هذه الصلات التجارية تحت مظلة الإسلام (٧).

ومن أهم الطرق التي ربطت العقير بالجزيرة العربية درب العقير الذى كان أقصر طرق القوافل إلى الأحساء وأيسرها، لذا سلكه معظم الرحّالين، ومنهم بيلي، وشيزمان، وبيركهارت، وليشمان، وفيلبي، والريحاني؛ وذلك لوجود آبار المياه العذبة (٨). كما خرجت من الأحساء عدة دروب ربطتها بوسط

هناك مجموعة من المقومات السياحية التي يتمتع بها ساحل العقير وأهمها: التنوع المورفولوجي في الساحل، وهي العناصر الرئيسة التي تحتاج إليها صناعة السياحة، كالشواطئ، والكسبان، والبحيرات الساحلية، والألسنة، والرؤوس والخلجان.



الجزيرة العربية، إضافة إلى الطريق الساحلي الذي يربط عُمان بالكويت والبصرة، ماراً بالعقير (٩).

**المعالم الأثرية**

بمراجعة الشكل الذي أعدّه الباحثان، يستطيع الزائر للعقير اليوم أن يتعرف آثار الميناء بمعالمها

**عدد من المشكلات حدّت من ازدهار العقير. منها ما يتعلق بالميناء، وأخرى تتعلق بالمنطقة المحيطة. وتتمثل جميعها في ضحالة الشاطئ، وندرة المياه العذبة، والتهديدات الأمنية للتجارة، وزحف الرمال، وعدم الاستقرار السياسي، واكتشاف النفط**

الآتية (١٠): الرصيف الحجري: ويبلغ طوله نحو ١٠٠ متر، ويمتد في منطقة مائية ضحلة لا تصلح سوى لاستقبال المراكب الصغيرة. ولم يبق منه إلا جزء يسير.

مجمع القلعة والمسجد والخان: رفعت مبانيه من الصخور الجيرية المحلية، ويحيط به من الخارج سور من السلك لحمايته، مع تنبيه وتحذير من المساس بهذه الآثار من قبل السائحين.

ولقد بنيت القلعة في عهد الدولة العثمانية، ثم جددت في عهد الملك عبد العزيز؛ وهي مكونة من طابقين ببوابة قوسية الشكل، وتتخذ نوافذها أشكالاً هندسية. ويقع المسجد شمال شرق القلعة، ويتألف من رواقين قائمين على أعمدة. وما زال جزء من سوره العالي باقيًا إلى اليوم.

أما الخان فهو بجوار المسجد من الجهة الشرقية، ويتكون من ساحة أقيم على جانبيها نحو ٣٠ مخزناً صغيراً، ذات أبواب خشبية، وتعلو هذه المخازن غرف مسقوفة بالخشب والطين، معدة للسكنى.

مبنى الجمرك: يقع في الجهة الجنوبية من الميناء، ويتألف من سبعة أروقة، ذات سقف هرمي، ويطل بواجهته على الخليج، وملحق به مبنى إداري من جهة الشمال يتم الصعود إليه بسلمين حجريين من جهة القلعة.

مبنى الشرطة: يقع عند الطريق الجنوبي لمبنى الجمرك، ويتكون من عدة غرف مسقوفة بأغصان وجدائل من سعف النخيل والطين. وقد تهدم جزء منه، ويعاني الآن إهمالاً شديدًا، ووصلت حالته إلى مظهر غير حضاري نتيجة استغلال هواة الصيد له كمستودع.

برج أبي زهمول: يقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال غرب الميناء، شيّده الأتراك على سفح تل مرتفع يشرف على الميناء والقلعة، ويتخذ شكلاً دائرياً يحيط به سور ضخم يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار، أما البرج

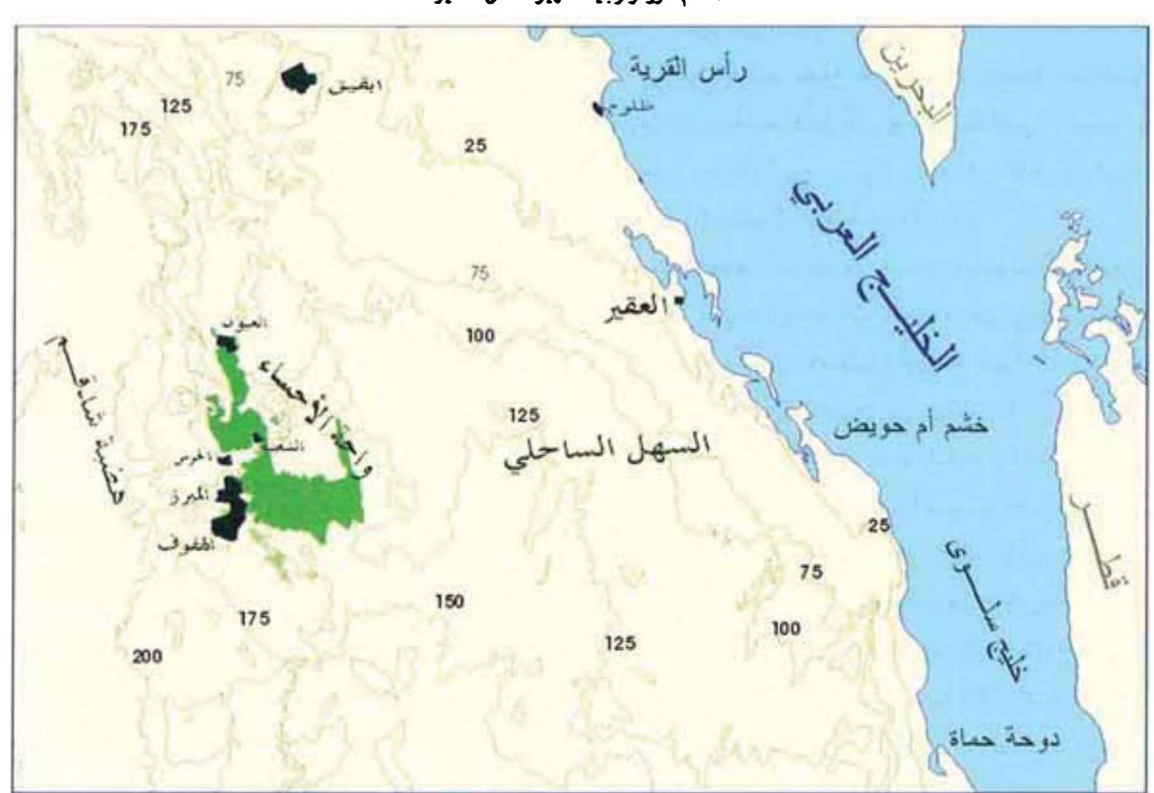
فيتكون من ثلاثة أدوار بارتفاع ١٠م، وبداخله سلم حلزوني يصل إلى الأدوار العليا، وقد تهدم جزء من السور، وقد ضم محيط السور بئر المياه العذبة الوحيدة في المنطقة(١١). وعلى مقربة منها تقع خرائب أبي زهمول التي زحفت عليها الرمال.

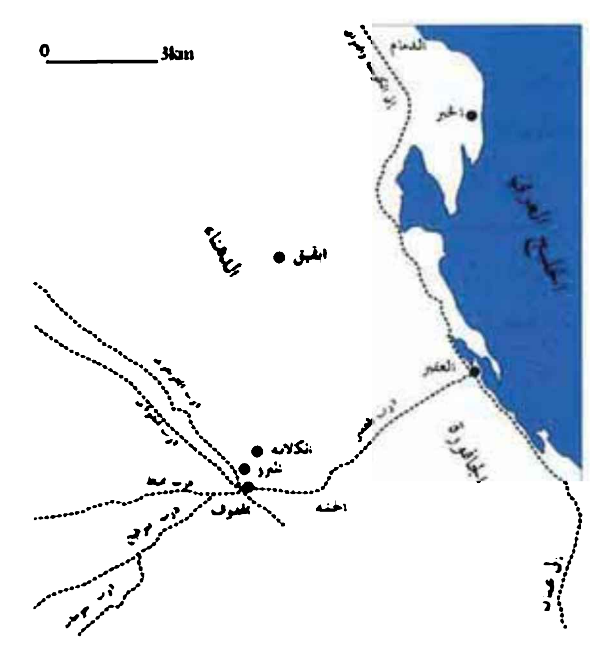
**لماذا تدهور الميناء؟**

عدد من المشكلات حدّت من ازدهار العقير وتطوره، منها ما يتعلق بالميناء، وأخرى تتعلق بالمنطقة

**يتعرض ساحل العقير إلى مصادر تلويث على يد مرتاديه، بالإضافة إلى ملوثات أخرى، بعضها طبيعي، كمخلفات الأعشاب البحرية، التي تغطي عشرات الكيلومترات من الساحل، وتحتاج إلى صيانة دورية، وبعضها بشري، كمخلفات البحر الصناعية**

**المعالم المورفولوجية لظهير ساحل العقير**





الدروب التاريخية التي تربط العقير بالمنطقة الشرقية ونجد

المحيطة، وتتمثل جميعها في ما يأتي :

أولاً: ضحالة الشاطئ: بما يرغم السفن على تفريغ شحنتها بعيداً عن الميناء، ثم تنقل بالقوارب الشراعية إما من عرض البحر، وإما من موانئ أخرى، فتزيد التكلفة، وتتعرض بعض السلع للتلف. وقد شهدت سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٣م) محاولة من جانب متصرف الأحساء العثماني لإصلاح الميناء وتعديله؛ فقدم لبلاده دراسة جادة لبناء رصيف بطول ألف متر، يسمح باستقبال السفن الكبيرة، ويتطلب حفرًا داخل البحر وخارجه، قدّر بمليونين ونصف مليون متر مكعب، موضحاً المزايا المترتبة على المشروع، وفي مقدمتها انتعاش تجارة المنطقة، وإحكام السيطرة عليها، وسهولة نقل القوات والبريد وسرعته، وإبعاد التهديدات الأجنبية عنها، لكن حال توفير المال اللازم دون تنفيذ المشروع (١٢).

ثانياً: ندرة المياه العذبة حول الميناء: فلا يوجد بمنطقة العقير سوى بئر واحدة في أبي زهمول على حافة الكثبان الرملية، ماؤها عسير، كان يعتمد عليها ساكنو العقير في الشرب، إضافة إلى بئر أخرى بالقرب منها ماؤها مالح قليلاً، يستخدم في زراعة مسطح صغير (١٣).

ثالثاً: التهديدات الأمنية لقوافل التجارة: في فترات الاضطراب وأوقات ضعف الإدارة، فعلى سبيل المثال، إبان فترة الحكم العثماني الثاني: تسببت عمليات النهب المتكرر من جانب البدو لقوافل التجارة في فقدان ثقة الأهالي بقوة الدولة، فاضطرت إلى إقامة نقاط حراسة على طول الطريق، ومع إثبات عدم جدواها اضطرت القوات العثمانية إلى مرافقة قوافل التجارة ذهاباً وإياباً (١٤).

رابعاً: زحف الرمال على درب العقير: الطريق الذي يربط الميناء بالواحة، والذي تسلكه قوافل التجارة، فيقول الرحالة الإنجليزي تشيزمان متعجباً: لا وجود لطريق، حيث نضطر إلى الدوران مع القوافل حول الكثبان الرملية بحثاً عن المناطق المنخفضة (١٥).

خامساً: عدم الاستقرار السياسي: فواحة الأحساء تنازعتها يد القوى السياسية في المنطقة منذ القدم، وذلك لأهميتها الاقتصادية، فعل سبيل المثال: أسفرت العمليات العسكرية في الأحساء خلال القرن التاسع عن تتابع السلطة عليها لآل سعود، ثم لقوات محمد علي، فبني خالد، ثم قوات محمد علي مرة أخرى، فالدولة السعودية الثانية، ثم القوات العثمانية، وهو ما لم يعط الفرصة للميناء لأن يزدهر.

سادساً: اكتشاف النفط: فمع ظهور النفط انتقل مركز الثقل البحري من العقير إلى مدن أخرى تم

إنشاؤها في أقرب نقطة على الساحل من آبار النفط المكتشفة، وتحديداً في الخبر والدمام، وتم ربطهما بالهفوف والرياض بطريق مواصلات وخط سكة حديدية يمران بأبقيق والعيون، وكان الاختيار قد وقع على قرية الخبر سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) لبناء أول رصيف حجري لاستقبال المعدات والأغذية إلى مخيم التنقيب في جبل الظهران، وسرعان ما تحولت القرية إلى مدينة مترامية الأطراف، بعد أن أقامت شركة أرامكو بها مساكن لموظفيها. وتم تطوير ميناء الخبر عام ١٩٧٧م (١٦).

### التخطيط السياحي للعقير

بالإضافة إلى استفادة خفر السواحل من المواقع الإستراتيجية الممثلة في الرؤوس البحرية، والجزر، وأعالي المدرجات البحرية، والكثبان المتماسكة المحيطة بمنطقة العقير، فإن هناك مجموعة من المقومات السياحية التي يتمتع بها ساحل العقير وأهمها :

- التنوع المورفولوجي في الساحل، إذ يتسم الساحل بغناه بالظواهر الطبيعية من كثبان، وشواطئ، وبحيرات طبيعية، وجزر وأشباه جزر، وهي العناصر الرئيسة التي تحتاج إليها صناعة السياحة، كالشواطئ، والكثبان، والبحيرات الساحلية، والألسنة والرؤوس والخلجان.
- القرب من موقع التكامل السياحي بالحزمة السياحية الضخمة التي توفرها منطقة الخبر - خليج نصف القمر، وهو ما يسهل الاستفادة من مفهوم التكامل لا التنافس مع المنطقة المجاورة. وهي فكرة تكتمل في بعدها الإقليمي بملامسة ساحل العقير لواحد من أهم المواقع السياحية في الخليج العربي، وهو خليج سلوى. ولعل مراجعة الإمكانيات السياحية لسواحل دولة قطر المجاورة، تفيد أن الترويج لخليج سلوى ( في قسمه القطري) يحتل مكانة مهمة في العرض السياحي لقطر. ويمكن التحقق من ذلك بمراجعة واحد من أشهر مواقع السفر والسياحة على الإنترنت الذي وضعت فيه قطر منطقة دوحة سلوى (خليج سلوى) ضمن حزمتها السياحية.

مخطط عام لتصميم الميناء



من أهم الطرق التي ربطت العقير بالجزيرة العربية درب العقير الذي كان أقصر طرق القوافل إلى الأحساء وأيسرها، لذا سلكه معظم الرحّالين، ومنهم بيلي، وشيزمان، وبيركهارت، وليشمان، وفيلبي، والريحاني؛ وذلك لوجود آبار المياه العذبة



كثبان الرمال جنوب الميناء تجذب هواة الرحلات البرية

وفي المقابل فإن الساحل يعاني منافسة غير متكافئة مع المعطيات السياحية في منطقة الخبر، وخليج نصف القمر، ويتمثل عدم التكافؤ في غنى منطقة الخبر بالبعد التسويقي، وقواعد البنية الأساسية، من طرق وخدمات فندقية على درجة عالمية المستوى. وفي الوقت ذاته تمثل منطقة الخبر مقصدًا للسائحين القادمين من الرياض، ومن المنطقة المحيطة في مثلث الدمام والظهران والقطيف، والمناطق الصناعية في رأس تنورة والجبيل. ولا تقف العقير على هذه الخريطة متخلفة من حيث البنية الأساسية للسياحة فحسب، بل وأبعد جغرافيًا من سكان وسط المملكة وشمالها الشرقي الذين تمثل الخبر-الدمام بالنسبة إليهم موقعًا أقرب. وما زال أهم طريقين يربطان الأحساء بساحل العقير وسلوى (طريق العيون-العقير، وطريق الهفوف - سلوى) من أكثر الطرق وعورة وخطرًا، وعليهما تقع أكثر الحوادث المرورية في المنطقة.

أهم الأنشطة السياحية بمنطقة العقير اليوم

تتمثل في سياحة السفاري، وهي قائمة في مناطق الكثبان الداخلية بأشكالها المتنوعة، ومناطق الدكداكة منها بصفة خاصة، التي تبدي صلاحية عالية للتنقل عبرها بالسيارات المجهزة لرحلات البر. ففي هذه المناطق عروق رملية صالحة لرياضة رحلات البر من جهة، وقربها من ساحل البحر والمدق الساحلي من جهة ثانية.

- التخييم الشاطئي، وتمثلها المنطقة الساحلية



جانب من المبنى الإداري للميناء

حول ميناء العقير، وعلى الرغم من فقر المنطقة في الخدمات السياحية (إيواء - اتصالات هاتفية - متنزهات - ألعاب ووسائل ترفيه) إلا أنها تخدم سياحة اليوم الواحد أو اليومين على الأكثر، بموقعها عند نقطة افتراق الطرق إلى الأحساء من جهة، وإلى الدمام - الخبر من جهة ثانية.

ويتعرض ساحل العقير إلى مصادر تلويث على يد مرتاديه، بالإضافة إلى ملوثات أخرى، بعضها طبيعي، كمخلفات الأعشاب البحرية، التي تغطي عشرات الكيلومترات من الساحل، وتحتاج إلى صيانة دورية، وبعضها بشري، كمخلفات البحر الصناعية من الصناديق الخشبية، والقوارير البلاستيكية والزجاجية، التي تقذفها مياه البحر بحكم وقوع منطقة العقير في «منصرف» التيارات الشاطئية الطولية.

وتجرف هذه التيارات معها المخلفات من مناطق المصدر في الجبيل ورأس تنورة والخبر. ولعل هذا ما يجعل الهدف الأساسي لمرتادي ساحل العقير هو التجمع الأسري والجماعي قبل أن يكون الهدف الاستجمام بالساحل. فقد خرجت دراسة استبيانية (١٧) بأن ٤٢٪ من إجمالي ٢٣ أسرة ارتادت ساحل العقير في عطلة عيد الفطر لعام ١٤٢٣هـ جاءت للتجمع الأسري، بينما كان الاستجمام والمتعة في المرتبة الثانية بنسبة ٢٨٪. وتعاني المنطقة عدم تغطيتها بشبكة الهواتف المحمولة، وضعف الطرق المعبدة، والخدمات التسويقية.

وتنحصر المناطق التي ينصح باستغلالها في منطقة العقير في ظاهرتين رئيستين : الشواطئ، والبحيرات الساحلية. وتوجد الشواطئ في ثلاثة مواقع بساحل العقير

- الواجهة البحرية لرأس صياح، وتمثل أطول واجهة يمكن استغلالها في المنطقة بطول ٣٦كم.
- جزيرة الزخنونية، وخط الساحل الرئيس الذي يقابلها بإجمالي طول يقترب من ٣٠ كم. ويحد من هذه المنطقة غياب أي اتصال بين جزيرة الزخنونية وخط الساحل الرئيس.
- رأس أم حويض: ويمتد بها نحو ٣٠ كم من السواحل المستعدة للنشاط السياحي بقطاع شاطئها الرسوبي الممهد، الذي تقع خلفه فرشات وكثبان رملية. ومع أن القسم الجنوبي من شواطئ أم حويض له الخصائص

---

**يعتقد الرحالة الإنجليزي تشيزمان أن العقير هي نفسها الجرهاء الميناء الفينيقي القديم. وقد شهدت المنطقة هجرة قبائل الأزد على أثر انهيار سد مأرب. ثم توافدت عليها القبائل العربية. وأشهرها بنو عبد القيس. الذين استقر جزء منهم في العقير**

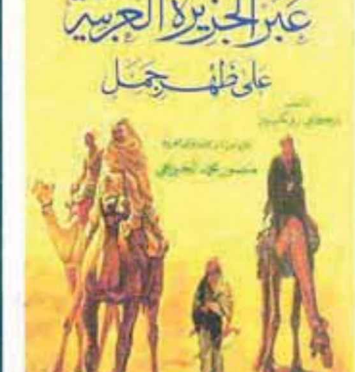
---

نفسها المؤهلة للنشاط السياحي، إلا أن انتشار المحاجر والكسارات في الظهير الداخلي يعرقل التخطيط السياحي بما ينتجه من ملوثات الهواء؛ فضلا عن انتشار مساحات واسعة من مخلفات التحجير بشكل عشوائي.

أما البحيرات الساحلية فتوجد بساحل العقير في موضعين:

- الأول شمال العقير بين الساحل الرئيس ورأس صباح.
- والثاني في باطن زبنة أم حويض، حيث تحيط به ألسنة رملية تكاد تحبسه عن البحر المفتوح.

وتتسم هذه البحيرات بالتنوع المورفولوجي، وتدرج مستويات المياه، وافتراش قاع البحيرات برواسب رملية ناعمة تختلف عن باقي قطاعات ساحل العقير التي يعيبها امتداد عشرات الكيلومترات من السواحل الضحلة الصخرية غير الصالحة للسباحة الآمنة. وهكذا يبدو ساحل العقير لديه من الموروث التاريخي والطبيعي ما يؤهله للانتقال إلى صناعة السياحة، التي يمكن أن تغير من خريطته، وتنقله من الماضي إلى المستقبل.




غلافا كتابين تناولا العقير

## المراجع والهوامش


١- رونكيير، باركلي (١٤١٩هـ): عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، ترجمة منصور الخريجي، الرياض، ص ١٩٥.

٢. تشيزمان، روبرت (١٤١٩هـ): في شبه الجزيرة العربية المجهولة، ترجمة عبد الله المطوع ومحمد الفريح، الرياض، ص ص ٦١ - ٦٣.

٣. الأحسائي، محمد آل عبد القادر(١٩٦٠ م): تحفة المستفيد في القديم والجديد، تعليق حمد الجاسر، القسم الأول، الرياض، ص ٨١.

٤. نخلة، محمد (١٩٨٠م): تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨، ١٩١٣م، الكويت، ص٢٦.

٥. صورة تذكارية لهذا اللقاء في: فلبي جون (٢٠٠١م): حاج في الجزيرة العربية، ترجمة عبد القادر عبد الله، الرياض، ص ١٣٣.

٦. لمزيد من التفاصيل راجع: بيمسون، إيف(١٤١٩هـ): ابن سعود ملك الصحراء «تأسيس المملكة العربية السعودية»، ترجمة عبد الله الدليمي، وعبد الله الربيعي، الرياض، ص ص ٢١٦ - ٢٢٢.

٧. العاني، عبد الرحمن (٢٠٠٠م): البحرين في صدر الإسلام، الدار العربية للموسوعات، ص ص ١١٤ - ١١٧.

٨. فيدال، (١٤١٠هـ): واحة الأحساء، ترجمة عبد الله السبيعي، الرياض، ص ٤٠.

٩. الطاهر، عبد الله(١٤١٩هـ): الأحساء دراسة جغرافية، الرياض، ص ص ١٥ - ١٦.

١٠. يأتي المصدر الرئيس لهذه المعلومات من خلال زيارة الباحثين للميناء في مطلع مايو ٢٠٠٥م.

١١. وردت تفاصيل هذه الآثار في: شباط ( ١٤٠٩هـ): صفحات من تاريخ الأحساء، الخبر، ص ص ٣٨ - ٤٠.

١٢. السبيعي، عبد الله (١٩٩٩م): اقتصاد الأحساء والقطيف وقطر في أثناء الحكم العثماني الثاني ١٢٨٨، ١٣٣١هـ/ ١٨٧٢، ١٩١٣م، دراسة وثائقية، الرياض، ص ٤٨.

١٣. تشيزمان، مرجع سابق، ص ٦١.

١٤. السبيعي، مرجع سابق، ص ٤٩.

١٥. عن تفاصيل هذا الطريق راجع: تشيزمان، مرجع سابق، ص ص ٨٨ - ٩٨.

١٦. الشرفاء، محمد(١٤١٣هـ): شخصية المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في التاريخ والجغرافيا، الرياض، ص ص ٢٠٠، ٢١٢.

١٧. القرعاوي، نجاح والحسين، سعد، (٢٠٠٣م): أهمية شبكات الطرق في التنمية السياحية لشاطئ العقير بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، سلسلة بحوث جغرافية، الجمعية الجغرافية السعودية، العدد ٥٩، الرياض، ص ٣٥.




# التعليم والتنمية الاقتصادية

عبدالله بن محمد المالكي

الرياض – السعودية

لم يبدأ الاهتمام بالتعليم بوصفه أحد المتغيرات الرئيسة التي تدخل في صميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلا في العصور الحديثة؛ وذلك عندما اتجه بعض الاقتصاديين إلى التركيز في أهمية التعليم، ومحاولة قياس العائد من الاستثمارات التعليمية. وربما يكون ألفرد مارشال A. Marshall أول من حاول ربط العائد بالنفقة في ما يتعلق بالاستثمارات التعليمية.

ولأن التعليم يمثل الأداة التي تقوم على إعداد العنصر البشري، ورفع كفاءته، فإن هدف رفع مستوى التعليم، والتوسع فيه أصبح من أهم أهداف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة في الدول النامية. فعلى سبيل المثال: أولت المملكة العربية السعودية تنمية الموارد البشرية اهتمامًا كبيرًا في خططها التنموية المختلفة، من خلال تطوير التعليم بجميع أنواعه ومستوياته ومراحله، وهذا ما أدى إلى زيادة حجم القوى العاملة المنتجة، إذ نجد أن من أهم أهداف الخطط التنموية (الخمسية) المختلفة في المملكة العربية السعودية الاهتمام بتنمية الموارد البشرية عن طريق التعليم والتدريب والرعاية الصحية والاجتماعية. ومن الملاحظ أن هذا الهدف هو هدف إستراتيجي طويل المدى؛ أي: أنه ملازم لجميع الخطط التنموية السابقة والمستقبلية. إلا أنه يبقى دور المورد البشري نفسه في الاستعداد والقابلية لتطوير قدراته ومهاراته أولاً، ثم ترجمة ذلك إلى الواقع.

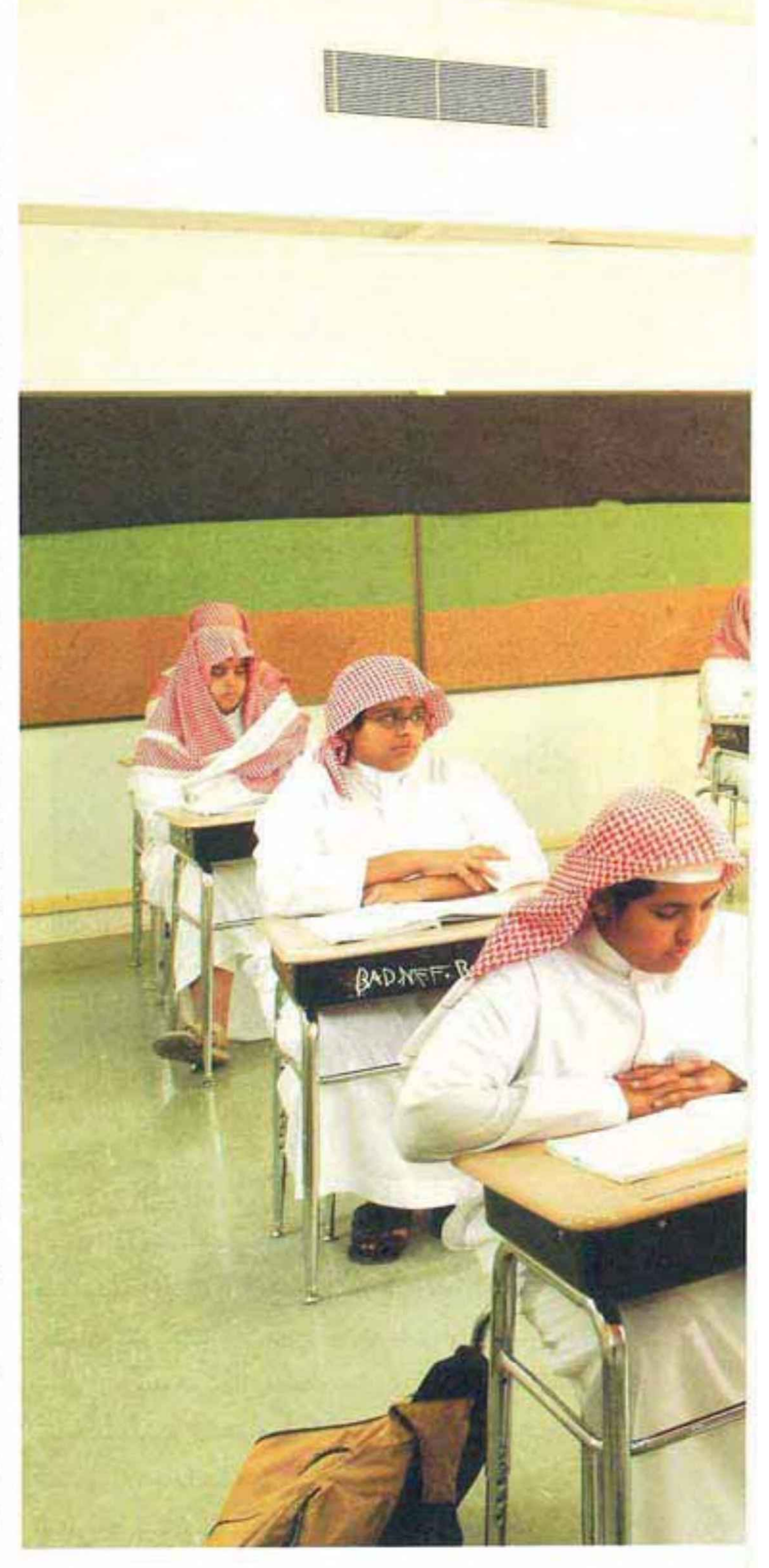
## دور التعليم في التنمية

وقد أكد مارشال ضرورة اهتمام رجال الاقتصاد



بدور التعليم في التنمية الاقتصادية، كما أشار إلى أنه لا ينبغي أن يقاس ما ينفق على التعليم بالعائد المباشر منه فقط. فإعطاء الأفراد فرصًا متزايدة من التعليم؛ حتى تتكشف مواهبهم وقدراتهم يؤدي إلى حدوث فوائد عظيمة، فقد يغطي اكتشاف نابغة في الميدان الصناعي مثلاً تكاليف أنفقت على مدينة كاملة. ويعدّ كارل ماركس C. Marx (١٨١٨ - ١٨٨٢م) من أكثر فلاسفة الاقتصاد وضوحًا في علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أنه يتفق مع من سبقه على أن هناك عائدًا اقتصاديًا للاستثمارات في التعليم، وقد أكد أهمية التعليم والتدريب في زيادة مهارات العمل وترقيتها، واكتساب الفرد القدرة والمرونة على الانتقال بين المهن والأعمال. ومع مطلع الستينيات من القرن العشرين أكد ثيودور شولتز Th. W. Schultz ١٩٦١م، ودينيسون Denison أن التعليم يسهم بشكل مباشر في نمو الاقتصاد القومي للمجتمع؛ وذلك من خلال تحسين مهارات القوى العاملة، وزيادة القدرة الإنتاجية لها. وترتب على ذلك بدء الاهتمام بدراسة أهمية الاستثمار في رأس المال البشري






(التعليم) خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، كما اهتم البنك الدولي **بالتنمية البشرية خاصة** في ما يتعلق بالتعليم خلال الثمانينيات، **فقد أصدر عام** ١٩٨٠م تقريرًا عن التنمية **الدولية** World Development Report معتمدًا على الدراسة التي **أجراها كل من هيكس** Hicks، وهويلر Wheeler في العام **نفسه ١٩٨٠م، وقد أعاد** هذا التقرير من جديد تأكيد **أهمية التعليم في زيادة النمو الاقتصادي**. كما أن الدراسات **والأبحاث والمؤلفات** الكثيرة المتعلقة باقتصاديات **التعليم ،التي ظهرت في** السنوات الأخيرة تشير إلى **الاهتمام الكبير بالجانب** الاقتصادي للتعليم، مما لفت **أنظار التربويين إلى أهمية** ما يسهم به الميدان التربوي **والتعليمي في التنمية** الاقتصادية. ومع عدم وضوح **دور التعليم في تطوير** الاقتصاد الذي لا يزال في مراحله **الأولى من التنمية، إلا** أن هناك دلائل كثيرة تؤكد أن **التعليم واحد من أهم** مطالب الوصول إلى اقتصاد **متين، وأنه ضروري ومهم** للنمو الاقتصادي للدولة. ولعل **من أبرز الأمثلة التاريخية** في هذا المجال ما حدث في كل **من الدانمارك واليابان**، فعلى الرغم من نقص الموارد **والثروات الطبيعية في** هاتين الدولتين إلا أنهما **استطاعتا أن تحققا نموًا** اقتصاديًا أسرع، بل إنه فاق **نمو دول مجاورة تتمتع** بموارد طبيعية غنية، فالعامل **الرئيس لازدهار الدانمارك** يتمثل في إنشاء المدارس **المسماة** Folk (People) High School عام ١٨٤٤م، بينما في **اليابان كان وراء إنشاء** نظام عام شامل للتعليم الابتدائي **(مرسي، ١٩٩٨م)**.

### العمالة المتعلمة أساس التنمية

يقول شولتز Schultz: «**إن الموارد الطبيعية، ورأس المال** المادي، والعمالة غير المدربة **عوامل ليست كافية لتنمية** اقتصاد حديث ذي إنتاجية عالية، **فيجب توافر كم كبير**

من القدرات المهارية البشرية حيث تستغل وقودًا في إحداث عملية التنمية، ومن دونها فإن توقعات المستقبل الاقتصادي تبدو كئيبة» (١).

إن توفير العمالة المتعلمة هو أساس دفع عجلة التنمية في مجالاتها المختلفة. فالدراسة التي أجريت في اليابان عن العلاقة بين تنمية الموارد البشرية، والنمو الخام ،والثروات الطبيعية لإحداث التنمية الاقتصادية، بل إن الاهتمام المستمر بالعنصر البشري وتنمية الثروة البشرية وإتاحة الفرصة للعامل البشري للإبداع والمشاركة الواعية سر نجاح هذه الدول ، بل إن العنصر الأساسي في الانطلاقة الاقتصادية لتلك الدول هو الاهتمام الكبير بالتعليم والتدريب. فالنجاح الاقتصادي




اليابان مضرب مثل في بلوغ العملية التعليمية غاياتها

الاقتصادي، وأيهما أسبق بينت أن الاستراتيجية اليابانية للقوى العاملة يمكن أن تعدّ متميزة أساسًا في اتجاهها إلى تراكم الموارد البشرية المتعلمة والمدربة بشكل سابق لعملية التنمية الاقتصادية (٢). كما يستشهد أيضًا بتجربة النمور الآسيوية الأخرى، التي عدّت الإنسان المحرك الأساسي للتنمية ومحورها. ويلاحظ من هذه التجربة أن هذه الدول في نهضتها وتطورها لم تقم على أساس المواد الهائل الذي حدث في دول شرق آسيا (النمور الآسيوية) كان بسبب الاستثمارات في الستينيات والسبعينيات في التعليم الابتدائي والثانوي. وهذا يعني أن التقدم أو التطور لم يعد مرتبطًا بمصادر الثروة الطبيعية المتوافرة للمجتمع بقدر ما هو مرتبط بمصادر الثروة البشرية. فالحضارة المعاصرة تعتمد على نتاج هذه الثروة من أفكار وعمل وتجديد ودوافع وغيرها. ومن أهم الأسباب



نجاح التجربة التعليمية الدانماركية تمثل في تحقيق نمو اقتصادي أسرع من دول لديها موارد طبيعية غنية

الرئيسة التي أدت إلى نمو دول مثل سنغافورة، وكوريا الجنوبية بشكل سريع صنع القرارات واتخاذها، والجهود الناجحة التي بذلتها حكومات تلك الدول؛ بهدف الارتقاء بالمستويات أو المعايير التعليمية (٣). وتؤكد إحدى الدراسات أن النظام التعليمي الكوري (الجنوبي) على ما قد يعتريه من نقص استطاع أن يساهم في تنمية الدولة اقتصاديًا . وينسب بعض الباحثين نجاح التجربة الكورية إلى قدرتها على الربط بين التنمية الاقتصادية والتعليمية؛ إذ إنها استطاعت أن تحقق مردودًا اقتصاديًا من استثمارها في مواردها البشرية. وعند مقارنتها ببقية الدول النامية وجد أن كوريا الجنوبية قد حققت تنميتها بكفاءة. كما لوحظ أن التوسع في التعليم الكوري كان يعود في جانب منه إلى تحقيق مطالب التنمية الاقتصادية المتسارعة، إذ تعتقد الحكومة الكورية أن هناك علاقة بين انتشار التعليم ومحو الأمية والنمو الاقتصادي. وبذلك يمكن القول: إن التعليم يسهم بشكل كبير في زيادة الدخل القومي؛ وذلك من خلال رفع كفاءة اليد العاملة وإنتاجيتها، فإسهام التعليم في زيادة الناتج القومي الإجمالي GNP في كوريا الجنوبية بلغ ٦١٫٢٢٪ (٤). وهذه - لا شك - نسبة كبيرة ومؤثرة.

ويسهم التعليم في النمو الاقتصادي من خلال زيادة إنتاجية الأفراد؛ وذلك بوسيلة كسب المهارات والاتجاهات، وتراكم المعرفة، فقد «أصبح من المسلّم اليوم بعد عشرات من السنين أجريت فيها دراسات وتجارب دولية كثيرة، أن التعليم عامل حاسم من أجل التنمية الاقتصادية، والرفاه الإنساني، والتقدم الاجتماعي،

وحماية البيئة، فالتعليم يجعل الأفراد والجماعات أقدر على تسخير محيطهم، والمشاركة الفعالة في المجتمع، ومواجهة التحديات، وإيجاد حلول جديدة، والمساهمة في التنمية الاقتصادية» (٥).

كما أن من المسلّم به الآن لدى المجتمعات الواعية أن أهم عنصر ينبغي الاهتمام به، والإنفاق عليه، وعلى

تظهر علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية بوضوح من خلال علاقته بكل من العمل، والإنتاج، والدخل القومي.

### علاقة التعليم بالعمل

إن ربط النظام التعليمي بالاحتياجات الاقتصادية (الفعلية) من القوة العاملة أصبح أمرًا مهمًا، ومطلبًا



المهارات المعرفية والعملية من أسباب زيادة دخل الفرد وإذابة الفوارق بين طبقات المجتمع

تعليمه وتدريبه وتخطيط ذلك التعليم والتدريب، هو العنصر البشري؛ لأنه الأساس في كل العمليات التنموية، وفي التحديث والتقدم، ومن دون هذا العنصر (المتعلم والمدرب والمؤهل) لا يمكن أن تتم تنمية، أو تحديث، أو تقدم. ولم يعد الأمر يحتاج إلى دليل، بعد أن قدمت للعالم بعض الدول نماذج علمية حية وواقعية، مثل ألمانيا، واليابان، وسنغافورة، وكوريا الجنوبية، وغيرها (٦). وقد

ملحًا في الآونة الأخيرة للدول عمومًا، والنامية منها بشكل خاص، فالنظرة التقليدية . أن وظيفة التعليم الأساسية هي وظيفة ثقافية . للنظام التعليمي تبدلت، وأصبح الآن النظام التعليمي أهم جهاز لإعداد القوى العاملة المدربة وتهيئتها .

إن الدول النامية تواجه بشكل عام مشكلتين أساسيتين في قواها العاملة:

أهم أهداف الخطط التنموية (الخمسية) المختلفة في المملكة العربية السعودية الاهتمام بتنمية الموارد البشرية عن طريق التعليم والتدريب والرعاية الصحية والاجتماعية، ومن الملاحظ أن هذا الهدف هو هدف إستراتيجي طويل المدى

المشكلة الأولى: أن هناك فائضًا في الأيدي العاملة غير المدربة (٧).

والمشكلة الثانية: أن هنالك نقصًا حادًا في كل أنواع القوى العاملة الحيوية تقريبًا، مثل المديرين المدربين تدريبًا عاليًا، والمهندسين والأطباء والخبراء والفنيين أو المهنيين، وغيرهم.

إن مواجهة الاحتياجات المتزايدة من القوى البشرية، ذات المستويات المختلفة من المهارات والمعارف في المجالات كافة، تعد وظيفة من أهم وظائف التعليم، وقد أشار إلى ذلك هاربيسون F. Harbison الذي بيّن أن تكوين الكفاءات العليا يعدّ المفتاح الذهبي للنمو الاقتصادي في الدولة النامية والسائرة منها في طريق النمو (مرسي، والنوري، ١٩٧٧م). ويقول شولتز Schultz في هذا الشأن: «إن التعليم في مضمونه ليس عملية استهلاك خالصة، بمعنى أنها لا تكتسب أهميتها من مجرد الحضور في مراحل الدراسة لإشباع الذات، فالنفقات العامة والخاصة توجه إليه من أجل اكتساب عائد إنتاجي يتجسد في الأشخاص الذين سوف يأخذون على عاتقهم تقديم الخدمات في المستقبل. والعملية التعليمية هي استثمار في تنمية البشر» (٨).

وقد أثبتت الدراسات والأبحاث المختصة تزايد دور عنصر العمل في الإنتاج؛ وذلك عن طريق زيادة الإنتاجية (إنتاجية عنصر العمل) من خلال بعض المؤشرات التي من أهمها التعليم والتدريب؛ إذ يمثل التعليم بمختلف أنواعه ومستوياته ومراحله عنصرًا أساسيًا من عناصر تنمية الموارد البشرية. كما أن الدراسات اثبتت أن إنتاجية العامل ترتفع بمعدلات (٩) تتناسب مع مستوى التحصيل العلمي له. فهي ترتفع بمعدل ٣٠٪ بعد عام واحد من الدراسة الابتدائية، وبمعدل ٣٢٠٪ بعد إتمام ١٣ سنة من الدراسة، ومعدل ٦٠٠٪ بعد إتمام الدراسة الجامعية. «كما أن العلاقة الإيجابية بين مستوى التعليم ومستوى الإنتاجية تمثل قاعدة ثابتة لا تتغير بتغير طبيعة النظام الاقتصادي والاجتماعي» (١٠).

فقد أشارت الدراسات التي أجريت في الاتحاد السوفييتي (سابقًا) إلى أن إدخال برنامج تعليمي شامل لمدة أربع سنوات يحقق مردودًا اقتصاديًا يعادل (٤٤مرة) مقدار التكلفة، كما أن سترومیلين Strumilin أثبت أثر التعليم في زيادة الدخل القومي بمعدل ٢٣٪ تقريبًا. وأثبت أن الإنتاجية تزيد بمعدل ٣٠٪ عند إتمام المرحلة الابتدائية، و١٠٠٪ عند إتمام المرحلة المتوسطة، و ٣٠٠٪ عند إتمام التعليم العالي. مما نتج من تلك الدراسات العالمية أحداث واسعة للتوسع في التعليم خاصة بعد

أثبتت الدراسات الكثيرة التي أجراها الاقتصاديون أن التعليم يساعد على زيادة دخول الأفراد؛ وذلك عن طريق الزيادة التي يكتسبها الفرد في أثناء التعليم من المهارات المعرفية والعملية، وكلما زاد مستوى تعليم الفرد واكتسابه المهارات والمعارف زاد دخله





ربط التعليم بالاحتياجات الاقتصادية الفعلية من القوة العاملة أصبح أمراً مهماً

ظهور نظرية سولو Solow للعامل المتبقي التي يعود لها الفضل الأول في عمليات قياس العائد التعليمي، وتفسير الغموض المتعلق بالزيادة الملموسة في مجالات التنمية التي أكدتها فيما بعد (نظرية شولتز Schultz لرأس المال البشري) بشأن أهمية الاستثمار التعليمي، الذي يعود له الارتفاع الملموس في مستوى إنتاجية العمل، ومن ثم زيادة الإنتاج القومي العام G N P (١١). كما أنه ينظر دائمًا إلى التعليم من قبل كل المجتمعات مهما اختلفت أفكارها أو مذاهبها من حيث مردوده الاقتصادي والاجتماعي. والتجربة اليابانية، وتجارب بعض دول شرق آسيا أكدت أن رأس المال البشري هو الدعامة الأساسية لعملية التصنيع والتنمية، وكما يبدو، فإن الإنجاز التقني والعلمي الغربي الذي تحقق بفضل النظام التعليمي كان من أهم أسباب تطور تلك الدول. مما أدى بالدول النامية، ومن بينها الدول العربية، إلى إحداث تغييرات واضحة في سياساتها التعليمية؛ بهدف الوصول إلى مثل تلك الإنجازات، التي تحققت في الغرب والشرق. «فالاستثمار التعليمي شرط أساسي لتحقيق النمو الاقتصادي، كما أنه في الواقع الدافع

أو الضامن للنمو الاقتصادي» (١٢). أي أن الأداء الاقتصادي لأي دولة يعتمد على واقع النظام التعليمي في هذه الدولة بشكل محدد، وتطور النظام التعليمي، وتطور القدرات البشرية التي يحويها هذا النظام هما المدخل لتحقيق التنمية الحقيقية. وفي الدول النامية بشكل خاص يعدّ التعليم هو المصدر الوحيد والأساسي لتوفير القوى العاملة إضافة إلى كونه مصدرًا للفكر والثقافة. والتنمية الاقتصادية والاجتماعية تكون في العادة عملية لاحقة للتطور في النظام التعليمي. لقد قدمت الدول الصناعية الحديثة برهانًا كافيًا على أهمية تنمية الموارد البشرية بالنسبة إلى التنمية الشاملة (المستديمة)، فمن أهم المزايا لهذه الدول الاستغلال الأمثل للموارد البشرية. وعلى الرغم من الاعتقاد أن تطوير النظام التعليمي ورفع كفاءة أدائه شرط أساسي لتحقيق معدلات أعلى في النمو الاقتصادي، إلاّ أنه مع أهميته ليس هو الشرط الوحيد. فالإبداع لا يخلقه النظام التعليمي وحده بقدر ما تخلقه البيئة الاجتماعية المحيطة. فعلى الرغم من المخرجات الضخمة للنظام التعليمي العربي، إلاّ أنه لم يغير من الواقع العربي شيئًا، بل إنه حدث العكس في بعض الدول العربية؛ إذ إن النظام التعليمي أصبح معوقًا لعملية التنمية، بل إن

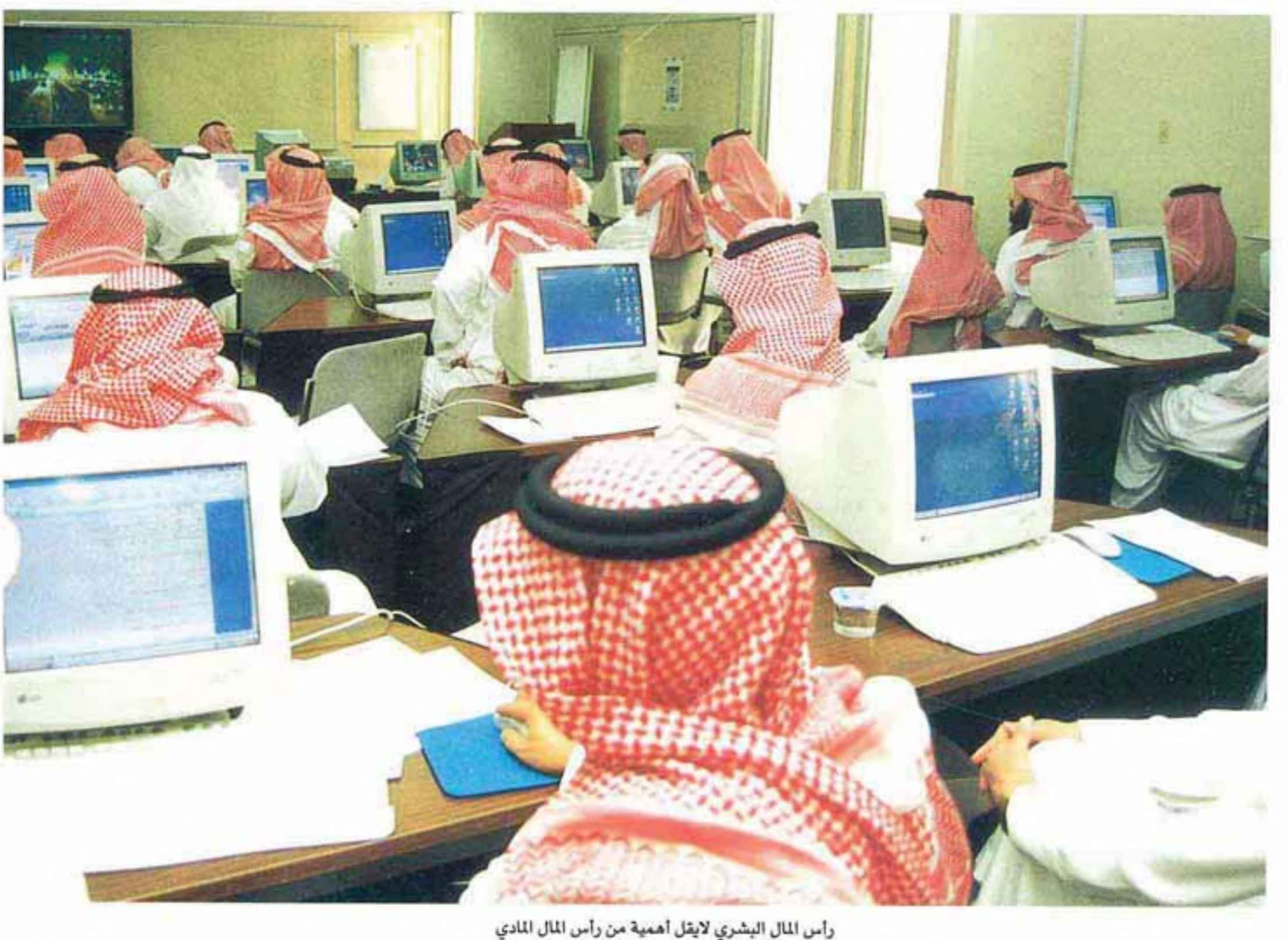
لأن التعليم يمثل الأداة التي تقوم على إعداد العنصر البشري، ورفع كفاءته، فإن هدف رفع مستوى التعليم والتوسع فيه أصبح من أهم أهداف خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة في الدول النامية

الأداء الاقتصادي لأي دولة يعتمد على واقع النظام التعليمي في هذه الدولة بشكل محدد، وتطور النظام التعليمي، وتطور القدرات البشرية التي يحويها هذا النظام هما المدخل لتحقيق التنمية الحقيقية

بعضهم يعدّه عاملاً مؤجلاً للبطالة؛ وذلك بسبب أن مخرجات النظام التعليمي لا تتواءم مع متطلبات سوق العمل(باقر النجار، ١٩٩٣م).

## علاقة التعليم بالإنتاج والدخل القومي (الناتج القومي الإجمالي GNP)

من أهم الحقائق المعروفة، والمسلم بها من قبل رجال الاقتصاد والتعليم على السواء أن الثروة أو الموارد البشرية (رأس المال البشري) بالنسبة إلى العملية الإنتاجية لا تقل أهمية عن رأس المال المادي. ولكن من الصعب عزل مقدار الزيادة في الإنتاج الناتجة من التعليم؛ وذلك يعود إلى أن العوامل التي تساعد على تحسين القدرة البشرية وتطويرها تشمل ميدانًا أوسع مما يقصد بالتعليم، كما تحدده الميزانية أو المخصصات المالية، التي خصصت له في الموازنة العامة للدولة. وعلى الرغم من ذلك فإن التقديرات الإحصائية الحديثة تشير إلى أن رأس المال المادي يؤدي إلى أقل من نصف الزيادة السنوية في الإنتاج في الدول النامية. أما الباقي (أكثر من نصف الزيادة في الإنتاج) فمرده إلى زيادة الكفاءة والمهارة البشرية، وتحسين تنظيم الإنتاج، وقد أكد عالم الاقتصاد السوفييتي كوماروف W. E. Komarow الصلة الوثيقة



رأس المال البشري لايقل أهمية من رأس المال المادي

بين التنمية الاقتصادية والتعليم (١٣).

كما أثبتت الدراسات الكثيرة التي أجراها الاقتصاديون، مثل: شولتز، ودينسون، وأوكهرست، وغيرهم أن التعليم يساعد على زيادة دخول الأفراد؛ وذلك عن طريق الزيادة التي يكتسبها الفرد، في أثناء التعليم من المهارات المعرفية والعملية، وكلما زاد مستوى تعليم الفرد، واكتسابه المهارات والمعارف زاد دخله. لذا يعدّ التعليم من أهم العوامل التي تساعد على إذابة الفوارق بين طبقات المجتمع؛ وذلك من خلال ما يحدثه من تقارب بين الأفراد على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. وقد قام الأمريكي ميلر H. Miller عام ١٩٥٨م بدراسة؛ بهدف معرفة زيادة الدخل الفردي نتيجة التعليم، وقد توصل إلى نتائج إيجابية في هذا الشأن. كما أن دراسات شولتز Schultz، التي أجراها على الاقتصاد الأمريكي، تشير إلى أن معدلات الدخل تزيد كلما زاد المستوى التعليمي. وقد أشارت إحدى دراسات أكاديمية العلوم السوفييتية إلى أن نحو ٢٣٪ من الزيادة في الدخل القومي عام ١٩٦٠م تعود إلى أسباب تعليمية. كما أن الدراسات التي أجراها الاقتصادي البلجيكي أود أوكهرست

Odd Aukhurst (١٤) على الاقتصاد النرويجي خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٠ و١٩٥٥م تؤكد ذلك. إضافة إلى ذلك فإن الدراسات والأبحاث المختلفة والمتعددة، التي أجريت لدراسة النمو الاقتصادي في كثير من دول العالم، اشارت إلى أن التعليم يعدّ عاملاً أساسيًا من عوامل ذلك النمو، وأن أثره أكبر من أثر رأس المال المادي، مثل: دراسة دينيسون Denison. (عمار، ١٩٨٦م؛ مرسي والنوري، ١٩٧٧م؛ ومرسي، ١٩٩٨م).

## المراجع والهوامش

1. التعليم العالي والنظام الدولي الجديد، بيكاس س . سانيال ، ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقيمة التعليم العالي في الدول ذات الدخل المنخفض (رؤية اقتصادية)، ثيودور شولتز Th W. Schultz ، ص ص ١٠٤، ١٠٥، وللمزيد حول علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية، انظر: أحمد منير نجار، التعليم بين التكلفة والمردود الاقتصادي والاجتماعي، مجلة بحوث جامعة حلب . سلسلة العلوم الاقتصادية ، ع١١، ١٩٨٩م، ص ص ٧٩، ٨١، وخلاف خلف الشاذلي، الطلب الاجتماعي على التعليم ومتطلبات التنمية في التجربة التنموية السعودية، مجلة التعاون، ع ٣٨، ١٩٩٥م، ص ص ٨٥، ٩٥.
2. عمر الفاروق سيد رجب، نظام التعليم ومتطلبات العمالة في المملكة العربية السعودية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٣، ١٩٨٣م، ص ٥٥.
3. Sulayman al- Qudsi, Education and Arab Labor Markets: Major Development Links and Policy Challenges, 1997, p21.

ورقة عمل مقدمة لندوة (تنظيم ونمذجة أسواق العمل وديناميكية اليد العاملة في البلدان العربية)، القاهرة، ٢٦، ٢٨ مايو ١٩٩٧م.

4. عبدالناصر محمد رشاد، التعليم والتنمية الشاملة (دراسة النموذج الكوري)، ١٩٩٧م، انظر ص ص ١٧٨، ١٨٣، وللمزيد حول علاقة التعليم بالتنمية انظر: عبدالله محمد السنابي، الإنسان أساس التنمية وهدفها، دراسة علمية مقارنة تطمح إلى بناء رؤية عربية تنموية، ص ٢١، وانظر أيضًا بيتر دونر، ومحمود الشافعي، الموارد والتنمية، سياسات الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية كوسيلة لتطوير الاعتماد المتبادل بين الدول، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، ١٩٨٤م، ص ٥٧٣.
5. وديع حداد، دور التربية في الإنماء الاقتصادي والاجتماعي في لبنان، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، ١٩٩٧م، ص ٣، انظر أيضًا المؤلف نفسه، التعليم والتنمية الوطنية لعصر العولمة والمعلومات، وزارة المعارف، العدد ٣٥، ١٤١٩هـ، ص ١٠٧، ١٠٩ . وحسين كامل بهاء الدين، التعليم والمستقبل، ١٩٩٩م، ص ص ١٢، ١٤.
6. محمد عبدالعليم مرسي، التربية والتنمية في الإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٢م، ص٤٠، وللمزيد حول علاقة التعليم بالتنمية الاقتصادية، انظر: محمد نبيل نوفل، التعليم والتنمية الاقتصادية، ١٩٨١م، ص ٨٣، وعلي سعد القرني، العلاقة بين برامج التعليم العالي وحاجات المجتمع السعودي، ١٩٩٠م، ص ٥٣٨، وحمد البازعي، مخرجات التعليم العالي في السعودي، ١٩٩٨م، ص ٧٩.
7. يجب البحث هنا عن أسباب استمرار او وجود مثل هذه العمالة غير المدربة حاليًا، خصوصًا ان أدوات ووسائل التعليم والتدريب والإعلام والاتصال تطورت كثيرًا، بشكل غير مسبوق، لذلك لا بد من إيجاد حلول جذرية وسريعة قدر الإمكان لمثل هذه المشكلة، كما أنه يجب على الأنظمة التربوية والتعليمية العربية الاستجابة السريعة لمواكبة التغيرات والتطورات العالمية في مجالات المعرفة والعمل، كما أنه يقترح فرض سن إلزامية للتعليم (أو زيادته في حالة وجوده) لبقاء الطالب في مقاعد الدراسة إلى سن ١٨ سنة على الأقل سواء في المدارس العامة أو المهنية. (الكاتب).
8. بيكاس س، سانيال، مرجع سابق، ص ١٠٧، وعبدالله العبيد وعبدالقادر عطية، اقتصاد المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م، ص ٢٥٨.
9. محمد متولي غنيمة، التربية والعمل وحتمية تطوير سوق العمالة العربية، ١٩٩٦م، ص ١٥.
10. المرجع السابق، ص ١٥.
11. للمزيد حول الدراسات والأبحاث ونتائجها في هذا المجال، انظر: محمد متولي غنيمة، المرجع السابق، ص ١٥.
12. باقر سلمان النجار، التعليم والتدريب والعمالة في الخليج العربي، مجلة التخطيط والتنمية، العدد ١، ٢، ١٩٩٣م، ص ١٦٤.
13. محمد مرسي وعبدالغني النوري، مرجع سابق، ص ص ١٦٨، ١٦٩، ومحمد مرسي، تخطيط التعليم واقتصادياته، ١٩٩٨م، ص ٨٦، وانظر أيضًا: حسين المطوع، مرجع سابق، ص٨٧، وإسماعيل محمد دياب، العائد الاقتصادي المتوقع من التعليم، الجامعي، القاهرة، ص ص ٥٢، ٥٣.
14. هنالك اختلاف بين الباحثين حول الدولة التي تمت فيها دراسة أو كهرست، فمثلاً ذكر مرسي والنوري، ١٩٧٧م، أن الدراسة تمت في الاقتصاد الأمريكي، بينما جمال أسد مزعل، ١٩٨٥م، ومحمد غنيمة، ١٩٨٧م، ذكرا أنها تمت في النرويج.




# فن التجليد في العصر العثماني الكلاسيكي

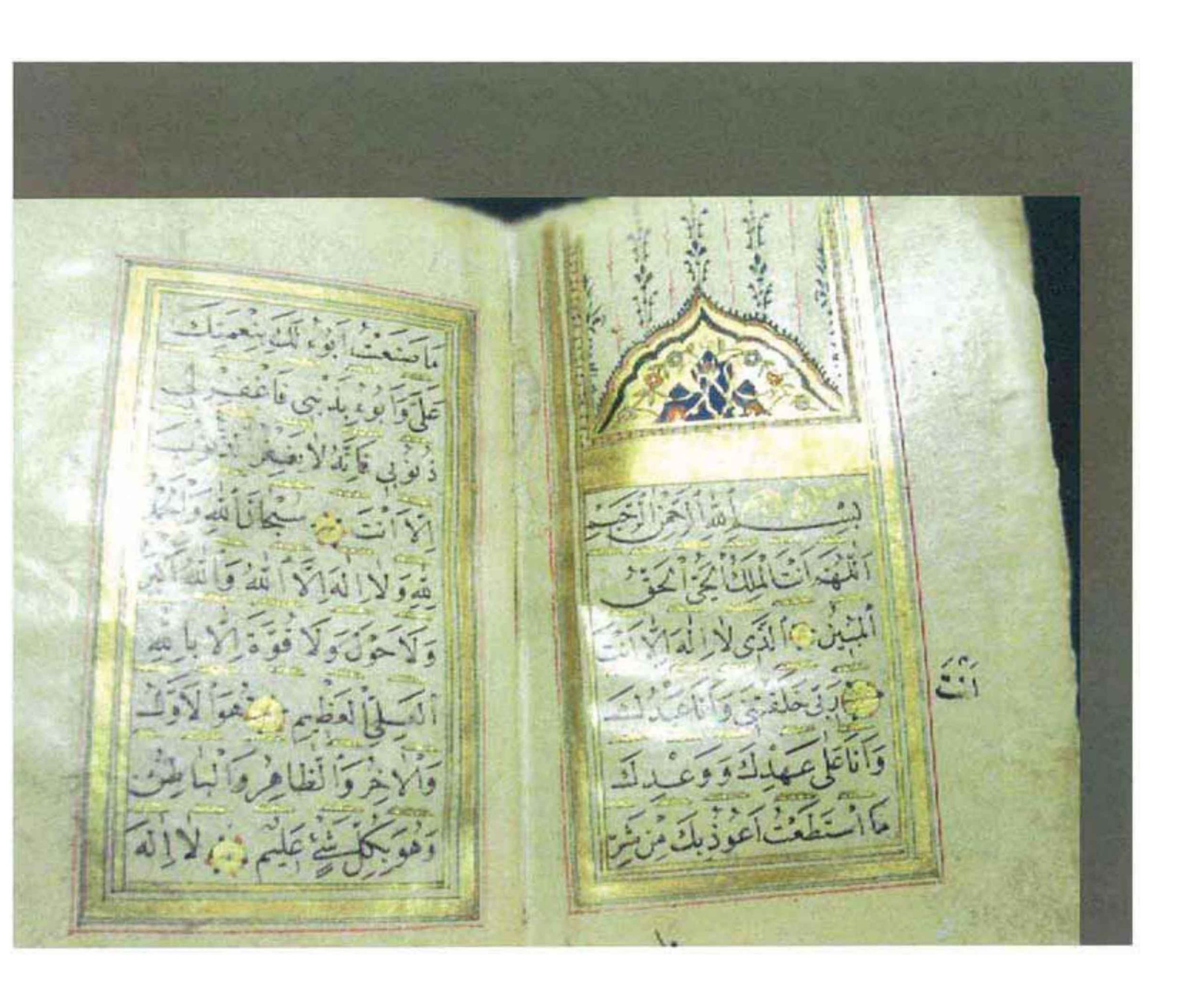
**سهيل صابان**

الرياض ـ السعودية

يطلق الجلد على الغطاء الحافظ الذي يجمع أوراق مجموعة ما أو كتاب، دون أن تتشتت أو تفقد تسلسلها. وهذا الاسم العربي الذي يعني الجلد [أي ما يغطي جلد الدواب وبني البشر]. قد أطلق عليه بناءً على أن التجليد قد تم تصنيعه من الجلد الذي هو الملائم لمثل هذا الفن (١).

وقد ظهر التجليد لما حلت محل الكتب، التي كانت على شاكلة التومار (الرول)، المجموعات (المصاحف) التي قطعت أوراقها بشكل مستطيل. وأقدم أغلفة الجلود التي وصلت إلينا، يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، وهو ما حفظ مجموعة من أوراق البردي، دون أي مظهر فني. أما أول الجلود التي حملت الوصف الفني، فقد ظهرت على يد الأقباط في مصر، وعلى يد الأويغور في آسيا الوسطى في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، والتشابه كبير بينها. وفي بدايات القرن العشرين ظهرت قطعتان من جلد ضمن مخطوطات مانية على يد «آلفرد فون لو كوك» في أثناء حفريات هوجو. وكما كان ذلك في الجلود القبطية فقد صنعت من الجلود، ونُحتت بالسكين، وزينت بمختلف النقوش. يضاف إلى ذلك أن الأقسام المنحوتة من الجلود قد الصقت بها من الداخل قطع جلود أخرى، مما أدى إلى إضفائها بطابع السطح المزدوج المنقوش، وكذلك باللون المزدوج عليها.

وأقدم النماذج المعروفة لفن التجليد الإسلامي ظهر في مصر وتونس، ويبدو أنها ترجع إلى بني طولون (٨٦٨ ـ٩٠٥م). ويظهر تشابه كبير في جميع فنون التجليد


بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم انت الملك الحق
المبين الذي لا اله الا انت
ربي خلقتني وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر
ما صنعت ابوء لك بنعمتك
علي وابوء بذنبي فاغفر لي
ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم هو الاول
والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم لا اله

الإسلامي المصنوعة في القرن العاشر إلى الثالث عشر الميلاديين. وقد استمر هذا الوضع - نسبياً - في القرن الرابع عشر الميلادي أيضاً. وعمل السلاجقة، الذين حكموا الأناضول بدءاً من أواخر القرن الحادي عشر الميلاديين، أسلوباً في التجليد رائعاً في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وهذا الأسلوب، الذي يطلق عليه رومي، أسلوب للتجليد عند السلاجقة في الأناضول، استمر في الإمارات التركية بالأناضول، وعلى رأسها المماليك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، والإلخانيين والقرمانيين بدءاً من القرن الرابع عشر الميلادي، وهذا الأسلوب هو الذي مكن للانتقال إلى فن التجليد العثماني. والحقيقة أن التساوي بين فن التجليد المملوكي والتجليد العثماني كبير جدًا في القرن الخامس عشر. وقد ظهرت أغلفة تجليد جميلة في هذا العصر، وفي عهد التيموريين وقره قيون وآق قيون. أما بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي فإن فن التجليد الكلاسيكي العثماني، أصبح أكبر ممثل لصناعة التجليد التركي والإسلامي، واستمر هذا الوضع إلى القرن العشرين الميلادي.



عناية كبيرة بتجويد تجليد القرآن الكريم

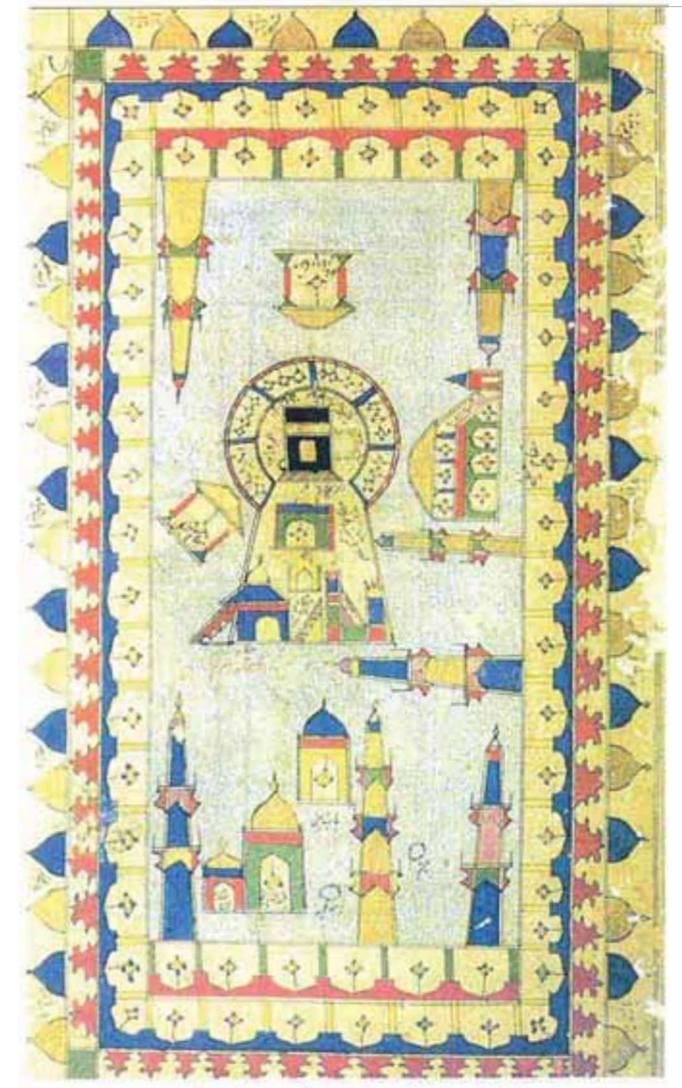
### أساليب التجليد

يختلف التجليد من حيث الملازم والتزيينات أكثر من حيث الخصائص الفنية. وهذه الأساليب تسمى بأسماء المجالات الثقافية التي تتبعها. ومن خلال التطور التاريخي فإن الأساليب المتبعة في فن التجليد الإسلامي هي: الخطاي، العربي، المملوكي، المغربي، التركي (العثماني)، البخاري الجديد.

ـ إن أسلوب الخطاي الذي يرجع في جميع الطرز النباتية التي يطلق على تزييناته الخطاي، ينقسم فيما بينه إلى عدة أقسام داخلية مع فروق طفيفة بين قسم وآخر، وهي: الكاشي، والخراساني، والبخاري، والدهلوي.

ـ الأسلوب الهراتي: وقد تم تطوير هذا الأسلوب في عهد التيموريين (١٣٧٠ـ ١٥٠٦م) في أكبر مركز لفنون الزخرفة هراة، وغيرها من المراكز المهمة، مثل شيراز وأصبهان، على يد المعلمين الأتراك والمغول والفرس. ومن أهم نماذجها التي

الأنماط النباتية التي تستخدم في كثير من الأحيان على نحو تراكمي دون أن يتضح أصلها. عادية في مظهرها لدى سلاجقة الأناضول. وقد استمر هذا النمط من الزينة في تطوير نفسها في عهد الإمارات التركية



زخارف عثمانية على غلاف كتاب عن الحرم المكي

جلدت في قصور تيمور وأحفاده، والوزير الشهير علي شير نوائي، ملئت بطون الشمسات والزوايا بطرز نباتية، ووضعت رسوم آدمية وحيوانية وثعابين وطيور وتنين، وغير ذلك من الحيوانات الأسطورية في الأماكن المناسبة من التجليد. وقد وضعت في داخلها أيضاً السماء الصينية. أما في داخل الغلاف فنرى استخدام طريقة فن القوطي بكثرة. وهذا الأسلوب من التجليد إلى جانب التيموريين يصادف في تجليد الجلايريين وقره قيون وآق قيون والصفويين وفي تجليد العهد العثماني المبكر. والعهد الأخير من أسلوب الخطاي يصادف الفترة نفسها لأسلوب هراة.

- الأسلوب العربي: وقد تطور في بلاد الجزيرة وحلب والشام. وجلود التجليد وزخرفتها بارزة. والحقيقة أن هذا الأسلوب هو المتأثر بالأسلوب التركي الذي بدأ مع العباسيين. ومستلهم من الأسلوب الأويغوري (تركستان الشرقية).

- الأسلوب الرومي: وهو التجليد المتبع في إمارات الإلخانيين، والإمارات الأناضولية، التي استمرت في تأثرها بالسلاجقة بعد الاستيلاء السلجوقي والمغولي على الأناضول.

- الأسلوب المملوكي المخلوط بالأسلوب العربي، الذي مارسه الأتراك المماليك في مصر، وهو يشبه في عدد

الغلافان الأمامي والخلفي في جلد سلاجقة الأناضول. كثيراً ما يكونان على الغرار ذاته. فعلى سبيل المثال: نجد أن أحدهما يتكون من شكل هندسي. والآخر صنع بالرومي أو ذو شمسة. أو أن شمساتها مدورة أو بيضوية

من الأوجه الأسلوب الرومي. فهو يتوازى مع الأسلوب العثماني في القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر الميلاديين. والعدد الأكبر من التجليد المصنوع على هذا الطراز أهدي إلى قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦م)، وقانصو الغوري (١٥٠١-١٥١٦م).

- الأسلوب المغربي: تطور هذا الأسلوب في الأندلس وصقلية والمغرب. وهو يحاكي الأسلوب العربي. وقد أثر

في صناعة التجليد الأوربي من خلال إسبانيا وصقلية. واللون بشكل كثير هو البني بمختلف درجاته، والأسود. والشمسات الدائرة والرسوم الهندسية المتشابكة كثيرة. وفي زوايا التجليد لابد من وجود زينة وإطار للزخرفة.

- الأسلوب التركي: وقد ظهر في ديار بكر وبورصا وادرنه وإستانبول. وهو على ثلاثة أنواع: شقوفة، وباروك، والحديث. وبينها اختلافات يسيرة. والمدن المذكورة هي أكثر المراكز تقدماً في تطوير التجليد العثماني. والأسلوب المسمى اللاك، يدخل ضمن هذا الأسلوب.

- البخاري الجديد والخطاي. وقد تشكل من المزج بين الخطاي والدهلوي والأوربي، وهو آخر صفحة من صفحات تطور التجليد الإسلامي.

أنواع التجليد

يمكن تقسيم أنواع التجليد الذي تطور معظمه في العهد الكلاسيكي للأسلوب التركي، من حيث الأدوات، وفن التزيين إلى مجموعتين اثنتين: الأولى حسب الأدوات: الجلد، والقماش، والمجزَّع، والمرصع، واللاك؛ والثانية حسب فن التزيين: ذو شمسة، وذو بهار، وبك شاه، وزردوز، وجاركوشه.

- جلد التجليد: الجلد هو أكثر الأدوات استخداماً وأساساً في عملية التجليد. وجلود التجليد على مختلف الأنواع:

أ - جلد ذو شمسة: ويأخذ اسمه من الشمسة التي توضع على الجلد. وتسمى هذه الجلود بمختلف الأسماء حسب طرز وصف الجلد بها، منها:

- الشمسة المفصولة من الأسفل. وفيها يترك الجانب البارز من الجلد على لونه، وتذهّب الأرضية.
- الشمسة المفصولة من الأعلى. وفيها تترك الأرضية على لون الجلد، وتذهّب النقوش.
- الجلد ذو شمسة ملمّعة. وفيها يتم تذهيب النقوش والأرضية كلها. وفي هذه الحالة يمكن استخدام لونين من التذهيب.
- الشمسة الملونة. وفيها يتم تغليف الشمسة والكعب وغيرهما من الجوانب بتجليد من لون آخر، غير التجليد الأساسي المستخدم في الغلاف. وفيها طرز، مفتوحة من الأعلى والأسفل.
- الشمسة الباردة. وتطبع الشمسة فيها على غلاف الجلد دون استخدام الذهب. ولذلك فلا يكون التجليد بلون مخالف عن لون الجلد.
- المشبّك بشمسة (قطعية). وتظهر الشمسة على الأغلب في الجانب الداخلي من الجلد. فبعدما يتم نحت الجلد مثل الدانتيل، يلصق على الغلاف الداخلي من أرضية الجلد أو القماش المختلف في لونه.

ب - الجلد ذو البهار. وقد أخذ اسمه من نوع التزيين الذي يطلق عليه أيضاً في الأوساط الشعبية «شمسة قفص»، والذي ظهر في أواخر القرن الثامن عشر، ولا سيما في القرن التاسع عشر الميلادي. حيث يتم وضع خطوط على شاكلة الورق المشرح على أربع قطع على الغلاف. وهذا التزيين يمكن أن يضم وسط الجلد والأرضية بالكامل. والفجوات الموجودة

يمكن تقسيم أنواع التجليد الذي تطور معظمه في العهد الكلاسيكي للأسلوب التركي، من حيث الأدوات، وفن التزيين إلى مجموعتين اثنتين: الأولى حسب الأدوات: الجلد، والقماش، والمجزَّع، والمرصع، واللاك؛ والثانية حسب فن التزيين: ذو شمسة، وذو بهار، وبك شاه، وزردوز، وجاركوشه

بين المستطيلات التي شكلت فيما بعد، تملأ بنجوم، ما يضفي على الغلاف ثراءً في المظهر.

ج. جلد يك شاه: تتم النقوش من خلال الضغط بمعدن حاد - يسمى يك شاه - على الجلد. ويتم أحياناً إجراء هذا الطراز من النقوش على شمسات ذي البهار أيضاً.

د. جلد زردوز: وهي الجلود التي يتم نقش الإطارات باللون الأصفر والوردي والأخضر عليها بطراز واقعي.

**. تجليد جار كوشه (بأربع زوايا)**

وهو نوع من التجليد المخملي أو المطرز، مغطى بالقماش المطرز أيضاً، شكلت الجوانب مثلثات في الزوايا مغطاة بالجلد. ويأخذ اسمه من الزوايا.

**. تجليد القماش:**

وهو التجليد الذي يتم باستخدام الكتان أو الحرير أو القماش المخملي على الورق المقوّى وتغليفه به.

**. التجليد المجزع:**

من المعلوم أن تاريخ المجزع يعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وله مكان مهم في صناعة التجليد. وحتى يتحمل التجليد المجزع أكثر، فإنه كان يستخدم فيه فن الزوايا الأربع. وكما يستخدم المجزع في الغلاف الخارجي والداخلي للتجليد، فإنه كان يرجح إلى غيره في صناعة محافظ الكتب.

**. التجليد المرصّع:**

وهذا النوع من التجليد يتعلق في الحقيقة بصناعة الذهب أكثر من فن التجليد؛ إذ إنه نوع من التجليد الفاخر جدًا، وقيمته المادية عالية. وله أنواع، منها ما هو مصنوع من العاج المحفور، ومنها ما هو مغطى بالذهب، والموزاييك، والبارز النافر، ومنها ما هو مزين بالياقوت والزمرد، واللؤلؤ والألماس. وقد نفذ هذا النوع من التجليد - على الأغلب - في أغلفة المصاحف الشريفة.

**. تجليد اللاك:**

أخذ اسمه من كلمة اللاك (ورنيس)، وهو صقل الورق المقوى الذي يشكل الجلد المسمى روغاني أو أدرنه كاري. حيث يتم نقش هذا السطح الملمع بمختلف النقوش من الذهب والصبغ إلى أن يصل إلى مستوى الزجاج في لمعانه، ويصقل بالورنيش عدة طبقات. وأول نماذج هذا النوع من التجليد ظهر لدى العثمانيين والتيموريين في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد طبق بعد ذلك العصر لدى الصفويين والبابوريين.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، يمكن تناول التجليد الخاص بمحافظ الكتب «جلدبند» ضمن التجليد أيضاً. فجلدبند هو تصنيع غلافين من الجلد مثل الكتب، وله جيب داخلي، يتم وضع الأوراق فيه؛ حتى لا تبلى أو تتمزق وتتلف. ويمكن عدّ هذا النوع من المحافظ من الشنط التي توضع في (أثناء الحمل) تحت الإبط، دون أن يكون له ممسك. أما محافظ الكتب، فهي العلبة الخاصة بحفظ الكتب المخطوطة، بحيث يوضع فيها المخطوط بالطول. وعلى الرغم من وجود ما هو مغلف بالكامل بالجلد، إلا أن الأغلب على هذا النوع من المحافظ ما صنع من المجزع. ويلصق شريط من داخل المحفظة، بحيث يبقى بمسافة ١سم، إلى ٥ر١ سم في

أول نقابة للتجليد أنشئت في عهد بايزيد الثاني (١٤٨١_١٥١٢م). وبذلك فإن مجلدي القصر الذين شكلوا فئة مثل الفئات المهنية الأخرى، قد انقسموا في البداية إلى معلمين وصبايا. والمعلمون انقسموا فيما بينهم إلى عدة أقسام حسب خبرتهم، وقدمهم ورتبهم ومواقعهم في هذه المهنة



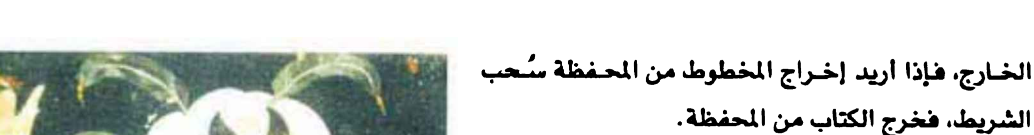


السلطان عبد الحميد



السلطان سليم الثالث

السلطان مراد



الخارج، فإذا أريد إخراج المخطوط من المحفظة سُحب الشريط، فخرج الكتاب من المحفظة.

### المجلدون ونقابة التجليد

بناءً على أن المجلدين - على الأغلب - هم نقاشون ومذهّبون ومصورون (رسامون) أو معلمو المجزع، ونظراً لعدم العثور على توقيعاتهم على التجليد، إلا نادراً، فيصعب الإحاطة بمعلمي هذا الفن كلهم. والنموذج الأبكر للتوقيع ضمن تجليد القرون الوسطى الإسلامي، يحمل عام ٦٥٤هـ (١٢٥٦م). ويظهر التوقيع على التجليد في الأناضول وسورية أكثر من الشرق الأوسط. والتوقيعات على بُعد ٥-٦ مم في شكل أختام مدورة. والتوقيعات التي تم التأكد منها هي: مصطفى بن محمد، مجد الدين، أمين، إبراهيم، يوسف القونوي، محمد الشريف (أو السيد محمد)، سرمدي، أسعد، حسن،



السلطان سليم الثاني

حب السلاطين العثمانيين لقراءة الكتب. قد أدى إلى نشأة بيئة صالحة لتطور فنون الكتاب. وقد أنشئت في القصر ورش للخط والتذهيب. والمنمنمات والتجليد. عمل فيها أبرز المتخصصين المحليين والأجانب

المغربي، أحمد. كما يوجد منها بعض الأختام كختم سليمان، المزين بوُرُود، مكتوب فيها عبارة «حسبي الله» التي يُعتقد أنها رمز للمجلد. وقد شكل من تلك الأختام عنصر لتزيين التجليد أيضاً، حيث وضعت في الزوايا، أو في الشمسات، أو في الكعب أو المِقْلب (اللسان). وكل ختم (كليشة) من تلك الأختام طبع من مرة إلى ٣٠ مرة. وما يعود منها إلى العهد العثماني، يعرف أكثر من غيره من الأسماء، سواء بمساعدة التوقيع أو من خلال دفاتر أهل الحرف. وقد تم التحقق من سبعين مجلداً عاشوا بين القرن السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين.

إن حب السلاطين العثمانيين لقراءة الكتب، قد أدى إلى نشأة بيئة صالحة لتطور فنون الكتاب. وقد أنشئت في القصر ورش للخط والتذهيب، والمنمنمات والتجليد، عمل فيها أبرز المتخصصين المحليين والأجانب، في عهودهم في تلك الفنون. وقد تم استقدام الأجانب في ورش مستقلة؛ حتى لا يبقى فن الكتاب التركي تحت التأثير الأجنبي من جهة، والحفاظ عليه وتطويره دون تغيير من جهة أخرى.

وأول نقابة للتجليد أنشئت في عهد بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م). وبذلك فإن مجلدي القصر الذين شكلوا فئة مثل الفئات المهنية الأخرى، قد انقسموا في البداية إلى معلمين وصبايا. والمعلمون انقسموا فيما بينهم إلى عدة أقسام حسب خبرتهم وقدمهم ورتبهم ومواقعهم في هذه المهنة. مثل رئيس المجلدين، رئيس الفرقة، رئيس الفرفة، مدير أعمال، رئيس مديري أعمال. وقد اتضح من دفاتر أهل الحرف في قصر طوب قابي أن عدد المجلدين الخواص قد بلغ في وقت من الأوقات خمسين مجلداً. وكان الصاغة والحبارون أيضاً تابعين لنقابة التجليد الخاصة. كما أن المجلدين قد عملوا أيضاً في خارج فرقتهم، مع الكماخيين والجلنكيريين وكُتّاب الديوان. لكن كان عملهم في هذه الفرق أيضاً محصوراً في فن التجليد. أما المجلدون العاملون خارج القصر أحراراً، فقد كانوا يجتمعون في السوق الواقع الآن محله كلية الآداب بجامعة إستانبول. وقد ذكر أوليا جلبي أن ثلاثمئة مجلد كانوا يعملون في مئة دكان صغير بجوار جامع بايزيد في القرن السابع عشر الميلادي. وقد احترق كل تلك الدكاكين في الحريق الكبير الذي تعرضت له إستانبول في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

## صناعة التجليد

أول عمل يتم القيام به في تجليد كتاب ما، هو وضع

القرن الخامس عشر الميلادي هو المرحلة الانتقالية من تجليد سلاجقة الأناضول إلى التجليد العثماني. والنماذج الأولى للتجليد العثماني باقية من عهد السلطان محمد الفاتح. ويظهر عليها تأثير سلاجقة الأناضول بشكل واضح



الأوراق بعضها على بعض وخياطتها. وقد استخدم الأتراك في الخياطة الخيط الأصفر. وكعب الكتاب في التجليد التركي يصنع بشكل مستقيم. ولا يترك محدباً. ولأجل مسك الكتاب من أعلى الكعب وأسفله، ومنع تفتت الأوراق، تنسج له شاش. وتوضع تحت هذه القطعة وسادة من الجلد. ويمكن لصق قطعة قماش على الكعب (الحبكة). وتحلق زوايا الكتاب بآلة حادة، وتعدّل.

والمادة غير المرئية لأغلفة التجليد السفلية هي (الكرتون) المقوّى. وهذا المقوى الذي يعدّ بشكل خاص، يقطع حسب أبعاد الكتاب. وحتى لا تخرب الشمسات التي توضع على الجلد، وكذلك التزيينات الأخرى مع مرور الأيام، ينحت القسم الذي يقع تحتها من المقوى، فيوضع الأرق منها لدى العثمانيين. وهذه العملية التي تجرى للغلاف الأمامي والخلفي، تجرى كذلك على المقلب الذي هو امتداد للغلاف. ويتم ترقيق أماكن الطي من الجلد الذي يغطى به الغلاف، ثم يغسل، ويجفف، ويغطّى به المقوّى. وهذه العملية تجرى على نوعين:

. نقل الجلد بالكامل على الغلاف ويضغط على فراغات المقوى من خلال القالب الخارجي، بحيث تبرز النقوش.

. إذا كانت الشمسات والزخارف الأخرى ستغطى باللون الواحد من التجليد، فإن جلد الغلاف يقطع مع زيادة ٣ .٥ مم عن حجم المقوى، ويلصق. ويتم وضع الجلد بمختلف الألوان. وحتى يتم إبراز النقوش التي توضع على الجلد بالضغط بكل تفصيلاتها، فإنه يتم صقل المقوى بالمعجون. وبناءً على أن هذه الطبقة من المعجون ناعمة، فإنه يدخل إلى جميع الحوافر الموجودة في المقوى، ويساعد ذلك على إبراز النقوش البارزة. ويتم تجفيف الأغلفة المنتهى منها في أماكن الظل المعتدلة في الحرارة. ويتم فتح الغلاف الأمامي إلى اليمين، والخلفي إلى الشمال مع المقلب. ويطلق على



الفتحة الموجودة بين الغلاف والكعب المساعدة لفتح الغلاف بيسر وسهولة «حصة المقعد»، والفراغ الموجود بين الأغلفة والمطلب والرأس اسم «دوداق» (الفم). فالرأس يحفظ مقدمة الكتاب. أما المقلب الذي يشبه رأسه المثلث، فإنه يمسك الرأس ويدخل بين الكتاب وبين الغلاف الأمامي. كما أنه يستخدم إشارة إلى الوصول بسهولة إلى الصفحة التي تقرأ.

الأدوات

. الجلد: وهو أكثر الأدوات استعمالاً في أغلفة التجليد. وأكثر ما يستخدم منها جلود الغنم (مشين) والماعز (سختيان)، والغزال (راق)، وبشكل نادر جلود الأبقار (كوسه له). وتوجد جميع درجات اللون البني في الجلود التي استخدمها سلاجقة الأناضول والمملوكي. وإضافة إلى استخدام البني في العهد العثماني بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي، فقد استخدم اللون العنابي والأخضر والأسود. والمعلمون السلاجقة كانوا يستخدمون اللون الواحد لداخل الغلاف وخارجه، أما غيرهم فقد رجحوا استخدام لونين مختلفين، وإن كانوا لم يستبعدوا استخدام اللون الواحد، على غرار الأولين. وقد استخدم الجلد برقة تامة في داخل الغلاف، على نحو يراه غير المتخصص أنه ورق عادي. وعملية الترقيق التي كانت تجرى سابقاً باليد، تتم اليوم من خلال الأجهزة الخاصة.

. المقوى المرقع: كان التغليف يتم بالخشب الرقيق في الأزمان التي لم يكن للورق وجود فيها، وكذلك في التجليد الإسلامي الأول. إلا أن المقوى قد حل محل الخشب بعد فترة قصيرة من الزمن. وهذا المقوى يتشكل من وضع الأوراق بعضها على بعض بحيث يلصق بالأخرى بصورة معاكسة، وضغطها بالمشط. وبعد أن يجف يصبح

مثل الخشب قاسياً، ولم يكن يطوى. وفي الوقت الذي كان يتم فيه إعداد أدوات الغلاف، كان يخلط بالصمغ، الذي يلصق الأوراق بعضها ببعض، بعض المواد السامة، مثل: الشاب، وتنه كار، وعصير التبغ، وغير ذلك؛ حتى يمنع التجليد من الأرضة.

. الحرير والخيط والخيط الحريري: لقد استخدم الخيط الأصفر الحريري الرقيق، لمسك أوراق الكتاب وتواؤم لونه بلون الورق المصقول. كما أن الحبكة التي توضع في أعلى الكعب وأسفله لجعل الكتاب متيناً وقوياً، قد استخدم فيه الحرير الملون.

. الذهب المضروب والورق المذهب وماء الذهب: إن ما يعثر عليه بكثرة على الجلود، وله سُمك معين، ويظهر تساقطه أحياناً من نقاط ذهبية، يوضح أن أدوات مهمة من الأدوات المستخدمة في التجليد الإسلامي في القرون الوسطى ولا سيما التجليد السلجوقي بالأناضول، كان من الذهب المضروب. وقد استخدم في تجليد العهد الأخير للسلاجقة نقاط من الذهب المضروب، كما استخدم في الجداول والتحريرات ماء الذهب. وظهر في العهود التالية له استخدام الذهب بالفرشاة في سطح الغلاف كله، أو لصق ورق الذهب وطبع النقوش عليها.

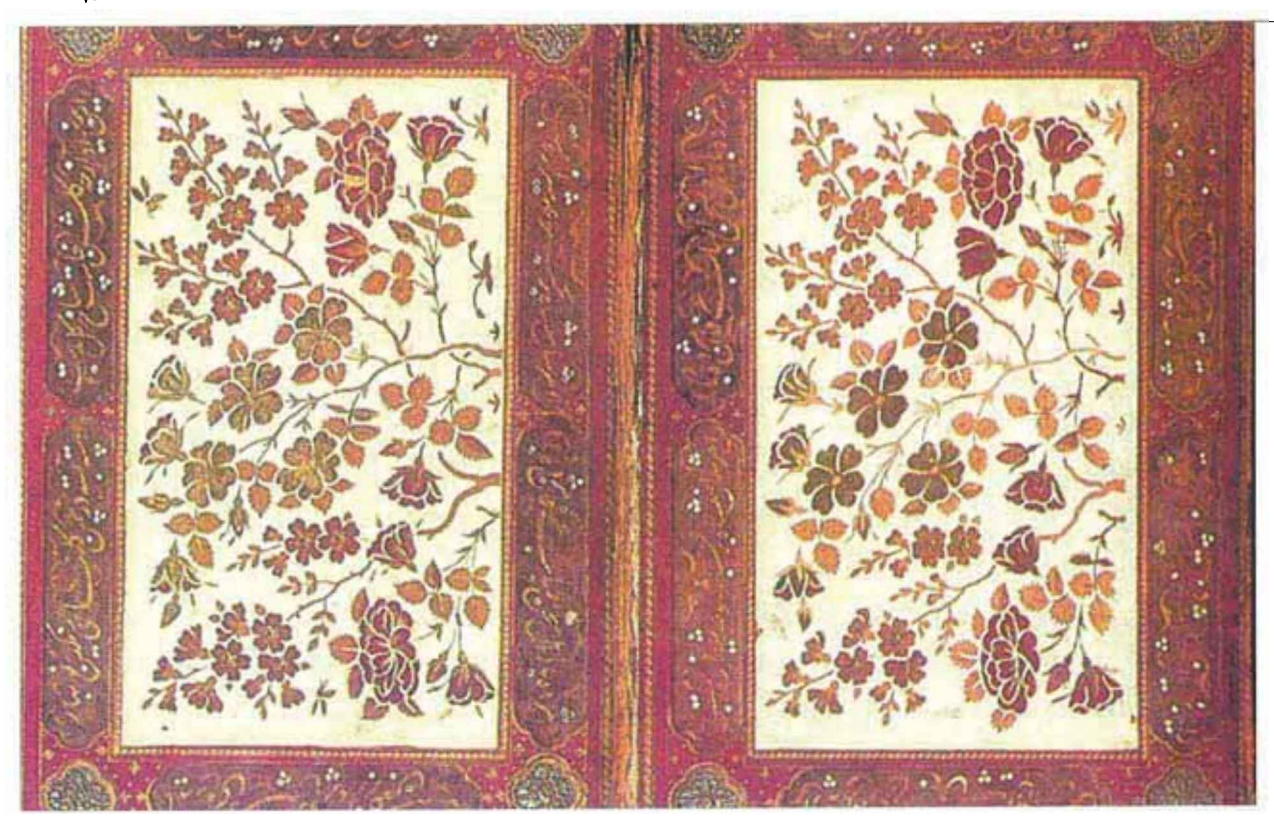
يطلق القالب على الآلة التي تساعد على طبع النقش على الجلد بشكل بارز [الكليشة]. والقوالب المصنوعة من المعدن والخشب والجلد، تسمى "قالب شمسة" و"قالب الزاوية" حسب موقعه من الغلاف


ازدهار صناعة الكتاب في العصر العثماني



**الأدوات التي تستخدم في صناعة الجلود**

القوالب الصغيرة والكبيرة: يطلق القالب على الآلة التي تساعد على طبع النقش على الجلد بشكل بارز (الكليشة). والقوالب المصنوعة من المعدن والخشب والجلد، تسمى «قالب شمسة» و«قالب الزاوية» حسب موقعه من الغلاف. ولكون القوالب الخشبية والمعدنية كانت تخدّش الجلد في أثناء الطبع، فقد رجحت في التجليد التركي قوالب من جلود الإبل. واستخدم في بعض أنواع التجليد، ولا سيما في الشمسات ونقوش الزوايا وفي داخل المقلب والغلاف، قوالب كبيرة من قطعة واحدة. ويتضح هذا الأمر من وجود أكثر من تجليد للنقوش ذاتها في الأبعاد نفسها. أما في غير ذلك: أي: في البرواز، وفي الزوايا، وفي الحشو الداخلي للشمسات، وفي كعوب المقلب (اللسان) فقد استخدمت فيها القوالب



غلاف جميل لكتاب يرجع إلى العصر العثماني

الصغيرة. فمثل ذلك طُبعت لمرة واحدة، كما طبعت عدة مرات: جنباً إلى جنب، أو بعضها تحت بعض أو فوق بعض بدرجة التغطية على الغلاف تماماً. وبعض تلك القوالب قطع صغيرة جدًا على بُعد ٥ . ٦ مم. فعلى سبيل المثال: التوقيعات المدورة، والتوقيعات

ظهر التجليد لما حلت محل الكتب - التي كانت على شاكلة التومار (الرول) - المجموعات (المصاحف) التي قطعت أوراقها بشكل مستطيل. وأقدم أغلفة الجلود التي وصلت إلينا، يرجع إلى القرن الرابع الميلادي

الوردية هي من هذا القبيل. ويمكن إدخال «مسمار البرواز» الذي يشكل البرواز مع جمع بعضه إلى بعض، في التصنيف نفسه.

الأدوات الأخرى: ويطلق على هذه الأدوات «كور آلت» (الآلة العمياء) و«يك شاه» و«تَبّر». ويبدو انه بسبب تغير لون الجلد من تأثير الحرارة عليه، كانت تلك الأدوات تحمر في النار فتطبع على الجلد. ولا سيما الأشكال الهندسية والروميات الكبيرة على الأغلفة، التي صنعت بتلك الآلات؛ لأنه لا يمكن رؤية الانتظام الذي شكله القالب في كل مكان من الغلاف. والفرق في النقوش المتقابلة أكثر وضوحاً. وعلى الرغم من ان تلك الأدوات قد صنعت لوضع الأطر على الأغلفة ونقش الزخارف البسيطة، على أن تستخدم وحدها (أي في المهمة التي

صنعت لها)، إلاّ أنها في أغلب الأحيان كان يستخدم بعضها في محل بعضها الآخر. وسواء أكانت قوالب كبيرة أم قوالب صغيرة فقد سخنت على الجلد دائماً وطُبعت. فإن كانت الطباعة من دون الورق المذهب، يطلق عليها الطباعة الباردة.

التقنية: لقد استخدمت في صناعة التجليد منذ بدايته حتى يومنا الحاضر تقنيات الطبع والضرب والصبغ. ففي تقنية الطبع يتم إجراء عمليتين اثنتين بالقالب مع الأدوات الصغيرة: في الأولى يتم نحت الأشكال على القالب (أنثى)، ويعمل على إخراجها ناتئاً بارزاً في نهاية الطبع. أما الأشكال الصغيرة فيتم تشكيلها من خلال الضرب بالمطرقة (الشاكوش). وفي تقنية الضرب يتم وضع الورق الذهبي أو الذهب الأسمك قليلاً من الآخر في شاكلة لوح مستو، يوضع على الجلد الذي مسح بالصمغ بقوة، ويضرب بالجلد من خلال آلة معدنية محفورة في الوسط حادة مدورة في الحوافي. وإذا رفع الذهب في هذه التقنية المزخرفة يظهر أثره على الجلد. أما تقنية الصبغ فهي ضرب ورق الذهب . الذي تحول إلى سائل من خلال السحق بالفرشاة على الجلد. فإذا جف يتم تلميعه بالمُهرة. وإلى جانب استخدام الذهب في التجليد العثماني والمملوكي بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي، فقد استخدم الصبغ الأزرق أيضاً. أما في التجليد التيموري، فيظهر تعدد الألوان أكثر تنوعاً.

التجليد في عهد سلاجقة الأناضول وفي عهد الإمارات [التركية]

إن أبكر نموذج لتجليد عهد سلاجقة الأناضول يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. ولا يظهر أي فرق في الأقسام بين غلاف مجلد من عهد سلاجقة الأناضول، وأمثاله من التجليد التركي أو الإسلامي. فالفرق لا يكمن في تكوين الجلد، وإنما في مفهوم التزيين وتطبيقه على الجلد. وإذا حقق النظر في تجليد عائد إلى عهد السلاجقة، وفي تجليد متبع الأسلوب السلجوقي يتبين أن الزخارف كانت متلائمة كثيراً مع الأشكال الموجودة في الأخشاب والقاشاني والمعدن، وفي فن المنمنمات في ذلك الزمن. ومثل كل تجليد إسلامي، فإن تجليد سلاجقة الأناضول يتكون من الغلاف الأمامي والخلفي، والمقلب، والظهر، والراس، والغلاف الداخلي.

الأغلفة: إن الغلافين الأمامي والخلفي في تجليد سلاجقة الأناضول، كثيراً ما يكونان على الغرار ذاته، فعلى سبيل المثال: نجد أن احدهما يتكون من شكل هندسي، والآخر صنع بالرومي أو ذو شمسة، أو أن شمساتها مدورة أو بيضوية. وعلى الرغم من ذلك فيوجد من التجليد ما كان غلافاه على الطراز ذاته. وبسبب تزيين داخل الأغلفة في تجليد العهد السلجوقي، وطباعته بطراز الطباعة الباردة، من خلال النقوش الناتئة والبارزة، فإنها تحمل في نفسها خصائص مميزة. وفي هذه التزيينات، وعلى أن تكون الكثافة لدى الروميين، فإنه يظهر ثراء في الأشكال النباتية والهندسية.

أقدم النماذج المعروفة لفن التجليد الإسلامي ظهر في مصر وتونس، ويبدو أنها ترجع إلى بني طولون (٨٦٨ ـ٩٠٥م). ويظهر تشابه كبير في جميع فنون التجليد الإسلامي المصنوعة في القرن العاشر إلى الثالث عشر الميلاديين. وقد استمر هذا الوضع ـ نسبياً ـ في القرن الرابع عشر الميلادي أيضاً

المقلب (اللسان): إن المقالب عادة تكون مزينة على نمط الغلاف الخلفي الممتدة له. ومنها ما لا يكون له علاقة بزينة الغلاف. وأكثر عناصر الزينة استخداماً في المقالب ما عدا الشمسات الشبيهة بشمسات الأغلفة، هو الهلال ومهر (ختم) سليمان. كما توجد أيضاً نماذج حبكت أرضيته بالكامل، وملئت بالأشكال المتداخلة.

الظهر: يكون الظهر عادة في التجليد السلجوقي مستقيماً وناعماً. ولا يُعثر على نماذج محدبة فيه.

الرأس: لا توجد زخارف في رأس العهد الأول. إلا أنه صنع زخرف فيما بعد. وبعضها في حالات نادرة تحوي كتابة.

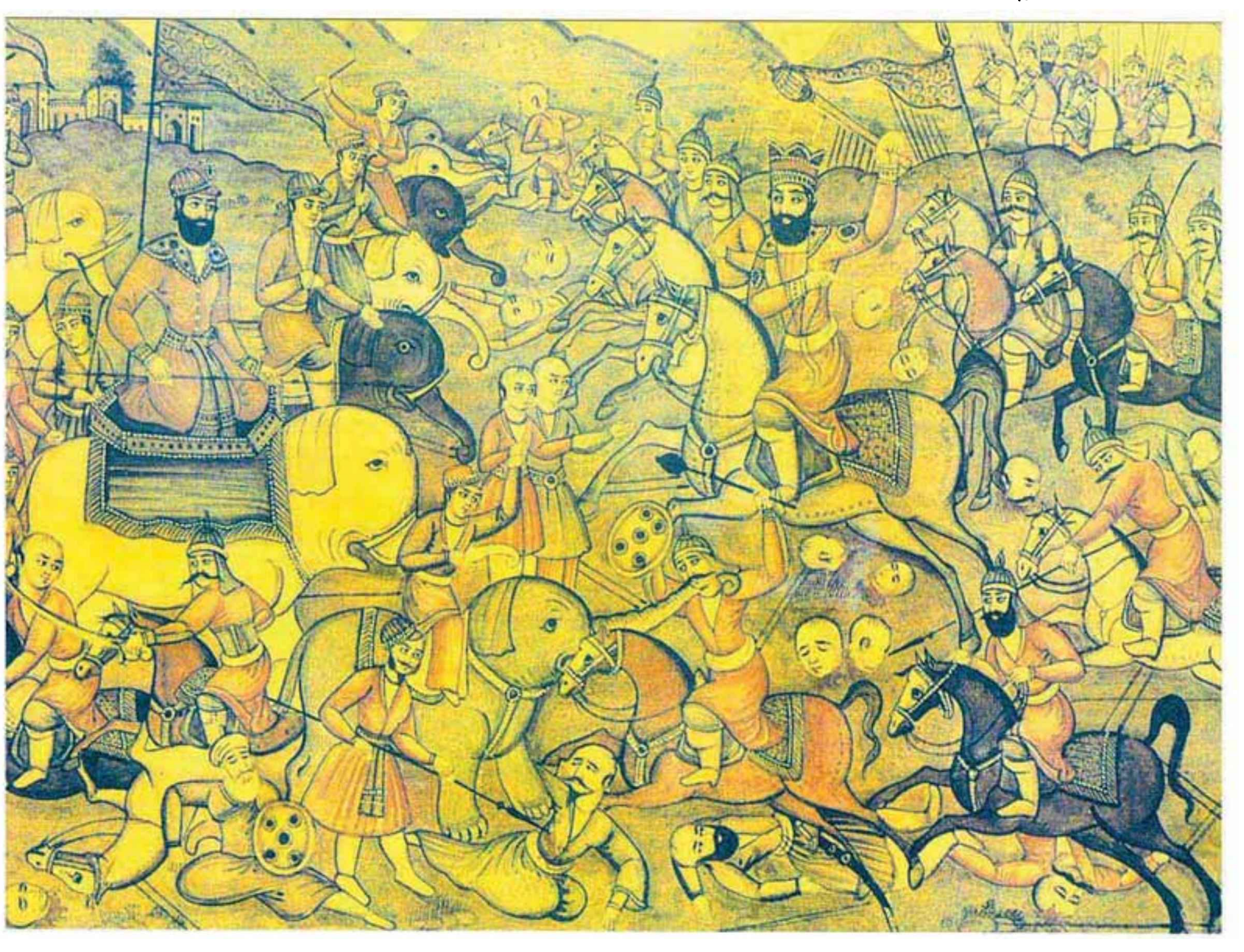
تزيين التجليد: تظهر أنماط الزخارف نفسها ـ تقريباً ـ التي استخدمت في سائر فروع الفنون التركية. في جلود سلاجقة الأناضول، ويمكن ترتيب أهم عناصر الزينة تلك على النحو الآتي:

ـ الشمسة: إن الشمسة التي استخدمت بكثافة في أغلفة التجليد، والتي تنقسم إلى الرومي والخطائي والمتداخل، والتي تعرف بأنها تعكس شكل الشمس المشرقة، يمكن وصف أشكالها على النحو الآتي: المستقيم المدور، ذو أربع شرائح مدور، ذو ست شرائح مدور، ذو ثماني شرائح مدور، ذو عشر شرائح مدور، ذو اثنتي عشرة شريحة فأكثر مدور، ذو ختم سليمان مدور مستقيم، ذو ختم سليمان سادة، مدور وبداخله ٥ ـ ٨ ـ ١٠ ـ ١٢ ذراعًا بنجم مع أرضية هندسية بمركز واحد أو أكثر، ذو الرومي، ذو الخطائي، الممهد للانتقال من المدور إلى البيضوي، مستقيم رقيق بيضوي، بيضوي أقرب إلى الكلاسيك، ذو برواز وسمادة، مثمن، مكعب.

ـ الرومي: إن هذا العنصر للزينة المستخدم من القديم في الفنون التركية كافة ، وبسبب تطويره من لدن سلاجقة الأناضول لإعجابهم الشديد به، فقد أطلق عليه رومي؛ الذي يعني ما يتعلق بالأناضول. وهو ينبع من رسوم الحيوانات في فنون أتراك آسيا الوسطى. وبعد قبول الإسلام عدلت فيها بحيث قضيت فيه تماماً على الجانب الحيواني، فأصبح نمط زينة مجرداً. واستخدم الرومي في تجليد السلاجقة بالأناضول في خارج الأغلفة، وفي داخلها، وفي المقالب مغطياً الأرضية كلها. كما استخدم في الأنماط المزنجرة (البرواز)، وفي مراكز الشمسات، وفي غير ذلك من عناصر الزينة. وأقدم مجلد استخدم فيه هذه الزينة يعود إلى سنة ٥٩٢هـ (١١٩٦م). وهذا الإجراء الذي بدأ في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي يمتد في داخل الأسلوب السلجوقي حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.

ـ التزيين الهندسي: من المعلوم أن منشأ التزيين الهندسي الذي استخدم في أكثر أعمال الزينة لدى الأتراك والسلاجقة، والذي يطلق عليه «آرابسك»، يعود إلى فنون الترك في آسيا الوسطى. وقد استخدمت الأنماط الهندسية في مختلف أماكن الجلد أو على شاكلة مجموعات نجمية مغطية الأرضية. وعلى الرغم من أن مبدأها ونهايتها غير واضحين، ويظهر أنها مخلوطة جدًا، إلا أنها في حقيقة الأمر مبنية على نظام متلائم ومتناغم، دال على نظام الكون، وعلى الإرادة الإلهية التي

يختلف التجليد من حيث الملازم والتزيينات أكثر من حيث الخصائص الفنية. وهذه الأساليب تسمى بأسماء المجالات الثقافية التي تتبعها. ومن خلال التطور التاريخي فإن الأساليب المتبعة في فن التجليد الإسلامي هي: الخطاي، العربي، المملوكي، المغربي، التركي (العثماني)، البخاري الجديد



هي فوق كل شيء، وأبدية تلك الإرادة، كما هو المعتقد.
وأقدم نماذج الجلود المزينة بالزينة الهندسية الممتدة من السلاجقة والأسلوب السلجوقي، يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي. وأما أجدها فيعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.

. الزخارف النباتية: ويطلق على هذا الأسلوب الذي يصادف أقل من غيره «خطائي». والأنماط النباتية التي

من المعلوم أن تاريخ الجزع يعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وله مكان مهم في صناعة التجليد. وحتى يتحمل التجليد الجزع أكثر، فإنه كان يستخدم فيه فن الزوايا الأربع. كما يستخدم الجزع في الغلاف الخارجي والداخلي للتجليد

تستخدم في كثير من الأحيان على نحو تراكمي دون أن يتضح أصلها، عادية في مظهرها لدى سلاجقة الأناضول. وقد استمر هذا النمط من الزينة في تطوير نفسها في عهد الإمارات (التركية)، ووصل إلى قمة ثرائه في العهد الكلاسيكي للفنون العثمانية. وتصادف الأنماط النباتية - التي تستخدم أكثر ما تستخدم في داخل الأغلفة في جلود السلاجقة - في المقالب أيضاً. وأقدم النماذج في ذلك يعود إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وقد استخدم في المقلب، ومع الرومي.

. الزخارف المتداخلة معقدة الحبك: بالمقارنة بالجلود التركية الأخرى، فإن زينة تظهر بكثرة في تجليد سلاجقة الأناضول، هي الحبك المعقد والمتداخل. وهذا النمط من الزينة الذي توجد أشكال متعددة منه، يظهر في أرضية الشمسات، وفي الحوافي والبراويز، وبين مجموعات النجوم الهندسية، ولا سيما في المقالب، وفي الزوايا.

. الزخارف الكتابية: إن الأتراك الذين أصبحوا أكبر ممثل للفنون الإسلامية بعد قبولهم بالإسلام، رأوا كتابة القرآن الكريم عنصراً للزينة في التجليد، كما في الفنون الأخرى. وقد استخدموا على وجه خاص خط الثلث والنسخ والكوفي في داخل الشمسات، وفي الجنازير، أو في الزوايا، وفي الرأس، وفي داخل الأغلفة.

أول عمل يتم القيام به في تجليد كتاب ما، هو وضع الأوراق بعضها على بعض وخياطتها. وقد استخدم الأتراك في الخياطة الخيط الأصفر. وكعب الكتاب في التجليد التركي يصنع بشكل مستقيم، ولا يترك محدباً

وإضافة إلى تلك الأنماط الأساسية في الزينة، هناك أنماط أخرى أيضاً، مثل: النقطة، خرشفة السمك، الصليب المعقوف، وجرق فلك، وجنزير السعادة، الهلال، وكلجه، وزقزاق، ولقمة البقلاوة، وفرفر، ودورة الشمس..إلخ.

## التجليد في العهد العثماني في القرن الخامس عشر الميلادي (العهد المبكر)

إن القرن الخامس عشر الميلادي هو المرحلة الانتقالية من تجليد سلاجقة الأناضول إلى التجليد العثماني. والنماذج الأولى للتجليد العثماني باقية من عهد السلطان محمد الفاتح. ويظهر عليها تأثير سلاجقة الأناضول بشكل واضح، إلاّ أن الكتب التي كتبت بشكل خاص لمكتبة السلطان محمد الفاتح، تشكل أسلوباً مستقلاً، أضفى على فنّ الكتابة التركية في ذلك العهد ذلك الطابع المستقل، بخطها وتذهيبها وتجليدها بل حتى بورقها، وأصبح ذلك باكورة لفن جديد. وعلى الرغم من أن تجليد عهد السلطان محمد الفاتح شبيه بما صُنع في عهد التيموريين وقره قيونلر وآق قيونلر والعهد الأخير من المماليك، إلا أن الأسلوب مختلف. وعهد السلطان محمد الفاتح هو عهد الارتقاء للتجليد التركي. وأول نقابة للتجليد أيضاً أنشئت في عهد بايزيد الثاني متزامنة مع ذلك الارتقاء. والنقوش البارزة على غلاف أحد كتب نماذج هذا العهد المذهبة، والزخارف المحددة بـ(آلة) التبر، تبين بوضوح نتاج ذلك العصر من فن التجليد الرائع، الذي لا يمكن العثور عليه لدى الآخرين على الإطلاق. وقد استخدمت تقنية مختلفة في عمل الغلاف الداخلي لهذا العهد، وهذه التقنية هي تزيين الغلاف الداخلي - المضاد في لونه للغلاف الخارجي - بالصبغ أو الذهب. كما توجد أغلفة داخلية من نوع القطع. إلا أنها ليست ذات ألوان كثيرة مثل التجليد التيموري أو

الصفوي؛ بل تحوي في الأرضية لوناً أو اثنين فقط. وعلى الرغم من وجود الشمسات المدورة أيضاً إلا أن الأغلبية العظمى بيضوية.

وإضافة إلى وجود جميع درجات اللون البني في هذا العهد، استخدمت أيضاً جلود من اللون الأحمر، والعنابي، والكحلي، والبنفسجي، والنفطي، والزيتوني، والطحيني، والأسود. ويصادف بعضها بشكل خاص في الأغلفة الداخلية. وكان يزين تلك الجلود - على الأغلب - المتداخلات من نوع: الأوراق الثلاثية (سبرك)، والبراعم، وورق العطر، والغيم، والتلة، والبنج، والخطائي، وأورتاباغ، والأسياخ، والزنبق، والورد، وغير ذلك من المتداخلات. ولا توجد المناظر ولا الزخارف المعقدة ولا المنمنمات. وإضافة إلى صناعة الجلد في القرن الخامس عشر الميلادي، فقد صنع فيه أيضاً تجليد من اللاك والقماش.

القرن السادس عشر الميلادي (العهد الكلاسيكي): إن القرن السادس عشر الميلادي، هو القرن الذهبي للدولة العثمانية في صناعة التجليد، كما هو كذلك في سائر المجالات الأخرى. ولذلك فقد أخذ لقب العهد الكلاسيكي. والتطور الذي حصل في فن التجليد، مرتبط بالتطور الذي أحرزته صناعة الجلود العثمانية التي تمكنت من إنتاج الألوان كافة. وفي هذا العهد الذي نشأت فيه أساليب محددة، لا تغطي الزينة جميع السطح، على عكس التجليد الإيراني. وقد أضفي نوع من الجمال على التجليد من خلال الشمسات المفصولة من تحت أو من فوق. والشمسات في هذا العهد بيضوية فقط. وعلى الرغم من أن المساحة الواقعة بين الشمسات الناتئة البارزة وبين الزوايا أبقيت فارغة على الأغلب، كما هو الأمر في تجليد القرن الخامس عشر الميلادي، إلاّ أنه قد صنع في بعض الأحيان تجليد ملئت فيه تلك المسافات الفارغة بالزخارف الناتئة والمذهبة الملمعة الشمسات. واللافت للنظر في هذا العهد الأغلفة المصنوعة من القماش التي توحي بأنها من الجلد، والأغلفة المصنوعة من الجلد التي توحي بأنها من القماش. وداخل الأغلفة استمرار للتقليد المتبع في القرن الخامس عشر الميلادي. وتوسعت الزخارف الجانبية في هذا العصر، ووضعت في داخلها الأشكال المدورة أو البيضوية. وعلى الرغم من استخدام أشكال القرن الخامس عشر الميلادي في الزينة، إلا أن الأغلب الأعم فيه هو استخدام ما كان متحكماً في فنون العهد الكلاسيكي كافة، وهي وردة الرمان، والوردة السداسية، والغيم، ولا سيما ورق الشنيل.

القرن السابع عشر الميلادي: وقد تزامن مع توقف الدولة العثمانية توقف في الفنون والصناعات، كما يُحس ذلك في فن التجليد أيضاً. ليس هناك أي تغيير في التقنية، إلاّ أن التأخر واضح؛ سواء في تركيب العناصر، أو في تزيين الأشكال. وقد ألغيت في قسم من الأغلفة الزوايا والإطارات، وتحولت الشمسات إلى مستطيلات، وفي بعضها إلى أشكال بيضوية، وبدلاً من وضع الإطارات في المحيط، وضع فيه الجنزير. أما النماذج التي بقيت تابعة للطراز الكلاسيكي، فقد كبرت فيه سعلبك (أي الفراغات)، واقتربت من الزوايا. وقد وجد فيها عدم التلاؤم بين الزخارف المنقوشة على الشمسات والزوايا والمنقوشة على الإطارات. ويظهر في هذا العصر أيضاً تأخر في العمالة. إلا أنه على الرغم من كل ما سبق فإن تجليد هذا العصر قد حافظ على أصالته من حيث مفهوم اللون. ولم يستخدم فيه اللون الذهبي، والألوان الندية الأخرى بشكل عشوائي، ولذلك فلم يبتعد عن الذوق الفني.

القرن الثامن عشر الميلادي: وفي هذا العصر وبعد عهد التوقف الفاصل، رُجع إلى نماذج العهد الكلاسيكي الجيد. وصدرت أعمال رائعة في عهد السلطان أحمد

> الأسلوب المملوكي المخلوط بالأسلوب العربي، الذي مارسه الأتراك المماليك في مصر، يشبه في عدد من الأوجه الأسلوب الرومي، فهو يتوازى مع الأسلوب العثماني في القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر الميلاديين

الثالث، ولا سيما بتشجيع داماد إبراهيم باشا نوشهرلي. وإضافة إلى الأسلوب الكلاسيكي فقد ظهرت تقنيات وأساليب جديدة للتجليد في هذا العهد. منها:

تجليد اللاك: وهذا النوع من التجليد الذي ظهرت نماذج جميلة منه في القرن السادس عشر الميلادي، وتعرض مثل غيره من أساليب التجليد لعهد التوقف. وفي القرن السابع عشر الميلادي، ظهر إلى الساحة من جديد بنماذج كثيرة ومتنوعة بدءاً من الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. وأكبر معلّم لأسلوب اللاك هذا هو علي الأسكوداري، الذي يلقى القبول بين الباحثين.

تجليد النقوش الواقعية: وظهر من هذا النوع من التجليد أسلوبان: أولهما: زردوز، والثاني بالتقنية الكلاسيكية - والنقش الواقعي. والنقوش والزخارف في هذا الأسلوب الثاني كلاسيكية في طرازه.

تجليد يك شاه: وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب كلاسيكي إلا أن التقنية جديدة. والتجليد المزخرف بذي البهار قد صنع بهذه التقنية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

تجليد باروك - روكوكو: بدئ في النصف الثاني من هذا القرن بصناعة تجليد يعرف بـ باروك - روكوكو بتأثير الزخارف الأوربية. وقد رسمت هذه الزخارف على الجلد بالفرشاة. وتظهر في بعض نماذج هذا الأسلوب مسحات من الكومباظ المعروف بـ تَبَر. وقد حافظت الشمسة - التي هي الشكل الأساسي على أغلفة تجليد العهد الكلاسيكي، وكذلك الزوايا، على أهميتهما، وبدلاً من الزخارف الاعتيادية، ظهرت زخارف الورد الواقعية والأوراق، كما ظهرت نماذج معاكسة له تماماً.

### القرنان التاسع عشر والعشرون الميلاديان

وفي الوقت الذي استمرت فيه صناعة الأغلفة الجلدية الكلاسيكية في القرن التاسع عشر الميلادي، فإن تجليد أسلوب يك شاه وباروك-روكوكو للقرن الثامن عشر لقي رواجاً أكثر. وفي الحقيقة فإنه لا يمكن الحديث عن أي نوع من الأساليب أو مدارس التجليد للعهد الأخير من التجليد التركي الذي انقطعت فيه الصلة بين الأصول الجديدة للتجليد والعهد الكلاسيكي. والزخارف الموجودة على الأغلفة صنعت بعضها حسب الأساليب التركية القديمة، والأغلب منها بقي متأثراً بالتجليد الألماني والفرنسي. ومن أنواع التجليد التي ظهرت في الفترة الأخيرة من خلال استخدام أدوات الضغط الحديثة في أغلب الأحيان: جلد أبليكة، وجلد روليف، وقماش نصف جلدي، ونصف جلدي مجزع أو منقش، والجلد الصناعي، والمغلف بالورق.

### الهوامش

١. نشر هذا البحث في دائرة المعارف الإسلامية التركية الصادرة في إستانبول عن وقف شؤون الدين التركية، مج٧، ص ٥٥١ ،٥٥٧، وضمه أحمد صائم أرتقي
Ciltcilik/Ahmet Saim Arıtan [İslam Ansiklopedisi/Türkiye Diyanet Vakfı] -İstanbul 1993 - 7/551-557

٢. رجعت في بعض المصطلحات الخاصة بالتجليد إلى الأستاذ زارع عبد المبدي المجلد بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. فله مني الشكر والتقدير على رحابة الصدر والمعلومات التي قدمها للمترجم.







# أبعاد الهم النفسية

الشفيع الماحي أحمد

الرياض ـ السعودية

تتأثر النفس البشرية بالهم كحالة وانفعال. كما تتأثر بسائر الحالات والانفعالات التي تحدث فيها تغييرًا يختلف في الشدة والضعف. إلا أن الهم من بينها جميعًا يأخذ له أبعادًا وامتدادات داخل النفس يتميز. وينفرد بها. وهو من أبرزها وأقواها على النفس.

يتوقف معنى الهم كحالة انفعالية على الأثر الذي يحدث في النفس. فيتحرك بمقتضى شدته حركتين مختلفتين في القوة، ومتباعدتين في الاتجاه، وذلك تبعًا لما يتوقع، وينتظر حدوثه من خير وشر، أو مكروه ومحبوب، حركة داخل البدن وحركة خارجه؛ وذلك لأن الهم مركب من حالتين نفسيتين: هما: الخوف والرجاء، فأيها غلبت الأخرى، أوزادت في قوتها الانفعالية عليها تحركت النفس تبعًا لها.

فإذا كان الغالب على الفكر والتفكير هو توقع الخير والمحبوب، تحركت خارج البدن حركة تعرف على المستوى الظاهري باسم الفرح، فينشرح الصدر، وتبتهج النفس في انتظار المنافع. وقد تقوى النفس بالفرح فتندفع اندفاعًا قويًا قد يورثها مرحًا ونشاطًا زائدًا على الحد، مما يوقعها فيما لا تحمد عقباه.

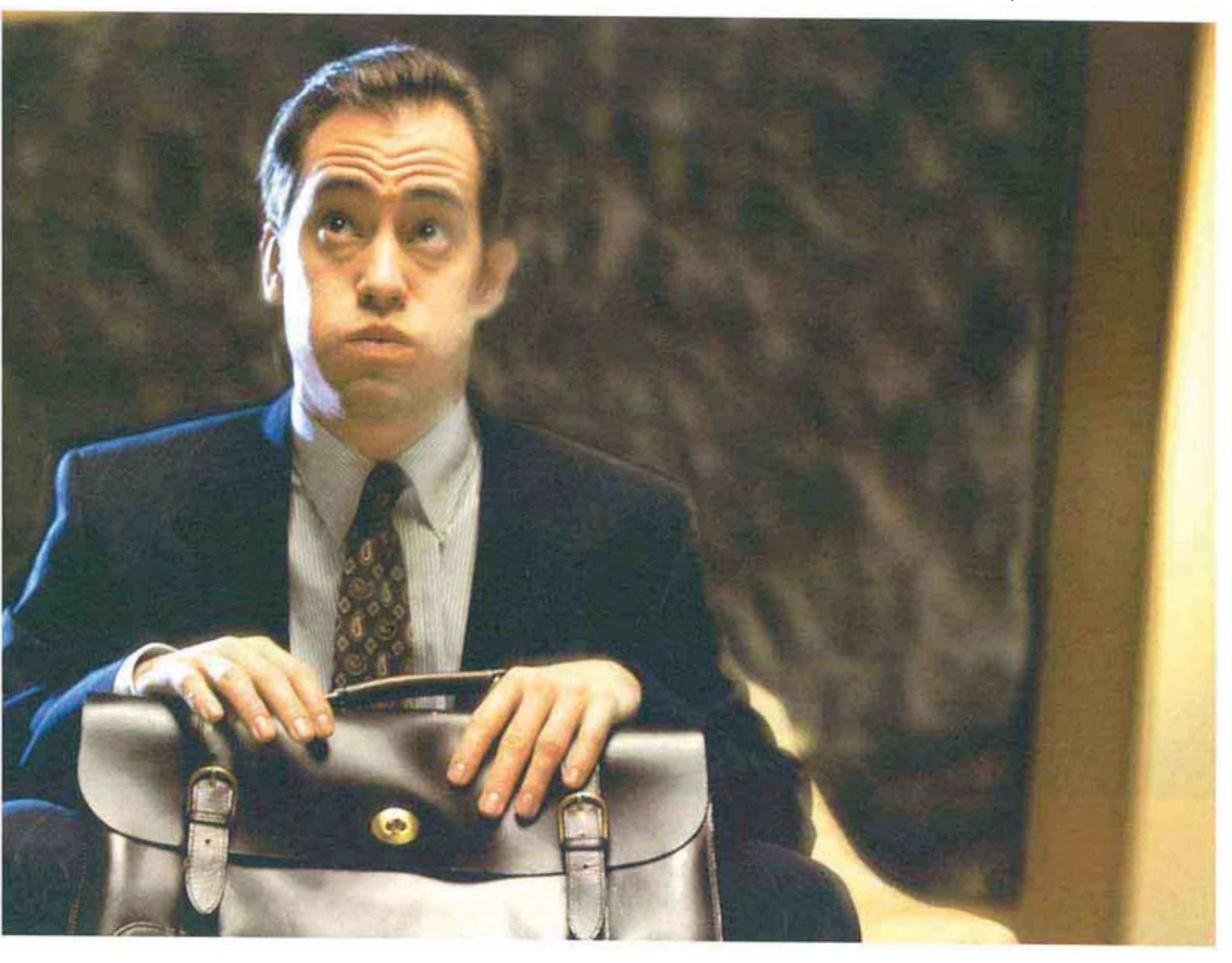
## فرح وغمّ

أما إذا كان الغالب على الفكر والتفكير شرًا أو مكروهًا منتظرًا، فعندئذ تتكفئ النفس نحو الداخل،

فتعتريها خشونة وغلظة تضاد الفرح، وتعرف عادة باسم الغم أو الحزن، وقد تشتد هي الأخرى في قوتها فتورث النفس السخط والتضجر والتبرم والانقباض إلى غيرها من صور الاعتراض على عدم تقبل ما قد يحدث.

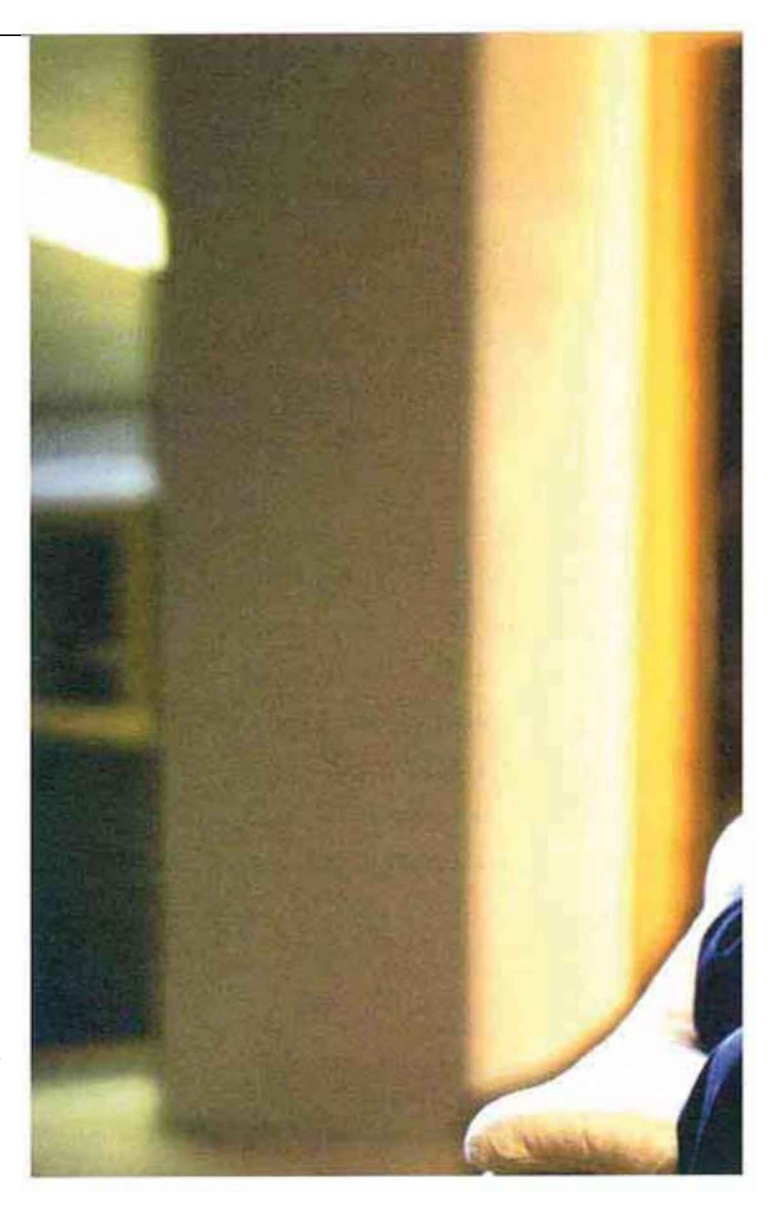
ونتيجة طبيعية لشدة الحركتين وصعوبتهما، فإن الهم من الحالات التي تصيب النفس بضروب شتى من الابتلاءات، كالقسوة والغلظة والفظاظة والصلابة، فتتولد عنها حالات أخرى، كالكرب والغيظ والغضب والحسرة والقلق. فيسوء من جرائها خلق الإنسان، وتضطرب أحواله، وتقلّ مروءته. وقد يتردى في النهاية إلى هاوية سحيقة من الانحطاط تفقده أبسط معاني الخير.

فلا عجب بعد كل ذلك أن احتل الهم من بين مخلوقات الإله أقوى منزلة وأصلبها، بل لا يوجد من بينها من يضاهيه في القوة والصلابة، فمما يروى عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقيت عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالت يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال، قال نعم:



الحديد. قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد. قال: نعم النار، فقالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار، قال: نعم الماء قال: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء، قال: نعم التراب، قالتك يا رب هل من خلقك شيء أشد من التراب؟ قال: نعم الريح، قالت: يا رب: هل من خلقك شيء أشدّ من الريح، قال: نعم، الإنسان يتصدق بيمينه يخفيه من شماله [1]».

إذا كان الغالب على الفكر والتفكير هو توقع الخير والمحبوب، تحركت خارج البدن حركة تعرف باسم الفرح، فينشرح الصدر، وتبتهج النفس في انتظار المنافع، وقد تقوى النفس بالفرح فتندفع اندفاعًا قويًا قد يورثها مرحًا زائدًا على الحد، مما يوقعها فيما لا تحمد عقباه



الهم من الحالات التي تصيب النفس بضروب شتى من الابتلاءات. كالقسوة والغلظة والفظاظة والصلابة. فتتولد عنها حالات أخرى. كالكرب والغيظ والغضب والحسرة والقلق. فيسوء من جرانها خلق الإنسان. وتضطرب أحواله. وتقل مروءته

وروى الإمام علي رضي الله عنه هذا الحديث، ولكنه عندما بلغ ذكر خلق الإنسان، روى قوله ﷺ: «ثم خلق الإنسان يغلب الريح يتقيها بيده، ثم خلق النوم يغلب الإنسان، ثم خلق الهم يغلب النوم، فأشد خلق الله الهم»(٢).

فالهم إذن لا يشابهه في وقعه على النفوس شيء مما له قوة وشدة عليها. وليس من بين خلق الله من يقدر على قهره، أو يتفوق عليه، ويحدّ من تأثيره، فأدى هذا كله إلى أن تتمحور حياة الناس الاجتماعية حول غاية واحدة. وتتجه نحو هدف واحد يمثل نهاية النشاط الإنساني كله، وهو صرف الهم وإبعاده وإزالته عنهم لا يألو الواحد منهم في ذلك جهدًا.

يقول ابن حزم في وصفه لهذا الغرض الذي يشترك فيه الناس جميعًا:

«تطلبت غرضًا يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم أجده إلاّ واحدًا، وهو طرد الهم، فلما تدبرته علمت أن الناس كلهم لم يستووا في استحسانه فقط ولا في طلبه فقط، ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم، وتباين هممهم ومراداتهم، لا يتحركون حركة أصلاً إلاّ فيما يرجون به طرد الهم، ولا ينطقون بكلمة أصلاً إلاّ فيما يعانون به إزاحته عن أنفسهم، فمن مخطئ وجه سبيله، ومن مقارب للخطأ، ومن مصيب. وهو الأقل من الناس، في الأقل من أموره.

فطرد الهم مذهب قد اتفقت الأمم كلها مذ خلق الله تعالى العالم إلى أن يتناهى عالم الابتداء، ويعقبه عالم الحساب، على ألاّ يعتمدوا بسعيهم على شيء سواه، وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه، إذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة، وفي الناس من أهل الشر من لا يريد الخير ولا الأمن ولا الحق، وفي الناس من يؤثر الخمول بهواه وإرادته على بعد الصيت، وفي الناس من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده، وفي الناس من

يبغض اللذات بطبعه، ويستنقص طالبها، وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كأكثر العامة.

هذه هي أغراض الناس التي لا غرض لهم سواها. وليس في العالم مذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهم، ولا يريد إلا طرحه عن نفسه.

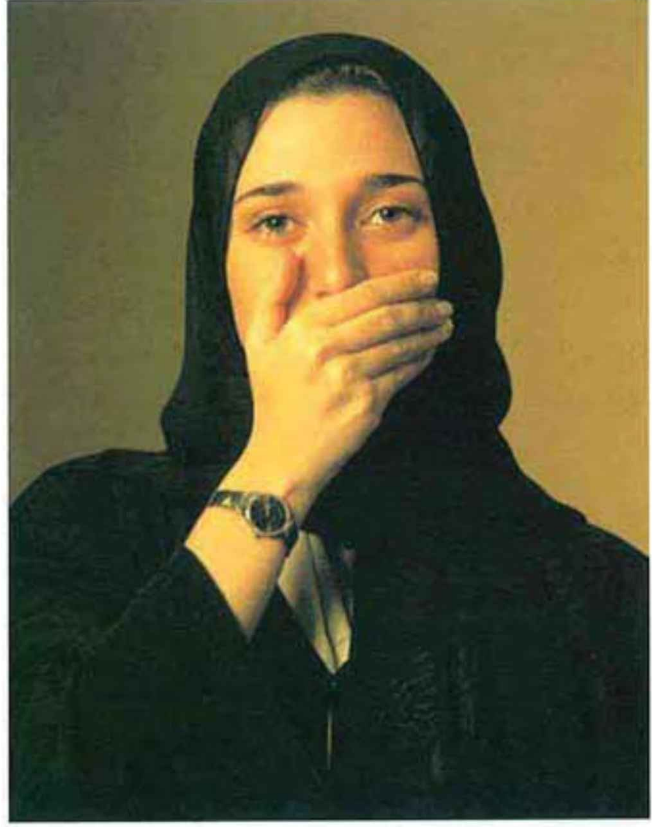
وإلاَّ فـإنما طلب المال طلاَّبه ليطردوا به عن أنفسهم هم الفقر، وإنما طلب الصوت من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الاستعلاء عليها، وإنما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم فوتها، وإنما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل. وإنما هش إلى سماع الأخبار ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحد ومغيب أحوال العالم عنه، وإنما أكل من أكل وشرب من شرب، ونكح من نكح، ولبس من لبس، ولعب من لعب، واكتنز من اكتنز، وركب من ركب، ومشى من مشى، ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الأفعال وسائر الهموم»(٣).

### وسيلة ناجحة

وليس من وسيلة ناجحة لطرد الهم وتنحيته عن النفوس سوى التوجه لله تعالى، والعمل لليوم الآخر، فيقول ابن حزم ناصحًا ومعلمًا: «وفي كل ما ذكرنا لمن تدبره هموم حادثة، لا بد فيها من عوارض تعرض في خلالها، تعذر ما



إن مرحلة التصور المعرفي للفعل، سواء كانت خاطرًا يرد على القلب، أو حديث نفس يتولد تولدًا طبيعيًا من الخاطر، لا تخرج عن النطاق العلمي والمعرفي، ولا ينطبق عليها معنى الأحداث بمفهومه العملي، ومن ثم لا يترتب عليها أي حكم، فلا يؤاخذ الإنسان بالخاطر، ولا بحديث النفس



الهم الزائل هو الخاطر وحديث النفس

يتعذر منها، وذهاب ما وجد منها والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة، وأيضًا نتائج سوء تتج بالحصول على ما حصل عليه من كل ذلك من خوف منافس، أو طعن حاسد، أو اختلاس راغب، أو اقتناء عدو مع الذم والإثم، وغير ذلك ووجدت العمل للآخرة سالمًا من كل عيب، خالصًا من كل كدر، موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة، ووجدت العامل للآخرة إن امتحن بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر، إذ رجاؤه في عاقبة ما ينال به عون له على ما يطلب، وزائد في الغرض الذي يقصد.

وجدته إن عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم، إذ ليس مؤاخذًا بذلك، فهو غير مؤثر فيما يطلب، ورأيته إن قصد بالأذى سر، وإن نكبته نكبة سر، وإن تعب فيما سلك فيه سر، فهو في سرور متصل أبدًا، وغيره بخلاف ذلك أبدًا. فاعلم أنه مطلوب واحد، وهو طرد الهم، وليس إليه إلاّ طريق واحد، وهو العمل لله تعالى، فما عدا هذا فضلال وسخف»(١).

### الهم مبدأ الإرادة

يمر كل فعل إرادي للإنسان بمرحلتين:

- مرحلة لابد فيها من تصور الفعل المراد إحداثه.
- مرحلة يتم فيها إنجاز الفعل كما هو متصور.

ففي المرحلة الأولى لا بد من حضور صورة الفعل أو الحركة المراد إتيانها للنفس حضورًا لا يتطرق إليه احتمال؛ لكون ذلك المتصور على خلاف الوجه الذي هو عليه، ومتى حصلت النفس على ذلك التصور للفعل، وأحاطت به أحاطة كاملة، تمكن الإنسان من الحركة على ضوئه بلا تردد وبوضوح تام.

وأهمية التصور المعرفي للفعل لا تنحصر في كونها علمًا بالفعل والحركة على ضوئه، بل له قيمة أخرى تكمن في أن حضورية الفعل المراد لحظة الإتيان به حضورية ذاتية، مما يجعل الفعل وكأنه قد طلب منه قبل الشروع فيه، غير أن صورة الفعل لا تحصل في النفس من تلقاء ذاتها، بل لا بد من منبه أو مثير يعمل على تحريك صورة

هذا الفعل أو ذاك واستحضارها أمام قوى الإنسان المنوطة بها الأحداث، وليس هناك محرك أو مثير للأفعال سوى الخاطر الذي يرد على القلب، فيعيد للنفس صورة الفعل، ليتمكن الإنسان بعدها من إحداثه كما هو متصور.

وعلى هذا فالخاطر هو ما يرد على قلب الإنسان بصورة الفعل ومعناه، وبلا تعمد له فيه. وبسرعة لا لبث فيها ولا بطء، فيتحرك في القلب معنى تعمل قواه بمقتضاه.

### أقسام الخواطر

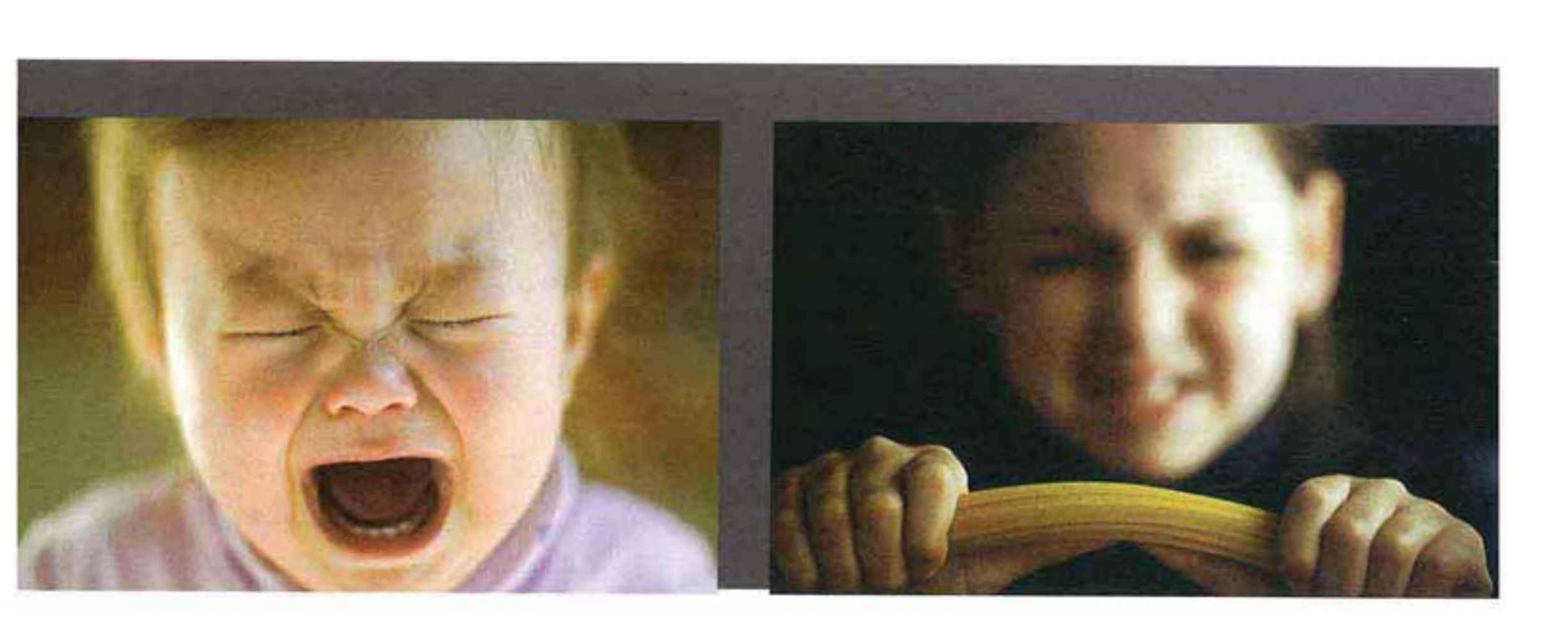
والخاطر كاسم لما يتحرك في القلب من صورة، ومعنى الفعل هو على الإطلاق من الله، ولكن منه ما يكون مباشرة من الله، ومنه ما يكون بالواسطة، ولأجل هذا يقسم إلى أربعة اقسام هي:

- خاطر يرد من الله مباشرة، ويسمى بالخاطر الرباني، وهو إما بخير وإكرام، وإما بشر وامتحان، وفي كلتا الحالتين هو تنبيه من الله لعمل الخير والصواب.
- خاطر يحدثه الله بواسطة الملك، ويكون دائمًا في الخير وترغيبًا في الخيرات، وتحذيرًا من المفاسد والمنكرات، ويسمى إلهامًا، والإلهام هو دومًا بالخير، والملك ناصح ومرشد ولا يرسل إلا لذلك.
- خاطر يحدثه الله بواسطة النفس موافقًا لطبعها، واغلبه يدعو إلى تعاطي الحظوظ العاجلة، ويسمى بالهاجس، وأكثر هواجس النفس تدعو إلى اتباع الشهوات.
- خاطر يحدثه الله عقب دعوة الشيطان، فينسب إليه

---

**أهمية التصور المعرفي للفعل لا تنحصر في كونها علمًا بالفعل والحركة على ضوئه، بل له قيمة أخرى تكمن في أن حضورية الفعل المراد لحظة الإتيان به حضورية ذاتية، ما يجعل الفعل وكأنه قد طلب منه قبل الشروع فيه**

---



ويسمى بالوسواس وهو الذي يدعو إلى الشر ويزين له، وربما يرد فيدعو بالخير مكرًا منه واستدراجًا.

ويتلو الخاطر في الزمان حديث النفس؛ أي: إمعان النظر في الخاطر الوارد على القلب، ولا يقصد بالنظر هنا ما يؤدي إلى العلم، بل المقصود حركة النفس وترددها فيما هو معروف بالتدبر والفحص، ثم التفكير فيما يدعو إلى الفعل من أسباب، والموازنة بين الأسباب الداعية إلى الفعل والمانعة عنه، إلى أن يسفر النظر في النهاية عن اتخاذ قرار يكون هو المحصلة الأخيرة لما استقر عليه القلب.

إن مرحلة التصور المعرفي للفعل، سواء كانت خاطرًا يرد على القلب، أو حديث نفس يتولد تولدًا طبيعيًا من الخاطر، لا تخرج عن النطاق العلمي والمعرفي، ولا ينطبق عليها معنى الأحداث بمفهومه العملي، ومن ثم لا يترتب عليها أي حكم، فلا يؤاخذ الإنسان بالخاطر، ولا بحديث النفس؛ لأن المرحلة ليست اختيارية، والإنسان نفسه لم يحدث شيئًا جديدًا.

وقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم» (٥) يقصد به أن الله لا يؤاخذ على تصور الفعل، بل على خروج الفعل من حيز التصور المعرفي إلى حيز الإحداث والإنجاز.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الانتقال من مرحلة التصور المعرفي إلى مرحلة إرادة الإحداث لا يتأتى دون أن تعقب التصور نفسه مرحلة أخرى تجعل الانتقال من التصور إلى الإحداث انتقالاً ينسجم مع التصور كمعنى، والحدث كحركة وعمل، بحيث يمكن ملاحظة الانتقال من التصور إلى الإحداث، والتمييز بينهما بوضوح تام. يبدو أن الفارق الكبير بين التصور العلمي للفصل من جهة، وبين الحدث كشيء واقع فعلاً

من جهة، يستدعي وجود حلقة وسطى تجمع بين التصور والحدث معًا.

ويكون لها ما للتصور والحدث من خصائص ومميزات، أي تتركب من الاثنين معًا، ليسهل من خلال هذا التركيب وعبره الانتقال من صورة معرفية إلى الإحداث والإنجاز.

والمركب الذي له تلك الخاصية الجامعة بين التصور والحدث هو المعروف باسم الهم؛ وذلك لأن الهم يشتمل في دلالته العلمية والعملية على معنى الجمع بين شيئين، أو الشد والوصل بين أمرين، ولأجل ذلك عرف كحالة نفسية بأنه «تعلق الخاطر بشيء ما له قوة في الشد (٦)»؛

يتوقف معنى الهم كحالة انفعالية على الأثر الذي يحدث في النفس



النزوع هو القوة التي بها يطلب الشيء أو يهرب منه. والنزوع إذا كان عن إحساس وتخيل سمي إرادة. وإذا كان عن رؤية وتفكير فهو الاختيار ويخص الإنسان وحده

أي: أنه يصل في قوته حد الذوبان أو الجريان بين الخاطر ومتعلقه، ومن ثم، فهو يقرب ويقرن بين الصورة العلمية للفعل وما يقابلها من أحداث.

ولعل اشتمال الهم على معنى المقاربة والمقارنة والشد والوصل هو الذي أدى إلى توزعه بين عناصر التصور والإحداث معًا. إذ الهم - كما عرفنا - يجري فيه كل من التصور والحدث بنسب متعادلة، ولأجل هذا فهو وبمقاييس الحركة وأبعادها العملية على درجتين: هم عارض، وهم ثابت.

فالهم العارض أو الزائل هو هم الخطرة، وحديث النفس، ومن غير اختيار ولا عزم ولا إصرار، ولكنه تجاوز بحركة واحدة الخطرة وحديث النفس إلى مرحلة تشربت فيها النفس صورة الفعل إلى حد ذابت فيه الصورة وتلاشت، وأخذت لها معنى جديدًا، ويكون للنفس ميل واضح نحو الإحداث، ولكن دون أن

الكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية، بل يتحرى الفضائل لا لجاه، ولا لثروة، ولا لاستشعار نخوة واستعلاء. والصغير الهمة من كان على الضد من ذلك



وسيلة طرد الهم وتنحيته عن النفوس بالتوجه إلى الله تعالى

يتوافر لها عنصر النزوع.

وأبرز ما في هذه الحالة أنها سريعة الزوال، والميل فيها لا بقاء له، ولا ثبات، ولا استقرار، إذ هي حالة تغلغلت فيها صورة الفعل ومعناه في النفس، فقربت التصور من الحدث، ولم يبق إلا المقارنة لتنتقل صورة الفعل فتأخذ لها معنى جديدًا يختلف كلياً عن سابقه.

ولعل أصدق مثال على الهم قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ يوسف: ٢٤.

فنفس يوسف عليه السلام مالت إلى امرأة العزيز بمقتضى الطبيعة البشرية، كميل الصائم في اليوم الحار إلى الماء البارد، وهو ميل ذابت فيه صورة الفعل وتغلغلت في النفس، والميل هنا لا يدخل تحت مفهوم

الإحداث، كل ما فيه أن صورة الفعل طفت على النفس من جهة، وأن النفس من جهة اخرى لم توطن على الفعل، وكل ذلك ناتج من عدم وجود أثر واضح لهذا الميل.

أما الهم الثابت فهو ما أدى إليه الهم العارض؛ لأن صورة الفعل بعد تغلغلها في النفس، صارت مقارنة للحدث، مقارنة فيها ثبات واستقرار دائمان، حيث بلغ الهم عندها نهاية القوة في النفس، فتولد عنها العزم والتصميم والرضا لإيقاع الفعل، ولأجل ذلك عرف الهم الثابت بأنه «عقد القلب على فعل شيء ما قبل أن يفعل»(٧) ومثاله هم امرأة العزيز التي همت هم إصرار وعزم وتصميم ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها، وإن لم يحصل لها مرادها.

وعلى كل حال فإن الهم الثابت قد تخلص تمامًا من صورية الفعل، ودخل في طور الإحداث، مما يعني أنه حركة النفس الأولى نحو الفعل، وهو على الرغم من ذلك لا يعدّ قصدًا، ولا إرادة جازمة، ولكنه هو الذي يحمل الإرادة على الحركة.

وسواء دفع بالإرادة نحو الفعل أولم يدفع بها، فإن له حكمًا خاصًا أكبر درجة من الهم العارض، وأقل مرتبة من الإرادة الجازمة؛ لأنه قد اتخذ طابعًا إحداثيًا لا نظير له في الأول، ويشارك الإرادة في كونه مبدأ لها، ويؤثر فيها التأثير الذي يترتب عليه

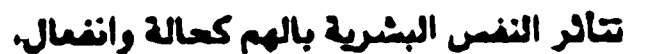
---

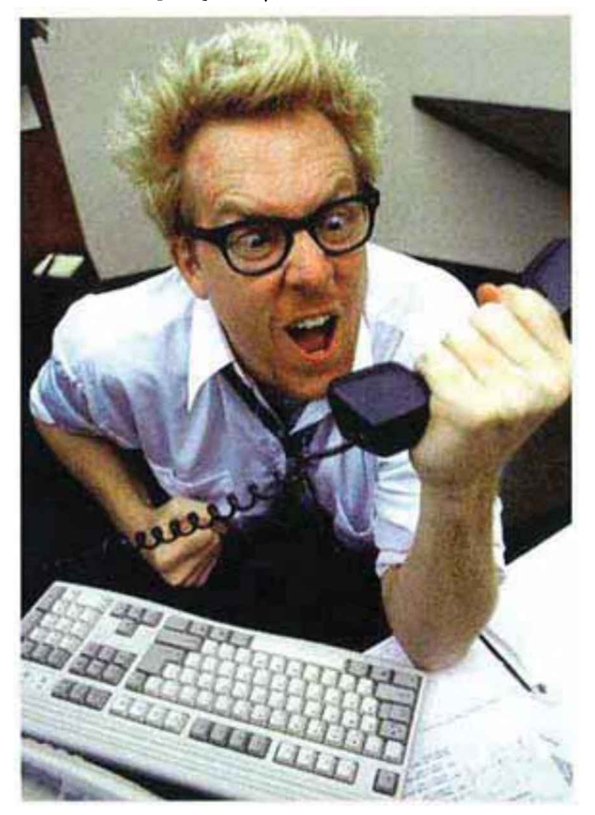
يتوقف معنى الهم كحالة انفعالية على الأثر الذي يحدث في النفس. فيتحرك بمقتضى شدته حركتين مختلفتين في القوة، ومتباعدتين في الاتجاه. وذلك تبعًا لما يتوقع، وينتظر حدوثه من خير وشر، أو مكروه ومحبوب

حدث جديد، له استقلال في الوجود.

وإلى هذا الهم أشار الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها عنده حسنة كاملة. فإن هم فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة. فإن هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»(٨).

الهم يشتمل في دلالته العلمية والعملية على معنى الجمع بين شيئين، أو الشد والوصل بين أمرين. ولأجل ذلك عرف كحاله نفسية بأنه "تعلق الخاطر بشيء ما له قوة في الشد": أي: أنه يصل في قوته حد الذوبان أو الجريان بين الخاطر ومتعلقه


تتأثر النفس البشرية بالهم كحالة وانفعال.



والمقصود من الهم في هذا الحديث هو الذي يقدر صاحبه على تحصيل مراده، فإن حصل له مطلوبه، وتركه لله، كتبت له حسنة، وإن قدر على تحصيل مراده، ولكنه عاقه عائق، ولم يحصل له مطلوبه كتبت له سيئة؛ لأن في كلتا الحالتين هو فعل مستقل في الوجود، وللنفس اختيار فيه، وليس كالهم العارض.

والحكم على الهم الثابت ناتج في الضرورة من أن هناك قوتين من قوى النفس أخرجتا الحدث من صورته الخبرية إلى عمل قائم بذاته، ومستقل في وجوده عن غيره من الأفعال، بحيث يمكن نسبته إلى فاعله، وهاتان القوتان هما النزوع والميل.

فالنزوع هو القوة التي بها يطلب الشيء أو يهرب منه، يشتاقه أو يكرهه، يؤثره أو يتجنبه، وبها المحبة والبغض، والصداقة والعداوة، والخوف والأمن، والرضا، وغيرها، والنزوع إذا كان عن إحساس وتخيل سمي إرادة، وهو عام في الإنسان والحيوان. وإذا كان عن رؤية وتفكير فهو الاختيار ويخص الإنسان وحده.

اما الميل فهو حالة نفسية تتوجه إلى بعض الأشياء دون بعض؛ أي: هو انحراف وعدول بالنزعة نحو هدف بعينه. ومن ثم عرف في أغلب معانيه بأنه رغبة وعشق وإرادة إلى سائر تلك المعاني.

وبلا أدنى شك، فإن الفعل الناتج من هاتين القوتين هو الفعل نفسه الذي يحدثه الهم الثابت، إلاّ أنه اتخذ مسمى جديدًا بوصفه نهاية قصد النفس في توجهها الإرادي نحو الشيء، وهو الذي اصطلح على تسميته بالنية والإرادة.

والنية والإرادة هما كالهم الثابت سواء بسواء في كونهما مركبين من شق معرفي أو علمي، وشق إنجازي

هو العمل، وأطلق هذان الاسمان إطلاقًا منفصلاً عن الهم الثابت لصدورهما صدورًا ذاتيًا عن النفس، وفيهما التعبير الحقيقي عن عالم الإنسان الداخلي.

**الهمة**

إذا كان الهم . كما عرفنا . هو مبدأ الإرادة، وأصلها الثابت، فإن الهمة (فعلة من الهم) هي قوة في النفس، باعثة على الحركة لشيء ما، والاهتمام به، أو بمعنى آخر: هي القصد إلى إيجاد شيء، بصرف النظر عن كونه شريفًا أو خسيسًا، إذ الهمة في كل الحالات هي طاقة محضة غير موجهة، وتنحو على الدوام في طلبها منحى فيه قدر كبير من الشدة. غير أن وجود الهمة في النفس، كقوة وطاقة مستقلة عن سائر قوى الإنسان، على نوعين:

- همة وضعها الله تعالى في أصل خلقة الإنسان وجبلته وبلا كسب منه ولا اكتساب.
- وهمة تحصل له بعد أن لم تكن فيه، وهي التي تكون بالتربية، وعن طريق الاقتداء والتلقين إلى غيرها من طرائق الكسب والاكتساب.

وللهمة سواء كانت غريزة أو مكتسبة علامتان تظهران على سطح الوجود:

- همة حالية، وبها يبلغ صاحبها حد اليقين في حصول مراده ، وعلى وجه القطع واليقين.

وهمة فعلية، وهي التي توجه صاحبها بكل قواه للحصول على مراده ومقصوده. لا يمنعه عن هدفه مانع، فإن لم يكن كذلك فلا يسمى صاحب همة، بل صاحب آمال كاذبة. ثم تتشعب الهمة من بعد ذلك، وتختلف باختلاف تعلقاتها وتبعًا لإرادة صاحبها، وتتفاوت همم النفوس، وتختلف في



الميل حالة نفسية تتوجه إلى بعض الأشياء دون بعض: أي: هو انحراف وعدول بالنزعة نحو هدف بعينه. ومن ثم عرف في أغلب معانيه بأنه رغبة وعشق وإرادة إلى سائر تلك المعاني

تظهر أبعاد الهم النفسية حتى في اللوحات الفنية

الدرجة والنوع، بين همة عالية كبيرة، وهمة صغيرة. غير أن الأصل في الهمة هو كبرها وعلوها؛ وذلك لأنها حالة وسط بين ثقل الهمة وتثاقلها، وبين صغر الهمة. فثقيل الهمة يندفع دومًا إلى ما لا يستحق، وصغير الهمة يترك ما يستحق، أما الهمة العالية الكبيرة فتدفع بصاحبها نحو الترقي والتعلق بعظائم الأمور، وبالثابت منها دون الزائل.

يقول معاوية بن أبي سفيان في نصيحة له: «هموا بمعالي الأمور، فإن الأمور همم، وإني هممت بالخلافة، وما كنت أهلاً لها» (٩)

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ مبينًا المهانة التي تلحق بصغير الهمة: «لا تصغرن هممكم، فإنني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم» (١٠).

وليس في وصف الهمة بالعلو والكبر ذم ولا إفراط، بل إن الذم، كما يرى الأصفهاني، (١١) يدخل في كل فعل يتصوره الناس بصورة علو الهمة، وهو ليس كذلك، ويقال: إن فلانًا كبير الهمة، وفلانًا صغير الهمة، إذا كان أحدهما يطلب أكثر وأشرف مما يطلبه الآخر، والكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية، بل يتحرى الفضائل لا لجاه، ولا لثروة، ولا لاستشعار نخوة واستعلاء، والصغير الهمة من كان على الضد من ذلك.

## المراجع


١-٢ نوادر الأصول، ج٢، الترمذي، ص ٥٠٣.
٣، ٤. الأخلاق والسير، ابن حزم، ص١٤، ١٥.
٥. صحيح البخاري، حديث رقم ٥٢٦٩.
٦. الكليات، أبو البقاء، ص ٩٦٠.
٧. الكليات، أبو البقاء، ص ٩٦١.
٨. صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٩١.
٩، ١٠. أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١٩٣.
١١. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص٢٩١.



تحقيق



# مدينة كراكوف ودورها في التاريخ وفي الحضارة الأوربية

بربارا ميخالك ـ بيكولسكا

كراكوف ـ بولندا

لا تعطي الوثائق التاريخية أي أخبار عن بدايات العاصمة البولندية السابقة ـ كراكوف. تقول أساطير القرون الوسطى إن الأمير كراك Krak هو من أسس هذه المدينة وهو من هزم التنين المرعب الذي كان يعيش في مغارة كبيرة واقعة في جرف صخري تحت مرتفع فافل Wawel.

وبناء على نصيحة الحذّاء سكوبا Skuba أمر كراك أن يحشى جلد عجل بمادة الكبريت ويوضع أمام كهف التنين. وابتلع التنين العجل وأخذ يشرب الماء من نهر الفيستولا حتى انفجر. بعد موت كراك اعتلت العرش ابنته الأسطورية، محبوبة الشعب، فاندا Wanda، التي رفضت طلب الأمير الألماني الزواج منها، فهدد بغزو الأراضي الكراكوفية. أبت الأميرة أن تعرض بلادها لويلات الحرب ورفضت، كذلك، أن تخضع لزواج لا تريده، فاختارت الموت غرقًا في مياه الفيستولا. وهذا ما تقوله الأساطير فحسب.

تاريخ حافل

تشير مواقع الحفر والآثار إلى أن وجود مستوطنات بشرية في هذه البقعة من الأرض يعود إلى خمسة آلاف عام. وفي القرن التاسع الميلادي، على وجه التقريب، أنشئت على مرتفع فافل حاضرة دفاعية، سرعان ما ظهر حولها كثير من المستوطنات والقرى الصغيرة. في عام ٩٦٦م اعتنق أول أمير تاريخي بولندي. ميشكو



الأول Mieszko (1) ـ الديانة النصرانية، مدخلاً، بهذا الفعل، بولندا إلى العالم الأوربي المسيحي.

### عربي في كراكوف

تضع الأخبار الأولى الواردة في المصادر المكتوبة حدًا لتاريخ كراكوف الغامض، الذي اكتنفه الشحوب ردحًا من الزمن. وأقدم هذه الأخبار هو سرد تاريخي باللغة العربية كتبه عام ٩٦٥ ـ ٩٦٦م الرحالة والجغرافي العربي إبراهيم بن يعقوب؛ في طريقه من تورتوزا إلى ماجديبورغ قاصدًا بلاد الإمبراطور أوتون الثالث Otton III.

وقد تمخضت هذه الرحلة عن مرور ابن يعقوب بكراكوف حيث ترك لنا انطباعاته التي أذكر بعضها هنا مستشهدة بتحقيق البكري: «بلد ميشكو هو أكثر بلدان الصقالبة اتساعًا، وهو وفير الطعام واللحم والعسل والأرض الخصبة.. يملك ثلاثة آلاف محارب ينقسمون إلى سرايا، ومئة منهم تساوي قدر ألف محارب من غيرهم. ويعطي ميشكو هؤلاء الرجال اللباس والخيل والسلاح، وكل ما يحتاجون إليه،



بوابة فلورين

عرض عسكري في إحدى المناسبات بكراكوف

وعندما يولد لأحدهم طفل يأمر له بقسط من المال، منذ لحظة ولادته، سواء أكان ذكرًا أم أنثى. وحينما يكبر الطفل يزوجه، فإن كان رجلاً أعطى والد الفتاة مهر الزواج، وإن كانت أنثى أعطى والدها المهر. والمهر عند الصقالبة كبير، وفي هذا يشابهون عادات البربر. وبعد، فإن ولدت للمحارب بنتان أو ثلاث كن سبب غناه، وإن ولد له ولدان كانا سبب فقره» (١).

يدل على قوة كراكوف و جاذبيتها موقعها الجغرافي المميز، فهي تقع على مفترق طرق تجارية عابرة للقارات، قرب ثروات معدنية غنية، مثل الفضة والذهب والنحاس والحديد والملح، والفحم الحجري، الذي اكتشف لاحقًا. أصبح قصر فافل منذ منتصف القرن الحادي عشر مقر الملوك الدائم، ومكانًا لخزانة الدولة، ولأعمال الهيئات الحكومية المركزية. وبعد تدعيم أسس الدولة أخذت كراكوف بالانفتاح على أوربا، وترافق تطور المدينة مع تنوع التأثيرات الحضارية والثقافية. وظهر البنديكتينيون من نادرنيا والدومينكانيون عام ١٢٢٢م، والفرنسيسكانيون عام ١٢٣٧م من إيطاليا، وسيؤدون، فيما بعد، دورًا مهمًا في بناء هياكل الكنيسة البولندية، وفي تطور الحياة الفكرية. أنشئت في فافل، منذ القرن الثاني عشر الميلادي، مكتبة ومدرسة كنسية، علّم فيها المؤرخ الإخباري البولندي المشهور في تلك الحقبة فينسنتي كادووبك (Wincenty Kadlubek) الذي تعلم في باريس وبولونيا الإيطالية.





جامعة ياجيللونسكي بعمارتها المتميزة

دمار بلاعمران

انقطعت مرحلة النمو والتطور السريع المكثف بسبب غزوات الكتائب المغولية، بقيادة جنكيز خان، التي سلبت، ودمرت عام ١٢٤١م جزءًا كبيرًا من أراضي أوربا الوسطى، ومن ضمنها دمرت أيضًا التجمعات السكانية الكراكوفية. من خلال النظر إلى التقدم الحضاري الأوربي، في المنحيين الثقافي والاقتصادي، يتكشف بوضوح تقارب بولندا وتكاملها المتنامي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مع أوربا الغربية. وقد ارتبط ذلك بانتشار نماذج الاستيطان الأوربية الغربية، التي يعدّ النظام الإداري الذاتي للمدن أساسها الأول. هذا النظام الذي اكتسب تدريجيًا، حقوقًا وامتيازات جديدة. كان الحكم الذاتي مصدر قوة المدن القروسطية، وكانت الحقوق المدينية أيضًا تحدد شكل المدن المعماري. إلى يومنا هذا بقيت مباني البلدية الشامخة في بروغيا، ولوبيكا، وغدانسك، وتورون، وفلورانسيا رمز العزة والاستقلال.

رمز التمدن

وأصبحت كراكوف رمزًا لبعد جديد من التمدن؛ وبعد إعادة تنظيمها في منتصف القرن الثالث عشر. وفق الضوابط الألمانية، كمدينة متكاملة الوجوه، تغيرت بسرعة كبيرة لتصير واحدة من أعظم المراكز الأوربية في القرون الوسطى المتأخرة. إن الشكل المديني المعماري العائد إلى


عازفون من كراكوف بملابس تقليدية وآلات

تلك الحقبة التاريخية كان أول إسهام قامت به كراكوف في تجسيد الحضارة الأوربية.

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر بدأت مرحلة الازدهار الرائع للمدينة؛ وقد كان للملح والرصاص المستخرجين من مناجم بوخنيا وفيليتشكا القريبتين منها أهمية خاصة. وكذلك أخذت التجارة العابرة تؤدي دورًا أكبر بين جنوب أوربا وشمالها؛ وقبل كل شيء أضحت كراكوف تؤدي دور العاصمة الروحية والدينية والثقافية لدولة منقسمة سياسيًا. في عام ١٣٢٠م تم تتويج فواديسواف ووكيتك Wladys-law Lokietek في قصر فافل ملكًا على بولندا وهذا ما أدى إلى توحيد البلاد سياسيًا. وأصبحت كراكوف منذ تلك اللحظة عاصمة بولندا بلا منازع، ومقرًا لإقامة الملك، ومكانًا لتتويجه.

### نشاط عالمي

كانت فترة حكم كاجيميج فيلكي Kazimierz Wielki بداية أول عهد ذهبي في تاريخ العاصمة الملكية. وكان لإنشاء الجامعة في عام ١٣٦٤م الدور الأهم في تثبيت دخول كراكوف إلى حلبة المدن العاصمية الأوربية العظيمة، وإلى الحضارة الأوربية والسياسة، وفي هذا العام أيضًا توطد نشاط كراكوف السياسي على الساحة العالمية، فقد عقد فيها اجتماع الملوك الذي شارك فيه: إمبراطور ألمانيا، وملوك المجر، والدانمارك، وقبرص:

تشير مواقع الحفر والآثار إلى أن وجود مستوطنات بشرية في هذه البقعة من الأرض يعود إلى خمسة آلاف عام. وفي القرن التاسع الميلادي، على وجه التقريب، أنشئت على مرتفع فافل حاضرة دفاعية، سرعان ما ظهر حولها كثير من المستوطنات والقرى الصغيرة

وخصص جميعه لبحث الخطر التركي، ولإنشاء نظام أمن جماعي بين هذه الدول. لقد أكد هذا المؤتمر الاحترام الكبير الذي يحظى به الحاكم البولندي، ونجاحات كراكوف كمدينة منفتحة لها أهمية عظيمة بالنسبة إلى أوربا. في ذلك الوقت أقام ميكولاي فيجينك Mikolaj Wierzynek، أحد أغنى نبلاء المدينة، وليمة على شرف الملوك في بيته المشرف على ساحة البلد، الذي مازال، حتى يومنا هذا، قائمًا، وأصبح واحدًا من أشهر مطاعم كراكوف، ويحمل اسم «فيجينك».

كانت جامعة كراكوف، التي أسسها الملك البولندي كاجيميج فييلكي Kazimierz Wielki، الثانية من نوعها في أوربا الوسطى بعد جامعة براغ، التي أُسست عام ١٣٤٨م،

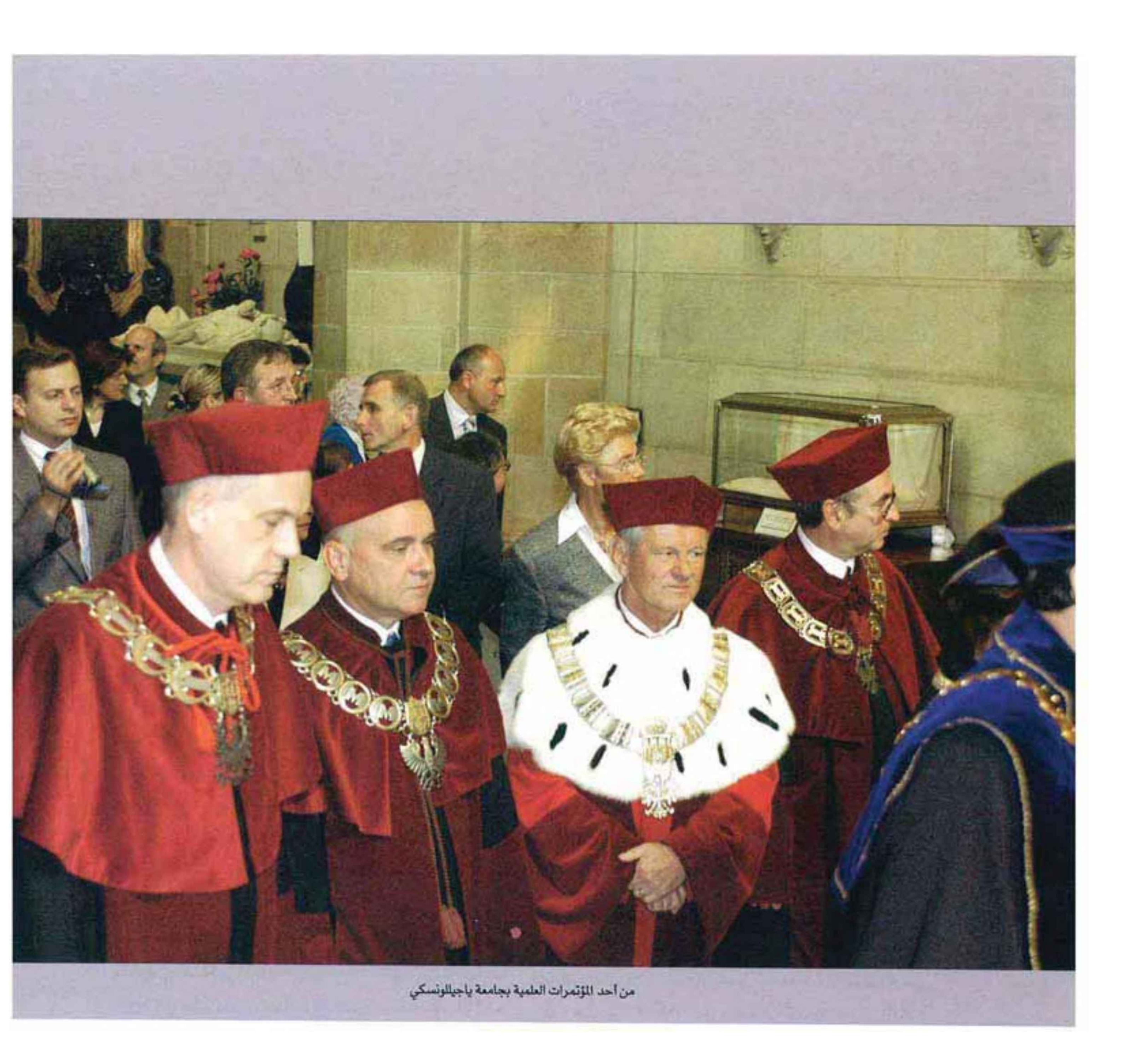
في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ازدهرت جامعة كراكوف في مجالي الرياضيات، وعلم الفلك؛ وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٤٩١ و١٤٩٥م، درس فيها عالم الفلك الشهير نيقولاوس كوبرنيكوس صاحب النظرية «الثورية» في دوران الأجرام السماوية

(أما الجامعة الثالثة فأنشئت بعد جامعة كراكوف بسنة واحدة في فيينا). ويعتقد، على الأرجح، أن مقر جامعة كراكوف كان قائمًا في القصر الملكي «فافل» على مرأى من عيني الملك نفسه. ولم يمض وقت طويل على تأسيسها حتى شغلت مكانًا مرموقًا في الثقافة العالمية، وبدأت تجتذب الطلاب من جميع أنحاء أوربا.

جامعة ياجيللونسكي

أضحت الملكة يادفيغا، زوجة الملك فواديسواف ياجيللو التي ماتت في سن الشباب عام ١٣٩٩م، أضحت أسطورة كراكوف؛ إذ أوصت بكل ما تملك من ذهب ومجوهرات لتنفق على احتياجات الجامعة. بعد سنة من موت الملكة تحسنت أحوال هذه المؤسسة التعليمية، وتجددت بموجب الامتياز الكبير الذي منحه إياها الملك فواديسواف ياجيللو. وقد كان للجامعة، التي مازالت إلى يومنا هذا تحمل اسم ياجيللونسكي (لهذا السبب يوجد الصولجان الملكي في شعار الجامعة)، كان لها أربع كليات اتخذت من السوربون الباريسية نموذجًا لها. أصبح ستانيسواف من سكاربيمييج Stanislaw Ze Skarbimierza، المتوفى عام ١٤٣١م، أول رئيس لجامعة ياجيللونسكي وعُدَّ، حتى يومنا هذا، أحد واضعي القانون الدولي العام.

في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ازدهرت جامعة كراكوف في مجالي الرياضيات، وعلم الفلك؛ وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٤٩١ و١٤٩٥م، درس فيها عالم الفلك الشهير نيقولاوس كوبرنيكوس صاحب النظرية «الثورية» في دوران الأجرام السماوية» O obrotach cial niebieskich. وهنا كتب خريج الجامعة يان دووغوش التاريخ البولندي في اثني عشر مجلدًا مستفيدًا مما يزخر به أرشيف المراجع الذي لا يقدر بثمن. ومنذ عام ١٤٧٢م قام فيليب بوناكورسي، أحد



من أحد المؤتمرات العلمية بجامعة ياجيللونسكي

مؤسسي أكاديمية روما الملقب بـ «كالليماخ». بزيارة كراكوف، مما أدى إلى انتعاش التيار العلمي الإنساني. وقد بوشر بطباعة الكتب في مدينة كراكوف منذ عام ١٤٧٣م.

مما يدل على مكانة الجامعة العالمية المميزة، في ذلك الوقت، ازدياد عدد الطلاب الأجانب في صفوفها، فقد بلغت نسبتهم ٤٤٪ من مجمل عدد الطلاب الدارسين خلال الفترة الممتدة بين عامي١٤٣٣ و١٥١٠م. ولقد أصبحت كراكوف، إلى جانب إشبيليا وتوليدو، المركز الأكاديمي الأكثر شهرة، واضحت جامعتها أيضًا قطبًا مهمًا في علوم الجغرافيا. وفي بداية القرن السادس عشر أدخلت اللغة اليونانية إلى حقل التدريس في كلياتها، مما شكل سابقة لا مثيل لها في أوربا. خلال تلك الحقبة نشأ على مقاعد صفوفها شعراء بولنديون مشهورون مثل يان كوخانوفسكي Jan Kochanowski وميكولاي ري Mikolaj Rej وأندجي

فريتش مودجيفسكي Andrzej Frycz Modrzewski. في نهاية القرن السابع عشر كان الملك البولندي يان سوبييسكي الثالث Jan III Sobieski أحد طلاب جامعة كراكوف، التي شهدت في القرن الثامن عشر تطورات إيجابية، إذ بدأ فيها تعليم منظم للغات أجنبية مختلفة كاللغة الفرنسية، والألمانية، وأدخلت إلى مقرراتها محاضرات حول القانون البولندي والهندسة العسكرية، وقد أجرى رئيسها في تلك الفترة هوغون كوونتاي Hugon Kollataj إصلاحات جذرية فيها، فأحدثت بنية تنظيمية جديدة، وأنشئ مرصد فلكي، وحديقة للنباتات، ومستوصفات سريرية، بالإضافة إلى ذلك بني أول مختبر فيها. وأصبحت المحاضرات تلقى في أقسامها باللغة البولندية. ومنذ بداية عام ١٨١٧م، أصبح اسم هذه الجامعة «جامعة ياجيللونسكي» وغدت أحد أهم المراكز العلمية في العالم. وكان لتوسيع بنيتها التحتية الفضل الأكبر في الوصول إلى ذلك المستوى العلمي الرفيع. في العام الدراسي الذي سبق الحرب العالمية الأولى كان في هذه الجامعة ٩٧ قسمًا، وأكثر من ثلاثة آلاف طالب وطالبة، وقد بدأت الطالبات بالدراسة فيها منذ عام ١٨٩٧م.

### آداب الاستشراق

وتعود بداية تاريخ قسم الاستشراق في كراكوف إلى عام ١٩١٩م عندما نظمت ندوة حول موضوع آداب الاستشراق، بناء على اقتراح من الأستاذ تاديوش كوفالسكي Tadeusz Kowalski. وقد درس كوفالسكي في فيينا، وكان معلمه الأستاذ Rudolf Geyer الذي كان عالمًا كبيرًا في مجال الأدب العربي الكلاسيكي، وبدأ كوفالسكي العمل عام ١٩١١/ ١٩١٢م في جامعة ستراسبورغ، التي عمل فيها آنذاك محاضران قديران في مجالي الاستعراب والاستشراق هما Theodor Noldeke وEnno Littmann. وفي عام ١٩١٤م حصل تاديوش كوفالسكي، من جامعة ياجيللونسكي، على درجة أستاذ مساعد بعد تقديمه الطبعة النقدية لديوان الشاعر العربي القديم قيس بن حاتم وترجمته. وكانت هذه أول درجة علمية، بهذا المستوى، في مجال الاستعراب، تمّ نيلها في تاريخ العلوم البولندية. ولم تقتصر اهتمامات تاديوش كوفالسكي العلمية على الشرق الأوسط العربي، بل طالت أيضًا تركيا وفارس. وكمستعرب فقد انصب اهتمامه على الشعر العربي القديم؛ إذ أصدر، من بين ما أصدر، ديوان قيس بن حاتم عام ١٩١٤م، وديوان كعب بن زهير عام ١٩٥٠م؛ وذلك بالتعاون مع الأستاذ تاديوش ليفيتسكي. عدا ذلك اهتم بنظرية الأدب العربي، وأثمر ذلك كتابًا نشره عام ١٩٣٢م تحت عنوان «محاولة تشخيص الإنتاج الأدبي العربي» «Proba Charakterysty ki Tworczosci Arabskiej». وفي عام ١٩٣٥م أصدر في كراكوف كتابًا بعنون «دروب الإسلام» «Na Szlakach Islamu»، وهو مقتطفات من تاريخ ثقافات الشعوب الإسلامية. ونشر في عام ١٩٤٦م مجموعة أخبار وتقارير نقلها البكري عن إبراهيم بن يعقوب، وتدور حول سفره إلى بلاد الصقالبة (٢).

ولمع اسم أستاذ آخر في علوم الاستشراق هو تاديوش ليفيتسكي Tadeusz Lewicki، الذي كان ذا

حظي قصر فافل بمنزلة مرموقة خاصة في زمن حكم كاجيميج يا جيللونتشيك، الذي قضى على جماعة الصليبيين الألمان بشكل نهائي، واستعاد منطقة غدانسك البحرية ومالبورك. وقد أصبح ابنه ؤ واديسواف ملكًا على تشيكيا والمجر

شهرة عالمية واسعة. ولد ليفيتسكي في التاسع والعشرين من شهر يناير عام ١٩٠٦م في مدينة لفوف، وانهى دراسة الحقوق في جامعتها المسماة بـ «يان كاجميج». في عام ١٩٢٨م سافر إلى باريس حيث درس العلوم السياسية واللغات الشرقية، وكان راغبًا، في الوقت نفسه، في العمل في المجال

وبعد عودته إلى لفوف بدأ دراسة الاستشراق تحت إشراف الأستاذ زيغمونت سموغوجيفسكي Zygmunt Smogorzewski، الذي كان مهتمًا، بالدرجة الأساسية، بدراسة طائفة العبادية المسلمة. إن حصولة على منحة في جامعة السوربون في الفترة مابين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٤م مكنه من جمع الكثير من المواد العلمية عن


مبنى كلية مايوس بعد تجديده



كنيسة آنا

الدبلوماسي، وفي السفر إلى بلدان العالم الإسلامي. ومن هناك سافر، للمرة الأولى، إلى الجزائر حيث عاش في الوسط العربي عدة شهور، وقام برحلته الأولى إلى الصحراء مرتديًا لباسًا بدويًا، ومرافقًا رعاة الجمال. وقد كان لاتصالاته بالعالم العربي، في سن شبابه، تأثير كبير على مسيرة حياته كاملة.

تاريخ الصقالبة، واللغة العربية وآدابها، ونشرها لاحقًا في عمله الذي يحمل عنوان «بولندا والدول المجاورة لها في ضوء «كتاب روجير» لعالم الجغرافيا العربي الإدريسي من القرن الثاني عشر» (نشر الجزء الأول عام ١٩٤٥م، والجزء الثاني عام ١٩٥٤م.

في عام ١٩٤٨م ترأس تاديوش ليفيتسكي قسم

الاستشراق في جامعة ياجيللونسكي وحوّله في عام ١٩٧٢م إلى معهد للغات الشرقية وآدابها، ضم آنذاك الأقسام الآتية: قسم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة الفارسية وآدابها، قسم اللغة التركية وآدابها، قسم اللغة الهندية وآدابها، ثم قسم اللغة اليابانية وآدابها (منذ عام ١٩٨٩م). وبعد وفاة الأستاذ تاديوش كوفالسكي جعل ليفيتسكي من قسم اللغات الشرقية المتواضع معهدًا، له شمولية أوسع في مجال البحث العلمي، ليشمل بلدان الشرقين الأقصى والأوسط وثقافاتها، وصولا إلى إفريقية الغربية. وبفضل جهوده الحثيثة أنشئت في عام ١٩٥٩م مجلة «فوليا أورينتالنا» Folia Orientalna؛ وقد طلب منه التعاون والمساعدة على إعداد الطبعة الثانية لموسوعة الإسلام فأغناها بالتعابير والمفاهيم التي تخص تاريخ إفريقية الشمالية وثقافتها ولهجاتها. بالإضافة إلى ذلك كله يعدّ الأستاذ ليفيتسكي أول من ترجم كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى اللغة البولندية ترجمة كاملة، نشرت في وارسو عام ١٩٧٤م (٣).

بولنديان بالزي التقليدي في مدينة كراكوف

بعد إعادة تنظيم كراكوف في منتصف القرن الثالث عشر، وفق الضوابط الألمانية، كمدينة متكاملة الوجوه، تغيرت بسرعة كبيرة لتصير واحدة من أعظم المراكز الأوروبية في القرون الوسطى المتأخرة

وأذكر أن الأستاذ أندجي تشابكيفتش Andrzej Czapkiewicz، الذي ولد عام ١٩٢٩م، وتوفي عام ١٩٩٠م، كان شخصية بارزة في مجال اللغة العربية ولهجاتها، وفي مجال اللغات السامية الأخرى أيضًا. أما الأستاذة ماريا كوفالسكا Maria Kowalska فهي مختصة قديرة بتاريخ الأدب العربي المرتبط بالترحال والجغرافيا، ولدت عام ١٩١٩م، وإلى يومنا هذا تدير حلقات بحث للطلاب المتقدمين لنيل شهادة الماجستير، وهي تلميذة للأستاذين تاديوش كوفالسكي وتاديوش ليفيتسكي، وتتابع أعمالهما ومسيرتهما. وقد نالت شهادة الدكتوراه في عام ١٩٦٥م من خلال أطروحة تقدمت بها عن الجغرافيا العربية بعنوان «مصادر القزويني عن آثار البلاد». وهي مؤلفة لكتب كثيرة قيمة منها كتاب: «أدب الرحلات العربي في العصور الوسطى» (Sredniowieczna arabska literatura Podroz-meza) الصادر عام ١٩٧٣م، وكتاب «أوكرانيا في منتصف القرن السابع عشر استنادًا إلى تقارير الرحالة العربي بولص بن المكري من حلب» المنشور في وارسو عام ١٩٨٦م، في الفترة مابين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٩م.

شغلت الأستاذة كوفالسكا منصب رئيس قسم اللغة العربية في معهد اللغات الشرقية وآدابها التابع لجامعة ياجيللونسكي.

قصر فافل

وينبغي التنبيه هنا على أن عمادة جامعة ياجيللونسكي تفكر، ومنذ زمن ما، في إنشاء مركز أوربي للثقافة العربية في هذه المدينة. ولقد حظي قصر فافل بمنزلة مرموقة خاصة في زمن حكم كاجيميج يا جيللونتشيك، الذي قضى على جماعة الصليبيين الألمان بشكل نهائي، واستعاد منطقة غدانسك البحرية ومالبورك. وقد أصبح ابنه فواديسواف ملكًا على تشيكيا والمجر. سمي كاجيميج ياجيللونتشيك «أبا أوربا»، وبعد أن تزوج من أميرة هابسبورغ - إليزابيث «أم الملوك». انجب منها أبناء كثيرين منهم أربعة ملوك لاحقين وخمس أميرات. وأضحى فافل في ذلك الوقت مركز أوربا الياجيللونية الممتدة من بحر البلطيق حتى البحر الأدرياتيكي، والبحر الأسود. قوة الحكم الملكي وازدهار المدينة ناسبا وساهما في التطور الذي طرأ على الأوساط الفكرية والفنية. أدى مدون الأخبار، والمؤرخ العظيم يان دووغوش دورًا بارزًا في القصر الملكي، وهو مؤلف العمل الضخم «الوقائع البولندية» الذي يعدّ المصدر الأساسي لتاريخ الدولة والشعب في القرون الوسطى. وكان الكاتب والدبلوماسي القادم من إيطاليا فيليب بوناكورسي (المدعو كاليماخ)، الذي جمع حوله رهطًا من المفكرين البارزين، كان معلم أبناء الملك.

مركز للطباعة

في نهاية القرن الخامس عشر كانت كراكوف واحدًا من أكبر مراكز الطباعة التي أصبح لها امتداد عملي واسع فريد، فقد طبع فيها، بالإضافة إلى أول المنشورات البولندية، منشورات هنغارية وروسية ... إلخ. ولقد قدم من فرانكونيا إلى كراكوف فيت استفوش - أكبر نحاتي أوربة القوطية - وقضى فيها ٢٠ عامًا، كانت أكثر سني حياته إبداعًا، ورحل مخلفًا وراءه الكثير من التلاميذ. ومما يؤكد طابع المدينة العاصمي في ذلك الزمن المنظر الأقدم المنشور في «وقائع العالم» لهارتمان شيدل الصادرة في نورينبرغ في عام ١٤٩٣م.

في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر لم تعد كراكوف مركزًا سياسيًا واقتصاديًا فحسب، بل أصبحت أيضًا عاصمة ثقافية متعددة القوميات والهويات. وعمّ الازدهار، كذلك، في زمن زيغمونت ستاري، الذي أرسى أسس العلاقات المتينة مع إيطاليا، من خلال زواجه من بونا سفورزا من مدينة ميلانو. تعدّ مجموعة مباني القصر الملكي في كراكوف الوحيدة، التي بقيت سليمة وكاملة من آثار عصر النهضة (رينيسانس) في أوربا، وفي أثناء وجوده هنا، في عام ١٥٥٦م، دون الرومي جيوفاني باولو موكانتي في يومياته: «لو أن روما لم تكن روما، لكانت كراكوف هي روما».

زيغمونت الثالث فازا كان آخر ملك أقام في فافل، وبعد أكثر من عشرين سنة من إقامته في هذا القصر تركه؛ نتيجة لتغير السياسية واتجاهها نحو البلطيق، فقدت كراكوف أهميتها ودورها كعاصمة، وبقيت حتى

بفضل عزة ماضي كراكوف المجيد أصبحت المدينة مكانا لاندماج البولنديين جميعًا، وانصهارهم في بوتقة واحدة. وأضحت إبداعات يان ماتيكا - أعظم رسام بولندي تاريخي - رمزًا لأجواء كراكوف المميزة

عام١٧٩٥م عاصمة لبولندا رسميًا، وظلت مركزًا فكريًا نشيطًا، على الرغم من نقل العاصمة منها إلى وارسو. وقد تواصل توافد العلماء ومهندسي العمارة حتى تحولت كراكوف إلى وسط علمي وفني قوي.

عندما وقعت بولندا تحت حكم الدول الثلاث، روسيا والنمسا وبروسيا، التي قسمتها إلى ثلاثة

«بلانت» الفريدة من نوعها، وهي حزام أخضر لعامة الناس طوله ثلاثة كيلومترات، يحيط بالمدينة القروسطية القديمة. ويعدّ هذا الحزام، إضافة إلى الطريق الداخلي الملتف، أكبر إنجاز عمراني في عصر المدينة الحرة، أصبحت كراكوف رمز ماض عريق، ومكانًا مقدسًا للبولنديين. صيغة «المدينة الحرة»



منظر عام لمدينة كراكوف

أشطار أضحت كراكوف مادة تنافس حاد، فهي كانت تعدّ رمز إنقاذ السيادة البولندية. ومن محاولات الإنقاذ تلك. ثورة كوشتوشكي عام ١٧٩٤م؛ وقد أثمرت مساومات الحلول الوسط عن قيام دولة مستقلة لها دستورها الخاص وبرلمانها وحكومتها وبريدها. في خضم ذلك الوقت (١٨١٧. ١٨٢١) أطلقت خطة

والتطور الاقتصادي الديناميكي دعمًا استقلال أوساط الفنون في كراكوف، وفتحها على المؤثرات الباريسية والفيينية والبرلينية. وقد نشأت مجموعات فنية مهمة كثيرة منها، على الأخص، الإبداعات الموجودة في متحف تشارتوريسكي التي تعدّ مجموعة تحف وطنية متكاملة، وفي الوقت نفسه، تعدّ مجموعة رائعة من

الفن الأوربي. جوهرة المجموعة الحقيقية هي «السيدة والقاقوم» التي خطتها ريشة ليوناردو دافينتشي.

### انتفاضة شعبية

في نهاية الأمر أصبحت كراكوف مركزًا لانتفاضة شعبية عامة ما لبثت أن أخمدت، وقامت النمسا بمعاملة المدينة على أنها بيئة خطرة، فضمتها إلى مملكتها، وبقيت حتى عام ١٩١٨م قلعة نمساوية عظيمة.

بفضل عزة ماضي كراكوف المجيد أصبحت المدينة مكانا لاندماج البولنديين جميعًا وانصهارهم في بوتقة واحدة. وأضحت إبداعات يان ماتيكا . أعظم رسام بولندي تاريخي . رمزًا لأجواء كراكوف المميزة العائدة إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. لم تكن أعماله مجرد رسم رائع، بل كانت، قبل كل شيء، حسابًا مع الماضي البولندي، وتوثيقًا له. لوحاته العظيمة سرعان ما أصبحت جزءًا من صالة العرض الوطنية في سوكينني - سي. بين القرنين التاسع عشر والعشرين عادت كراكوف لتكون من جديد عاصمة الفن اليومي، والفن المعماري البولندي، هذا الفن الآتي من التقاليد الإنجليزية Arts and Crafts. وقد أنجز الفنانون البارزون، مثل ستانيسواف فيسبانسكي، ويوزف ميهوفر، مجموعة من التصميمات الرائعة متعاونين مع فناني الإعمار. وقد توجت إنجازات «المدرسة الكراكوفية» بتنظيم معرض لفنون البناء في أرجاء حديقة عامة، وعدّت هذه المحاولة تجربة ناجحة لتطعيم التراب البولندي بأفكار «غاردن سيتي» الإنجليزية. أكدت المسابقة التي أجريت لوضع مخطط «كراكوف الكبرى»، الدور الطليعي الذي تضطلع به هذه المدينة في خلق أفكار حديثة في فن البناء والتمدن. ولقد أسست كراكوف لنفسها موقعًا عالميًا ثابتًا في هذا المضمار (نفذ فنانو إعمار المدن الكراكوفيون خطط إعمار الكثير من مدن العالم، منها العاصمة العراقية بغداد، والعاصمة الليبية طرابلس الغرب).

### إعادة تشكيل

أخذ التفكير في مستقبل كراكوف، في الفترة بين الحربين العالميتين، منحى إعادة تشكيل وتخطيط المدينة بصورة نوعية، وإقامة التنسيق والتآلف بين تراث الماضي والجديد العصري. كانت المدينة، وقتئذ، مقرًا للغرفة الصناعية التجارية ولمئات من البنوك الوطنية والأجنبية، وكان لها بورصة خاصة؛ وأنشئ، في ذلك الوقت، المبنى الجديد لمكتبة ياجيللونسكي. وقد كتب بيجي دوبجيتسكي ما يأتي: «إن كراكوف، وبحكم إرادة التاريخ، هي المدينة الأفضل تعبيرًا عن أيام بولندا وثقافتها، سواء أرادت ذلك أم لم ترده؛ فلذلك وجب عليها أن تكون مدينة سياحية، تمثل وتعرض كل آثارها ومسارحها ومتاحفها وفنها الموسيقي؛ وعليها أن تمجد الثقافة البولندية، بالمقدار ذاته، أمام شعبها وأمام الغرباء».

على أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية سيطر الجيش الألماني، في السادس من شهر أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٩م، على مدينة كراكوف التي أصبحت هدفًا للمخططات الألمانية لتصفية طابعها الوطني البولندي. وقد قام بخدمة هذا الهدف برنامج نص على تدمير المؤسسات الثقافية والعلمية البولندية. وقد هز العالم خبر اعتقال الألمان ١٨٣ أستاذًا ومحاضرًا في كليات جامعة ياجيللونسكي وإرسالهم

كان لإنشاء جامعة كراكوف في عام ١٣٦٤م الدور الأهم في تثبيت دخول كراكوف إلى حلبة المدن العاد...ية الأوربية، وإلى الحضارة الأوربية والسياسة. وفي هذا العام أيضًا توطد نشاط كراكوف السياسي على الساحة العالمية



جامعة ياجيللونسكي في امسية شتوية

إلى معسكرات الاعتقال والتعذيب في زاخزنهاوزن. وأغلقت الجامعة، ونقل إلى ألمانيا عدد كبير من تحفها، ومن تحف المدينة، منها على سبيل المثال، محراب فيت إستفوش الشهير المأخوذ من كنيسة مارياتسكي.

وبعد الشهور الأولى من انتهاء الحرب عادت كراكوف من جديد لتصبح صالونًا فكريًا كبيرًا في بولندا. إلا أن فرض النمط الستاليني السياسي والاقتصادي على بولندا، بين أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، أدى إلى فقدان السيادة السياسية والممتلكات الخاصة.

على الرغم من الظروف الكثيرة غير الملائمة أظهرت كراكوف ديناميكية فريدة ومهارة في الإبداع. ولقد ترعرع ونما في سنوات الخمسينيات والستينيات، في هذه العاصمة الروحية لبولندا، وفي جوها المناسب للإبداع، هؤلاء الموهوبون ذوو الشهرة العالمية مثل: المؤلف الموسيقي كريستوف بندريريتسكي، والمخرجين: رومان بولانسكي، وأندجي وايدا، والكاتبين: سوافومير مروجيك، وستانيسواف ليم، والشاعرة الحائزة على جائزة نوبل فيسوافا شيمبورسكا.

تكمن قوة المجتمع الكراكوفي في التسامح واحترام الآخر، وفي تعددية الآراء الفكرية والرؤى. وفي هذا الوسط الثقافي ظهرت المجلة «الأسبوعية العامة» Tygodnik Powszechny وهي المجلة الوحيدة



جانب من الحياة اليومية في كراكوف التي تزينها مبانيها العتيقة

التي لم تكن تابعة للنظام الشيوعي، والتي عبرت عن أكبر تجربة فكرية ثقافية ضمت بين جناحيها أبرز شخصيات الحياة السياسية الحرة المستقلة.

### ٦٠٠ عام على جامعة ياجيللونسكي

لقد تمخض، وبعكس ما يتوقع، دفع كراكوف جانبًا، وإبعادها عن المجرى الرئيس للأحداث السياسية في عصر بولندا الشعبية، تمخض عن خلق جو إيجابي أفاد في ظهور فن عظيم. مرة أخرى تأكد أن أساس قوة كراكوف وتواصلها مع الحضارة الأوربية ما هو إلا ذاك الذخر الأكاديمي الضخم الذي تملكه.

احتفلت جامعة ياجيللونسكي في عام ١٩٦٤م بذكرى مرور ٦٠٠ عام على تأسيسها، وقد رافق هذا الاحتفال إصلاح مبنى «كلية مايوس» وتجديده، هذا

الصرح القروسطي (الذي نجلس فيه الآن). تتألف الجامعة، في الوقت الحالي، من إحدى عشرة كلية هي: الحقوق والإدارة، والفلسفة، والتاريخ، والآداب، والرياضيات والفيزياء، والبيولوجيا وعلوم الأرض، والكيمياء، وكلية إدارة الأعمال والعلاقات الاجتماعية. ومنذ الثاني عشر من أيار/ مايو عام ١٩٩٢م، عادت كلية الطب Collegium Medicum لتنضوي تحت لواء الجامعة من جديد. يتخذ رئيس الجامعة وعمداء كلياتها من مبنى كوليجيوم نوفوم Collegium Novum، الذي بني عام ١٨٨٧م مقرًا لهم. بالقرب منه يوجد مبنى كلية مايوس Collegium Maius، الذي يعدّ أول مركز للأساتذة، وقد كان في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين مقر مكتبة ياجيللونسكي. في الوقت الراهن يشغل هذا المبنى متحف الجامعة الذي يضم مجموعة من التحف والتجهيزات القديمة المعدة للتعليم، وتذكارات من فترة عمل الجامعة ومراحلها المختلفة، وعدة صور لأساتذتها؛ وهذا دليل حي قاطع يثبت أن جامعة ياجيللونسكي هي أقدم مؤسسة تعليمية في بولندا، ومربية اثنين من الحائزين على جائزة نوبل.

جاء النصف الثاني من السبعينيات بمرحلة أخرى من مراحل مجابهة البولنديين للنظام الشيوعي، انتهت بقيادة حركة «التضامن». وأصبحت كراكوف واحدًا من أهم مواقعها، وقد كان لعملية قتل أحد طلاب الجامعة ستانيسواف بيياس، عام ١٩٧٧م، أن قوّت من عزيمة المعارضة الفتية وتصميمها وتعاضدها. كان انتخاب كارول فويتيلا Karol Wojtyla، عام ١٩٧٨م، بابا على الفاتيكان، وزيارته لبولندا عام ١٩٧٩م، الفتيل الذي أدى إلى اشتعال مظاهرات «التضامن» واندلاعها في عام ١٩٨٠م، وكان ذلك بداية فعلية للتغيرات التي حدثت في أوربا الوسطى والشرقية.

تنتمي كراكوف إلى المدن العريقة القديمة من قارتنا، حيث يؤدي الماضي وتقاليده الدور الرئيس في صنع التطور المعاصر فيها، وغالبًا ما توصف بأنها قلب بولندا. ومع أن حدود هذه الدولة عدلت وتغيرت مرات كثيرة على مر العصور والأزمان، إلا أن كراكوف بقيت بولندية على الدوام. وفي الوقت ذاته يمكن القول: إنها أكثر أماكن الأراضي البولندية التي تقف فوق القوميات والوطنيات، وهي كذلك لا تستجلب إليها المؤثرات الأجنبية المتنوعة، وتأخذها كما هي فحسب، بل تغيرها، وتخلقها في شكل آخر جديد.

### عاصمة الثقافة الأوربية

إن كراكوف المعاصرة هي مدينة أوربية حقًا، ولا تكون أوربيتها في ذوبانها التام بأوربا، بل في خصوصيتها التي تذهل الأوربيين، والتي لا يمكن استبدالها بأي شيء آخر. فهناك أماكن على الكرة الأرضية تؤثر في نفس الإنسان، وتجعله يقول: «هاهنا المكان المشتهى». حصلت كراكوف في عام ٢٠٠٠م على لقب مشرِّف هو «عاصمة الثقافة الأوربية»؛ هذا اللقب تقاسمته مع أفينون وبيرغين وبولونيا وبروكسل وهلسنكي وبراغ وريكيافيك وسنتياغو دي كومبوستيلا. بمقدور المرء أن يرى في كراكوف كل ما يمكن أن يكون مهمًا، وذا قيمة من الفن، ومن الثقافة الأوربية.

### المراجع

١. تاديوش كوفالسكي، أخبار إبراهيم بن يعقوب من رحلته إلى بلاد الصقالبة، تحقيق البكري، كراكوف ١٩٤٦م، ص ٥٠.

2- Marek. M. Dziekan. Polacy a Swiat Arabski

Gdansk 1998. s 50 - 52 (البولنديون والعالم العربي)

3- Por. Edward Szymanski. Tadeusz Lewicki (1906- 1992). w Przeglad Orientalistyczny. No 1- 2. Warszawa 1993. str.96- 101

ردود ...... وتعقيبات

# تعقيب على عادات قبائل جنوب السودان

قرأت تحقيق الأستاذ حاتم دينار «عادات الجنوب» في الفيصل الغراء العدد (٣٤٩)، وأعجبني جدًا هذا التحقيق الجميل، ولكني تعميمًا للفائدة أقف أمام عدة نقاط واجبة التوضيح:

ـ إيجاد الشبه بين قرن ثور الدينكا المعقوف بقرن العجل أبيس الفرعوني لا يكون كافيًا في مسألة التأثير والتأثر. وأما القول بتشابه سحن المصريين الأصليين وبعض القبائل الكينية مثل الماساي، فهو ترسيخ لنظرية الحضارة الزنجية لمصر التي نادى بها المؤرخ السنغالي أنتا ديوب في الخمسينيات، والتي سقطت تاريخيًا وأثريًا بعد نصف قرن، على الرغم من وجاهتها في بعض النقاط.

وسكان مصر الفرعونية أتوا من كل الجهات المجاورة لمصر من إفريقية وآسيا.

ـ ليست هناك دلائل أثرية أو مادية من مخلفات تؤيد استيطان الدينكا قديمًا مع الشلك والنوير بقية النيليين حتى منطقة الخرطوم، حتى وإن وجدت فما الأثر الحضاري الذي تركته هذه القبائل الإفريقية في النيلين والخرطوم؟

ومن المعلوم أن الخرطوم قبيل قدوم الحملة المصرية عليها في عام ١٨٢٠م كانت منطقة للصيادين، بيوتها مصنوعة من القش والبوص، وقليلة السكان.

يقول روليت: إن الخرطوم كانت قبل الفتح بنصف قرن مدينة عظيمة عندما هاجمها الشلوك سكان النيل الأبيض ذات ليلة من ليالي عام ١٧٢٧م، وقتلوا أهلها، ودمروها، فانتهى أمرها، حتى جاء المصريون وأعادوا تأسيسها (١).

وأما من أعطى منطقة التقاء النيلين الملامح العمرانية التي كانت عند وصول الحملة المصرية فهما بلاشك: الجعليون والمحس (٢).

وجاءت الحملة المصرية فأسست المباني الحكومية، وادخلت تحسينات على الزراعة والتجارة والصناعات المحلية والمتطورة، كما هو معلوم.

وهناك شبه إجماع بين الروايات الوطنية على أن مدينة الخرطوم أخذت اسمها من شكل خرطوم الفيل، وهناك من يربط بينها وبين أصلها عند الدينكا التقاء النهرين». المهم الدور الحضاري الذي قامت به الخرطوم، وكذلك سائر المدن



السودانية على مرّ التاريخ. فالهنود الحمر عاشوا آلاف السنين على فطرتهم المحاربة، وأتى الأمريكان في ٥٠٠ عام فقط أقاموا أقوى حضارة معاصرة الآن!

- أما قولك: وهكذا وجد الدينكا في السودان، وتكاثروا وفق معايير وقيم وأخلاق يندر أن توجد في قبيلة نشأت في البدء بعيدًا عن أديان السماء.

ونجد فتى الدينكا أحرص على شرف الفتاة البكر.. ولم تسجل على طول تاريخهم حالة اغتصاب واحدة. (!!)

لعلك تقصد أن الدينكا لهم فطرة سوية، فإذا سلمنا جدلاً أنهم من ذوي الفطرة السوية، فلماذا لم يدخلوا جميعًا في المسيحية أو الإسلام أو اليهودية إذا كانوا بهذا النقاء الملائكي؟!! وهم حاربوا المسيحية لتحريمها تعدد الزوجات!

وأما قولك: إنه لم تسجل لهم حالة اغتصاب واحدة في تلك الكثافة السكانية مع عادة التعرّي. فمردود عليك يا سيدي، وهي لعمري مجلبة للفكاهة في هذه الأيام السوداء! فالنظرية الأوربية التي كانت تقول: إن الرجال إذا امتزجوا بالنساء كليًا ذهبت غلاظة قلوبهم، ويكتسبون الرقة وحسن الطبع، قد سقطت يا عزيزي عند أهل الجنوب وجبال النوبا وما حولها على حد قول الشاعر العربي:

أيا من ليس يرضيها خليلُ
ولا ألفا خليلٍ كل عام
أراكِ بقيةً من قوم موسى
فهم لا يصبرون على طعامِ!

من يفكّر في الاغتصاب إذا كان بمقدوره أن يتزوج مئة امرأة؟!!

القياس خاطئ يا سيدي.

- المقولة التي ترجع أن أصل الفونج من الشلك (من ناحية الأم) تنطبق على بعض الملوك من الأسرة الحاكمة، وليس كلهم. وهناك رأي آخر أنهم من الغرب.

- القول: إن «توتي» الجزيرة أصلها من الشلك لغويًا، وهي متداولة بين معظم الرحالين الأجانب، وبعض المؤرخين العرب المعاصرين. لكن الأثر الحضاري لجزيرة توتي قام به المحس، كما هو معلوم على مدى ٥٠٠ عام.

ويبدو لي أن المحس هم الذين أطلقوا على الدينكا لقب «الجانقية»، وهي كلمة من جذر نوبي معناها «المباع» عند الاسترقاق، وحرفها عرب كردفان ودارفور إلى دينكا بعد إبدال الجيم دالاً. والجانقية كلمة معروفة عند الدينكا، وهي عندهم تشمل كل فصائلهم (٣).

آمل أن أكون قد أوضحت بعض ما التبس من الأمر، حتى لا يرسخ في الأذهان من إشكاليات تأصيلية تحتاج إلى مزيد من الوقت لدراستها، بعد أن لوثتها الروايات الوطنية بميكروب العصبية، وجرثومة القبلية، لأغراض أخرى لا تخفى على كل ذي بصيرة.

عبدالرحمن عوض
باحث في تاريخ السودان
عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
القاهرة - ٣٣ ش ٢٦ يوليو

## المراجع والهوامش

١. تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري ١٨٢٠ - ١٨٨٥م، د. أحمد أحمد سيد أحمد، ص٧٥. تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
٢. المرجع السابق ص ٧٧.
٣. المرجع السابق ص ٨٧.
للاستزادة: ينظر تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، محمد بن عمر التونسي، حققه: د. خليل محمود عساكر، ود. مصطفى محمد مسعد، تراثنا. الدار المصرية للتأليف والترجمة (الهيئة المصرية العامة للكتاب الآن) ١٩٦٥م.
السودان عبر القرون، د. مكي شبيكة، القاهرة ١٩٦٦م.
السودان الشمالي سكانه وقبائله، د. محمد عوض محمد، القاهرة ١٩٥٤م.




# مرج البحرين

محمد عبدالله الهويمل

الرياض - السعودية

ابسمي فلقةَ جوز الهند في الثغر تفطرْ
اضحكي ماءً فإني تائبٌ لم أتطهرْ
كوثري الضحكةَ وعداً إنّا أعطيناكَ كوثرْ
قهقهي نهرَ جنونٍ سالَ من وديان عبقرْ
وازفريني ريشةً بيضاءَ في جوٍّ معطرْ
اهدئي غفوةَ لحن، واغضبي ثورةَ سكرْ
وازاري، .. لهفي على ظبي خجولٍ حين يزأرْ
صفقي مثلَ هبوبٍ لاعَبَتْ أوراقَ دفترْ
وانهضي مثلَ أكفٍّ حملتْ تمثالَ مرمرْ
وتثني في زجاج الحسنِ حتى يتكسرْ
وارقصي كالزورقِ المجنونِ وسطَ الريح أبحرْ
واخفقي الزند لواءً عربيًا ليس يقهرْ
وامددي للشمس كفًا واقطفي رمشًا معبّرْ
واكتبيني في سطور العين حرفًا لا يكررْ
فبريقُ العين فيها صفحةٌ والرمشُ أسطرْ
وجنتاها عرشُ حبٍّ ضمَّ شقراءَ وأشقرْ
لست أدري حين كُنّا خاتمًا طوّق خنصرْ
حين كان اللوزُ في برعمهِ والريحُ صرصرْ
فتساقطنا على صحن من الإسفنج أحمرْ
وتقشرتُ بصحنِ اللوزِ واللوزُ تقشرْ
حيثُ كانَ الآه ما يُهمسُ في بستان قيصرْ
من مخاضِ الظما المبحوح والصائمُ أفطرْ
مَزّقتْ شرنقةَ المهرِ فراشٌ يتحررْ
قُبلةٌ فاضت على التنورِ والماءُ تفجرْ
مَرَجَ البحرين والحوتُ على الحوتِ تجبرْ
أنا يا سيدي والعارِ والدمعِ المعكرْ
راحلٌ أهتكُ طهرَ الدربِ بالخطو المطهرْ
تبت من سكرتي حتى صرتُ بالتوبةِ أسكرْ
كلما اشتقتُ الردى أولدُ في تسعةِ أشهرْ
أشتهي القبلةَ لكنْ قبلةً في حدِّ خنجرْ
أشتهي القمةَ عريانًا وبالغيمِ أُدثّرْ
هابطًا أحملُ لحني صخرةً لا تتحدرْ
صوبَ ماءٍ ضاحكٍ من تائبٍ لم يتطهرْ



# في رياض الأندلس

نور الدين صمّود
قليبية – تونس

كلّمـــا الوردُ لعـــيني ابتـــســـمَـــا
يَــرْحَــلُ الــفــكْــرُ إلـــى الأنــدلــسِ
فَــيَــرَى روضًـــا جــمــيــلاً قــد نَمَــا
فــيـــه زهرٌ كـــعـــيـــونِ النرجِسِ

◆◆◆

تَلتــقي فــيـــه قلوبُ الــعـــاشــقينْ
بــين زهْــرٍ وظِــلالٍ ونـــســـــيـــمْ
مــلْــؤهـــا حُــبٌّ وعــطْــفٌ وحــنــينْ
فـــهي تَحْــيَى في هناء ونعـــيـــمْ
وأرَى الفُلَّ بقـــربِ اليـــاســـمينْ
والشـــذا، في زهْره، دومًـــا مـــقـــيـــمْ

◆◆◆

كلُّ زهرٍ فـــوق غـــصـن بَسَـمَـــا
كـــثـــغـــورٍ ضـــحكتْ في عُـــرُسِ
مـــثل قلبي بعــد مـــا طال الظّمَـــا
شَــــربَ الحبَّ بأحلَى الأكْـــؤُسِ

◆◆◆

فـي رياضٍ لاح ظبـيٌ أحْـــــــوَرُ
حُــسنه يَسْــبي فــؤادي والعُـــيــونْ
فـــاترُ الألحـــاظِ حُلْوٌ أشـــقـــرُ
وهوَ عنوانُ جـــمـــالٍ وفُـــتـــونْ
كلمــــا لاح بطـرْفٍ يَسْـــحَــــرُ
رُحْتُ أشـــدو، وفـــؤادي ذو فـــتـــونْ:

◆◆◆

«هل دَرَى ظبْيُ الحِـمَى أنْ قـد حَـمَى
قَــلْــبَ صَــبٍّ حــلَّــهُ عــن مَــكْــنَــسِ
فـــهْـــو، في حَـــرٍّ وخَـــفْـقٍ مِـــثلمـــا
لَعِـــبَتْ ريحُ الصَّـــبَـــا بالقَـــبَسِ» ◆

◆ خَرْجة هذا الموشح هي مطلع موشح ابن سهل الإشبيلي.



# ذاكرة الرعب

سيف الدين محاسنة
إربد ـ الأردن

تطيرُ المسافاتُ منكمْ
فاتبعها
لا أخاف
ولا أتهجّى طريقي
أعري تفاصيلَ أحزانكم
فيضيق بيَ الموت
أسمع صوتَ الشوارع تقضمُ أقدامكم فوقها
لا أجوع
ولا أشتهي طعمَ هذا الشتاء
أنيمُ الشموسَ على قلعةٍ رملها من زجاج الأقاصي
وأعتابها من دَم عربي
له صوتُ قلبي
وأجزاء دمعتي الراعشة.
أخرجُ من صرخة الوقتَ
وجهي له ضوء أعينكم
يتثاءب فيه الكلام
وتنزفُ منهُ الينابيع
يحفى عليه الزمنْ

أسائلكم عن دم القدس
مذا تراه يقول
ومذا تراهُ يخبّئُ في ساعديه لنا
أحتضنُ الموتَ فيكم
وأنشرُ راياتكم في أنوثةِ هذا المدى.
أدخل لا يقتفيني المغيب
ولا تعتريني الأيادي
أتعرى من الصمت لأسمعكم
في مديح النهارات
أسمعكم في اتقاد الشموع
وفي جلنارات هذا الدم المستفيض
أسمع أوصالكم تتفتّق من تحتِ هذا الركام
التفُّ بكم
وألثم صوتَ العذوبة في صوتكم
أحنّي أياديكم المقشعرة
أنبض في شوق أعينكم
وأفكّك هذا الفضاء
لأعجنه خيمة فوقَ أنقاض بسمتكم



ها نحنُ نتبعكمْ
نسرقُ الجرحَ منكم
وننسجُ من رعدِ أقدامكم هبة للحياةْ
نفتدي دفءَ أعينكم
ونسافر في كوكبٍ من عناقيد أحلامكم
نحلق في هدأة الرعب
لا تشتهينا القوارير
لا يرتدينا العراء
نحتضنُ الموت فيكم، ونبكي
فيلهبنا قوس هذا النشيج
نعلّق أحداقنا في سكون المعابد
نجرح فينا الوعودْ
نهتف
يا قدس
يا قيثارة الليل
يا جرحَ السلام
ويا نفحة من عيون الملائكة استقطري ماء أعينهم
ها نحن نمتد عبر احتراق الدروب ونهتف

نكنس كل الشوارع من حقدهم
ونعرّي فضائحهمْ
أيها الموتى استفيضوا
عروا قراصنة الأرض من أجسادهم
فجروا كلُّ من يعتري فيكم الحب اسمعوني
اسمعوا لحن هذي التعاذيب
لحن الرماد
ولحن الغضبْ
جرّحوا في النوافذ أصواتهم
واعبروا حدُّ هذا النحيب
تغطوا بهذي النداءات
اصرخوا ملءَ أرواحكم
فها نحن ننسجكم في مناديل هذي النهارات
نغرس من أجل أعينكم حزننا
وبريق خطانا
نسلحكم بالقلوب
ونعصر خمر الزغاريد من أفواهكم.





# رابعة البنات

حسني سيد لبيب
الجيزة ـ مصر

هذا العام، عرفت قدماه الطريق إلى الشاطئ. مضت سبع سنوات لم يذهب فيها إلى شواطئ إسكندرية أو غيرها، بعد أن ماتت زوجته، وتركت له أربع بنات وضابطًا، على حد قولها في الحمل الخامس:

ـ نفسي الجنين يكون بنتًا..

ـ ألا تكفي ثلاث بنات؟

البنت الرابعة خير وبركة، أو على اسم فيلم أنور وجدي «أربع بنات وضابط».

ماتت بتأثير حمى النفاس، بعد أن ولدت نسمة، رابعة البنات، وتحقق الإرهاص الذي كان يجول في خاطرها..

فكر في أن يتزوج، ووجد من يشجعه على زوجة تهتم بأولاده الخمسة. صادف أرملة، لديها ولد وبنت، ولما أوشك أن يتفق، تراجع في اللحظة الأخيرة، بعد أن وجد الزواج منها لا يحلّ مشكلته، وإنما ستتفاقم الأمور.. لم يفكر بعدها في الزواج.

تعهدت أخته نسمة بالرعاية والعناية، حتى بلوغها ثلاثة أعوام، انشغلت بعدها بأمور بيتها وزوجها وأولادها.

في هذا الصيف، شجعه صديقه أن يتجه إلى الإسكندرية، يقضي فيها أسبوعًا للترويح عن النفس، لاسيما أن سماح، البنت البكر، كبرت.. صار عمرها خمسة عشر عامًا.. بدأ يعتمد عليها في شغل البيت، والاهتمام بأخواتها الثلاث رحاب وسمر ونسمة.. لاقت الفكرة قبولاً، وحجز المصيف مع زملائه بالشركة.

قبل أن تغوص قدماه في الرمل، توقف قليلاً.. ألقى الشمسية على الأرض، تبعه سماح ويوسف بإلقاء كراسي الشاطئ.. فعل الصغار الشيء نفسه. ألقت رحاب حقيبة السندوتشات على كرسي، وجلست على آخر. أما الصغيرتان سمر ونسمة، فألقيتا عوامتيهما أرضًا.

التف الخمسة في نصف دائرة حول أبيهم..

قصد الأب أن يربي في نفوسهم حب الرحلات، وما فيها من عمل جماعي، أقحمهم في تفاصيل كثيرة عن تثبيت الشمسية، ورص الكراسي.. عن اختيار موقع متقدم، بحيث يرون البحر.. وأن يحتموا بعيدًا عن غدر الأمواج..

قال ضمن ما قال:

ـ عند نزولنا إلى البحر، يجب أن يبقى أحدنا تحت الشمسية.. يأخذ باله من الحاجات.. على أن يتغير حارس الشمسية.. يمكن أن يكون أكبرنا سنًا أو أصغرنا.. لا فرق.. يمكن أن أجلس أنا في مرة وتجلس نسمة في مرة ثانية..

همست سماح في أذنه:

ـ نسمة لا تصلح.. بنت السنوات الست..

أومأ موافقًا، وإن لم يغير حرفًا مما قال.

جلسوا كما أشار عليهم، ملتزمين بكل شيء. ولما همّ بالنزول إلى البحر، تسابق الكل في الانقياد له.. حتى نسمة جرت في أثره.. ولما لم يتبق أحد، تراجعت سماح، وجلست تحت الشمسية. ما إن خطت نسمة خطوة نحو



المياه، حتى فاجأتها الأمواج، لطمت جسمها الصغير. ارتعدت من برودة المياه. خافت. تراجعت عائدة إلى الشمسية، جالسة بجانب أختها. سألتها:

. لماذا رجعت؟

. أقعد تحت الشمسية..

أقبل يوسف نحوهما وقال:

. بابا قال تنزل سماح إلى البحر معنا..

خضعت ورافقته..

تتأمل الصغيرة الناس من حولها. تنظر إلى السماء والبحر. يمتد البحر وتمتد السماء، فلا تعرف أين ينتهي البحر، وأين تبدأ السماء. شيء محير. تجربتها مع البحر صدمتها فآثرت الجلوس والانزواء. آثرت الابتعاد.

فوجئ أبو البنات بنسمة تترك الشمسية وتقف عند التقاء الأمواج برمال الشاطئ..

أشار بيده كي يطمئنها وقال بصوت عال:

. اجلسي تحت الشمسية..

هرعت إليها سماح. رأتها ترتعش وتهم بالبكاء. حملتها على ذراعها وجرت بها إلى الشمسية. أجلستها على مقعد، ولفت المنشفة حول ظهرها وصدرها. أعطتها كعكة. قضمت منها لقمة. همت أن تتركها فبكت..

- لا تتركيني وحدي..

خرج الأب من الماء، وجلس بجانبها، تاركًا سماح تذهب إلى الصغار الثلاثة. بدأ يسرِّي عنها.. عبث بالرمل. صنع لها حوضًا كبيرًا، وملأه بماء البحر بدلو البلاستيك. استسلم للذهاب والإياب في حركة مكوكية أدهشتها. امسكت بدلو ثان.

فعلت مثلما يفعل. اعتادت هذه الحركة من وإلى البحر، بينما أخلد الأب إلى السكون.

ولما امتلأ الحوض، أجلسها داخله. استراحت الصغيرة. انتقل البحر إليها. أصبح البحر صغيرًا يناسبها. بدأت تضرب الماء بيديها فتحدث رذاذا من حولها. تجرأت أكثر، ورشت الماء عليه. فعل الأب الشيء نفسه. رش عليها الماء. تتضاحك فيتضاحك هو الآخر. قدم الصغار إليهما. رش الماء بعضهم على بعض. تراخت يدا نسمة. اكتفت بملاحظة أخواتها. بينا أتى يوسف من خلف وداس بقدميه السور الرملي فانمحى الحوض، وإذا بنسمة جالسة على الرمل لا تجد الماء الذي يبهجها ويسليها. همت بالبكاء، فاحتضنها أبوها موبخًا يوسف، قائلاً في تأنيب:

- هكذا أنت دائمًا، تفسد كل شيء؟

ذهب الأب بصحبة أولاده، في جولة ثانية في البحر، تاركين نسمة وحدها، موصيًا صاحب الشمسية المجاورة، ثم نزل أبو ياسر إلى البحر، تاركًا زوجته وابنهما.. اجتذبها ياسر، الذي يقاربها في العمر. قالت له:

- عندي لعب كثيرة. تعال نلعب..

جلسا تحت الشمسية وحدهما. طفقت تعرض عليه لعبها البلاستيكية، ودميتها العروس، وكرة يوسف التي لا يعطيها لأحد. نادت أمه عليه كي يتغدى. أعطته سندوتشًا فآخر، بينا تنظر نسمة إليه صامتة. لاحظت امه نظرات الطفلة. ياسر طفلها الوحيد، كانت تتمنى أن تكون لها بنت مثلها. هزها حنين طاغ، فنادت عليها:

- تعالي يا حبيبتي..

انقادت طوعًا للنداء. خطت خطوات مترددة من شمسيتها إلى شمسية ياسر. جلست صامتة. أعطتها سندوتشًا. اخذت تقضم لقمة فاخرى، رانية إلى ياسر الذي تعلق بصدر أمه، ولامس خده خدها.. أعطته تفاحة وأعطتها تفاحة.. تناهى إلى أذنها صوت بائع ينادي على بضاعته:

- فريسكا..

أشار ياسر إليه. أشارت نسمة مثله. اشترت لهما ما يريدان. أشار ياسر من جديد إلى بائع آخر يحمل أكياسًا ملونة لرقائق البطاطس. قال:

- ماما.. أريد كيسًا..

فعلت نسمة مثله:

- ماما.. ماما..

قبل أن تكمل كلامها، قال لها:

- هي أمي أنا، وليست أمك.. أين أمك؟

- أمي.. سافرت..

- إلى أين؟

- إلى بعيد..

لم يفهم شيئًا، وهي لا تفهم ما تقول. هكذا قالت لها سماح.. هكذا يقول لها الجميع.. تناولت كيس الرقائق بيد مترددة. لم تفتح الكيس. ارتمت على صدرها تقلد ياسر.. لامست بخدها وجهها، وتحسست بيدها خدها الناعم.. قالت:

- أنا أحبك..

- وأنا أيضًا يا حبيبتي..

عاودت اللعب مع ياسر. اختلف الطفلان، تخاصما، لم تجرؤ على الاقتراب من أمه مثلما كانت تفعل. همت بالبكاء. تركت الشمسيتين وهرولت إلى البحر تنادي

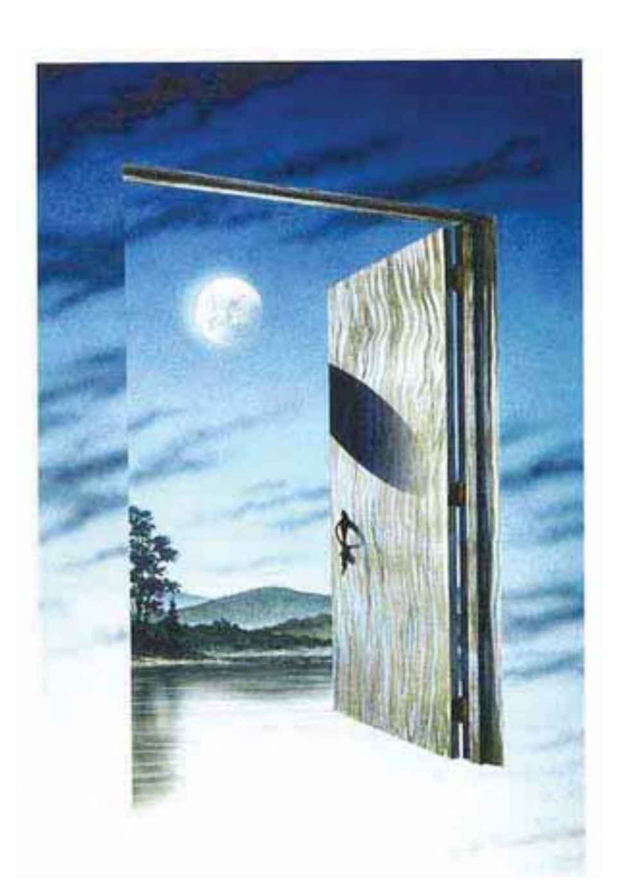
أباها.

لم يكن قريبًا منها. أشار إليها رافعًا ذراعيه. لم تأخذ بالها. أعطت للبحر ظهرها، ومشت بين الشماسي. لا بد أن أمها تجلس في إحداها. هي لا تعرف شكلها! لكن أمها ستعرفها، وتنادي عليها.. بيا حبيبتي.. تحتضنها.. تشتري لها رقائق البطاطس والحلوى والفاكهة، واللعب أيضًا.

بكت الطفلة بكاءً شديدًا، غير ناظرة إلى أحد، منادية بصراخ متواصل:

. ماما.. ماما.. ماما...

هرع إليها الناس. التفوا حولها. حاولوا تهدئتها وتطييب



خاطرها. اصطحبها رجل ممسكًا بيدها، قائلاً:

. سأذهب بك إلى أمك.. ما اسمك؟

. نسمة..

. واسم أبيك؟

. محمود لطفي

. عظيم.. تعالي معي..

صوت ينصحه:

. إن لم تعثر على أهلها، سلمها للشرطة..

خرج الأب من البحر باحثًا عن ابنته. سأل القريبين من شمسيته. قالوا انها اتجهت إلى البحر، تنادي عليك، فرفعت ذراعيك مشيرًا إليها.. ثم.. تشاغلنا نحن على أساس أنك ستحملها معك.. تحرك الأب في اتجاه، وسماح في اتجاه معاكس، وأبو ياسر في اتجاه ثالث، بينما مكثت أم ياسر تحت الشمسية ترعى ياسرًا وأولاد محمود لطفي.

أحد زملائه تعرف إليها. قال للمرافق إنها بنت زميل له، ويعرف عنوان الشقة التي نزل بها، إلا أنهما سرعان ما التقيا. احتضن الأب ابنته. قال لها:

. ألم أقل لك لا تتركي الشمسية؟ لماذا تركتها؟

. أبحث عن أمي..

قالت سماح:

. أمنا سافرت إلى مكان بعيد.. ألم أقل لك؟

دمعت عيناها. قالت لأختها الكبرى:

. كل المسافرين يرجعون إلى بيوتهم..

قال يوسف في حدة:

. قولوا لها الحقيقة.. أمنا ماتت من زمان..

نظرت إلى أخيها بعينين متوجستين:

. متى ترجع؟

جلس الأب على مقعد، مخفيًا وجهه بكفيه، يعالج دموعه المنهمرة، في لحظات قاسية على النفس..








# أعمال لقمان الشيخ الفنية من التقليدية إلى الحداثة

بيان ريحانوفا

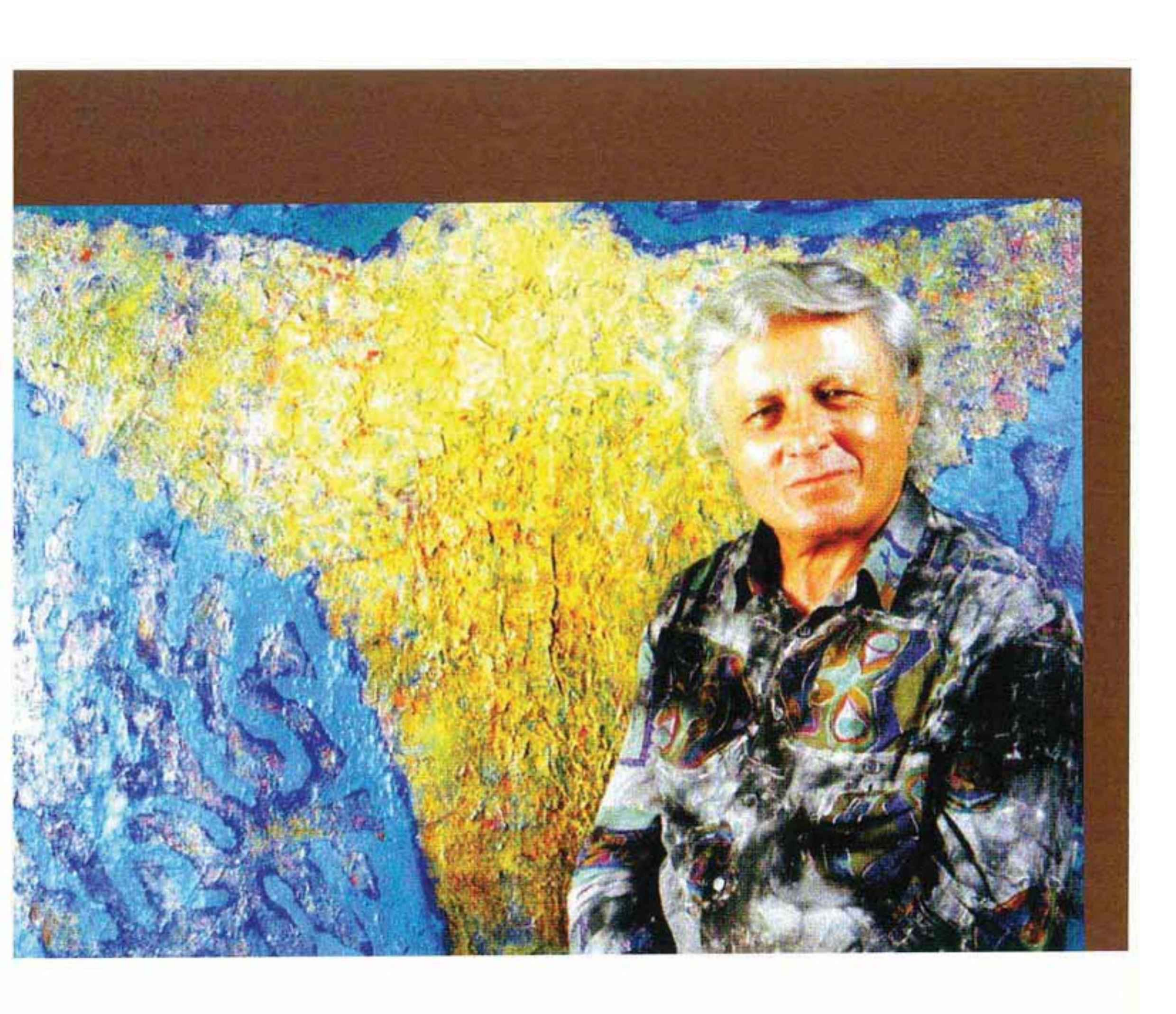
صوفيا – بلغاريا

منذ النصف الثاني من القرن العشرين تقريبًا، أصبحنا شهودًا لسلسلة الانقلابات في الأساليب والصيغ والمناهج التعبيرية للفنون الجميلة والآداب، بمختلف أنواعها واتجاهاتها في الأقطار العربية وخارجها.

وقد تغيرت القوالب الفنية التقليدية التي تشكلت في مرحلة النهضة العربية، وتطورت بعدها؛ بفضل النشاط الإبداعي لكثير من الأدباء والنحاتين والرسامين البارزين، الذين يقومون بدور مهم في تعميم الثقافة الفنية، وتعريف بالحضارة العريقة، والتراث العربي في وطنهم وخارجه. ومن بين هؤلاء الرسامين لقمان الشيخ، المولود عام ١٩٣٤م في مدينة الموصل العراقية، الذي يعيش منذ أكثر من أربعين عامًا في بلغاريا.

**الأساتذة الأولون**

ودخل لقمان الشيخ ميدان الفنون الجميلة في أوساط الخمسينيات عندما سيطر المبدأ الفني الرئيس لكتابة وتصوير ما ترى العين مباشرة في الواقع، كما تظهره الأعمال الفنية للرواد العراقيين، وبينهم : فائق حسن (١٩١٤م)، وعطا صبري (١٩١٣م)، وإسماعيل الشيخلي(١٩٢٤م)، وجواد سليم (١٩١٩م)، الذين «أملوا في رسالة الثقافة العليا، ودعوا إلى تصوير الموضوعات المعاصرة، على الرغم



من أنهم مثلوا الاتجاهات والمذاهب المختلفة»(١).

إن هؤلاء المثقفين يعدون مؤسسي الفنون الجميلة المعاصرة في العراق؛ لأنهم قد جددوا الموضوعات التقليدية، والتقنية الفنية تجديدًا قويًا، واتجهوا إلى تصوير الشخصيات الأسطورية، والسياسية، والموضوعات التاريخية، والقومية، بالإضافة إلى الحياة اليومية، والمشاهد الطبيعية، والأحياء الشعبية، والمناظر الريفية، والطبيعة الصامتة، وغيرها من الموضوعات.

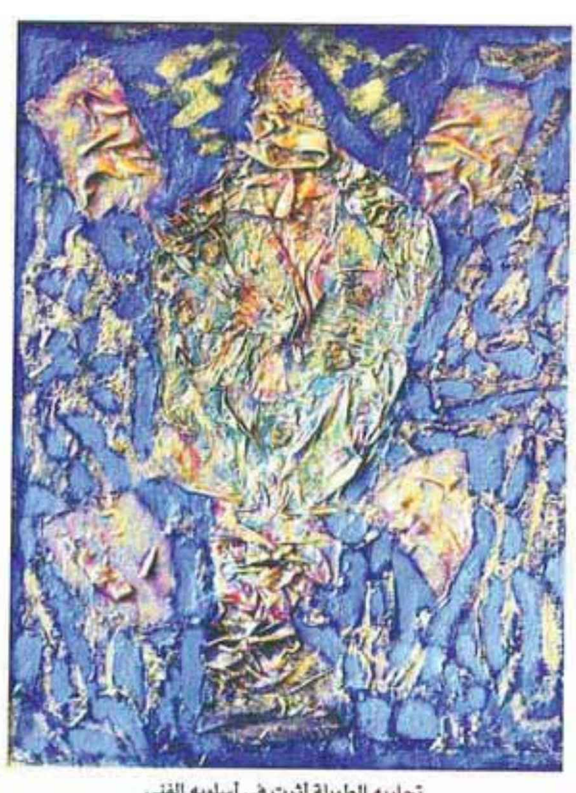
كما أنهم حاولوا أن ينقلوا آراءهم وخبرتهم المتنوعة إلى الشباب، عن طريق الدراسة العلمية في التصوير، والنحت، والحفر، والزخرفة، بالإضافة إلى تعريفهم بتاريخ الفنون، وعرض مسائل الفن، وعلم الجمال، حينما اشتغلوا بالتدريس في معهد الفنون الجميلة، الذي قام الشريف محيي الدين - عميد العائلة المالكة - بإنشائه في بغداد عام ١٩٥٢م.

وكان من بين تلاميذ هؤلاء الرواد لقمان الشيخ الذي يذكر أساتذته وسنواته الدراسية الأولى فيه كما يأتي: «نأتي إلى المعهد كل في قسمه الدراسي، ونحن

فرع الرسم والنحت. كان حظنا هو وجود الرواد الأوائل في هذا المضمار، وهم الأساتذة : فائق حسن، وعطا صبري، وإسماعيل الشيخلي، وجواد سليم (في قسم النحت)، وأذكر الأستاذ فائقًا، وهو يدخل فناء المعهد على دراجته الهوائية، وشاله حول عنقه يرفرف وراء ظهره، وغليونه لا يفارق فمه، مع لباسه الذي يشبه فناني حي (المونمارتر) الباريسي. أما الأستاذ عطا صبري، الذي تخرج في معهد (سليد) البريطاني، فأذكر شكله وهندامه وأناقته، وكأنه لورد إنجليزي، وهو يمشط شاربه الكث بأصابعه الأنيقة.. وكنا نلتقيه في محطة الموصل عائدًا من سفرته الموفقة، حاملاً لوحات جميلة، تصور طبيعة تلك المنطقة، التي كان في زيارتها، وبقيت هذه اللوحات خالدة حتى الآن.. أما الأستاذ جواد فكان يدرسنا فن النحت، وأذكر خصاله الحميدة، وشكله المتواضع، حاملاً قيثارته يعزف لنا في الحفلات، التي كانت تقام في قاعة المعهد... وكانت سنوات الدراسة التي قضيناها في المعهد حافلة بالأعمال والأنشطة الثقافية»(٢).

وقد تعلم لقمان الشيخ من هؤلاء الرواد مفهوم الرسم والتصوير بمعناه العصري، وجوهر الحدس والخط (الكونتور)، ودورهما في عملية بناء اللوحة الفنية، وبمساعدتهم صمم الشاب على أن يوجه موهبته إلى الرسوم الجدارية، وفي الوقت ذاته ما زال يهتم بالصيغ التعبيرية التقليدية للقرون السابقة. كما أنه نظر إلى رشاقة النقوش الآشورية، وفصاحة نمنمات المذهب البغدادي، والزخرفة الإسلامية، وطباعة الأقمشة وتزويقها، والتوريق العجمي، ورصف الفسيفساء كمصدر ووسيلة لإغناء الأسلوب الفني المعاصر.

وحاول لقمان الشيخ أن يعيد تقدير إنجازات أساتذته، ليبحث عن منهجه الفني الأصلي، ويسبغ على أعماله الصفة القومية في آن واحد. ومع ذلك



تجاربه الطويلة أثرت في أسلوبه الفني

استفاد لقمان الشيخ من سمات الفنون التقليدية ليخلق رسومًا جديدة تجمع بين الرموز الإسلامية: والعبارات المكتوبة بالخط العربي، وبين أشكال النباتات والطيور والطبيعة. وتناولها الفنان بالتحليل الزخرفي، والتبسيط الهندسي

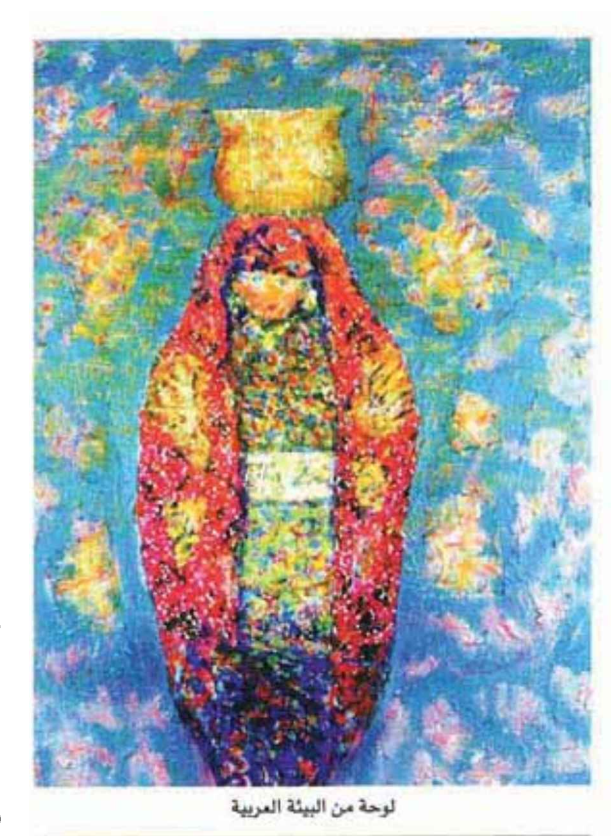
ويجدد المضمون الثقافي والتاريخي للتقاليد التعبيرية القومية، ويستحوذ على التقنيات المستحدثة.

### التجربة في بلغاريا

وبعد التخرج في المعهد، أتيحت الفرصة للقمان الشيخ للسفر إلى بلغاريا لإكمال دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة في مدينة صوفيا، التي تميز النشاط الإبداعي فيها آنذاك بحرية أكثر مما كان عليه الحال في الجمهوريات الأخرى للاتحاد السوفييتي سابقًا، وواصل دراسته في اختصاص الرسوم الجدارية تحت إشراف الأستاذ جيورجي بوغدانوف، الذي عرّفه عن قرب بالفنون الجميلة التقليدية في بلغاريا، المشهورة بزخرفتها الخاصة من أقدم العصور، وفن الأيقونات السلافية من القرون الوسطى، وبمساعدة أساتذته الآخرين اطلع لقمان الشيخ على الأساليب والاتجاهات الفنية المستحدثة كالتعبيرية، والانطباعية، والتكعيبية، والسريالية، والتجريدية، وغيرها من الاتجاهات المتحررة السائدة في أوربا منذ مطلع القرن العشرين.

واستوعب لقمان الشيخ الخبرة الفنية المتنوعة للبلغاريين، ومن بين التشكيليين الكبار الذين أصبحت إنجازاتهم معروفة على نطاق واسع نشير إلى فلاديمير ديميتروف «مايستور» المشتهر بتصوير الشخصيات والطبيعة، وديميتير غيوجينوف المعالج للموضوعات التاريخية، وجورج بابازوف المتميز بأسلوبه السريالي في التصوير المائي والزيتي، وديتشكو أوزونوف الممارس في الرسوم الجدارية والفسيفساء، وغيرهم.

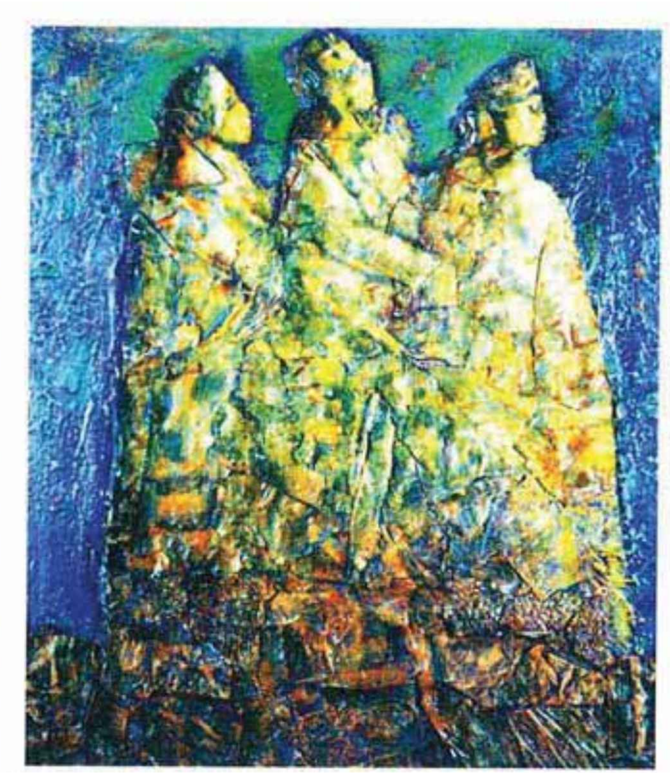
وبعد التخرج في الأكاديمية اتجه لقمان الشيخ إلى تصاميم زخرفة النسيج (تيكستايل)، التي اختارها كمهنة، ومارسها في عدد من مصانع النسيج البلغارية سنوات



لوحة من البيئة العربية

**كان يدرك أهمية التخلق لتجربة الفنون الأوربية؛ من أجل أن يوسع الدائرة المحلية للأفكار الفنية، ويزيدها.**

تعلم لقمان الشيخ من الرواد مفهوم الرسم والتصوير بمعناه العصري، وجوهر الحدس والخط (الكونتور)، ودورهما في عملية بناء اللوحة الفنية، وبمساعدتهم صمم الشاب على أن يوجه موهبته إلى الرسوم الجدارية، وفي الوقت ذاته ما زال يهتم بالصيغ التعبيرية التقليدية





ارتباط وثيق للفنان بقضايا أمته

طويلة. وآنذاك لاقت أعماله في التصاميم النسيجية نجاحًا كبيرًا في بلغاريا من أجل طرافتها، وأصالتها، حتى أصبحت انموذجًا للاحتذاء، ومثلاً للمحاكاة من جهة الفنانين الشباب؛ لأن لقمان الشيخ استقر على الأسلوب الخاص الذي تميز باستلهام الفنون الشعبية العربية غير المعروفة للبلغاريين حينئذ.

واستفاد لقمان الشيخ من سمات الفنون التقليدية ليخلق رسومًا جديدة تجمع بين الرموز الإسلامية؛ والعبارات المكتوبة بالخط العربي، وبين أشكال النباتات والطيور والطبيعة، وتناولها الفنان بالتحليل الزخرفي، والتبسيط الهندسي؛ لأنه قد وضع الرقش العربي إلى المادة الأساسية في تصاميمه النسيجية التي ناسبت روح العصر، ومناخات الحداثة.

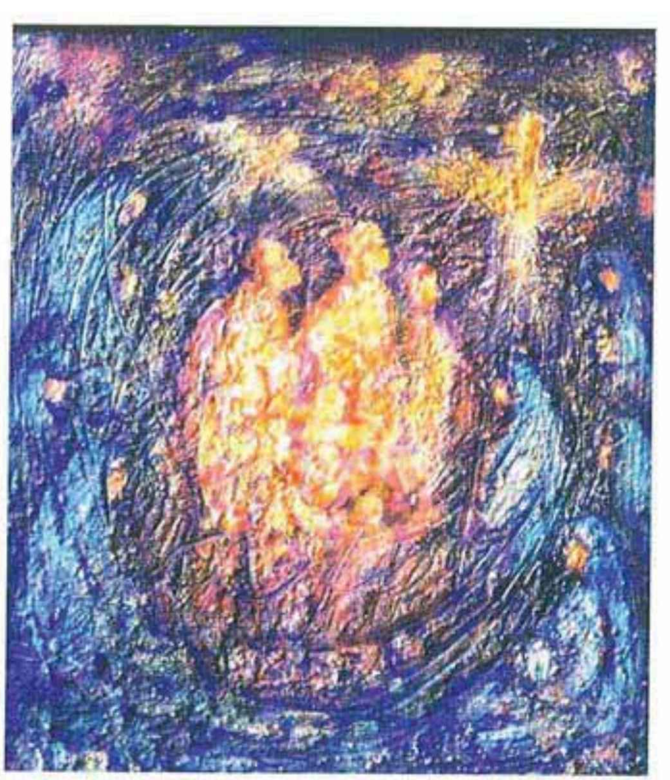
### مرحلة إحصاء النتائج

وبعد التغيرات التي اجتاحت جميع مجالات الحياة في بلغاريا، وسائر الدول الشرقية في أوائل التسعينيات، بدأت المرحلة الجديدة لنشاط لقمان الشيخ الإبداعي المتصل بإعادة النظر في القيم الجمالية عامة، والأهداف الفنية خاصة. وظهر أن تصاميمه النسيجية لم تنجز فجأة، ولا لها تطبيق عملي، ولا ترويج؛ لأن مصانع النسيج التي عمل فيها، قفلت أبوابها، ولم تنجح

للبيئة تأثيرها في أعمال لقمان

بسرعة بسبب الظروف الاقتصادية المتغيرة في البلاد. وبذلك انعطف لقمان الشيخ من التصاميم النسيجية إلى الرسوم الزيتية، التي اهتم بها خلال السنوات الدراسية الأولى. حتى إنه لم يخرج عن الإطار التقليدي في عملية إبداعها، كما فعل زملاؤه الطلبة، بل تحرر من الأكاديمية الجافة السائدة آنذاك في أكثر أنواع الفنون الجميلة.


يستمد لقمان مفرداته التشكيلية من القديم والجديد


التقاط نقاط مضيئة في اللوحة ضرورة لقراءتها

من البديهي أن تجاربه الطويلة قد أثرت في أسلوبه الفني، فابتعد لقمان الشيخ من المنهج الكلاسيكي ابتعادًا كبيرًا، وانعطف إلى الحداثة بتوجهه إلى ابتكار الأسلوب الفني الأصلي، والتقنية التعبيرية الخاصة، وأصبح يستمد مفرداته الشكلية من الفنون الجميلة القديمة والمعاصرة، ويستعير بعض العناصر الإنشائية من الرسوم الجدارية، والتصاميم النسيجية، ويبني منها العوالم غير المألوفة التي يتمازج فيها الواقع والخيال لتعكس القضايا الإنسانية والقومية.

و قد لحظ الناقد البلغاري جورجي شابكاروف أن لقمان الشيخ يهتم «في المشاعر الإنسانية بآمالها وتضحياتها من أجل القضية التي يعمل من أجلها، مصورًا بلوحاته شكل المعاناة التي عاشها العراق، وعاصمته بغداد في ليالي عام ١٩٩١م، وكذلك لوحة (دعوة للنجدة)، وفيها الشعب العراقي يطلب النجدة لإنقاذه من محنته التي يعيشها، ولوحة أخرى يظهر فيها أناس كانوا يعيشون حياة طبيعية إنسانية، ولكن تحولوا الآن إلى وجوه تلفها مشاعر المعاناة والألم بعد سنوات الحصار والحكم التعسفي» (٣).

ونضيف إلى هذا الرأي أن الإدراك البصري العادي في لوحات لقمان الشيخ يتنازل عن الأولية لخليط من البواعث المختلفة التي يحس بها المتلقي،



الارتجال اللوني التلقائي والأشكال الهندسية وتوزيع الضوء والظل للتعبير بموضوعية وتقنية أكثر غنائية وغرائزية

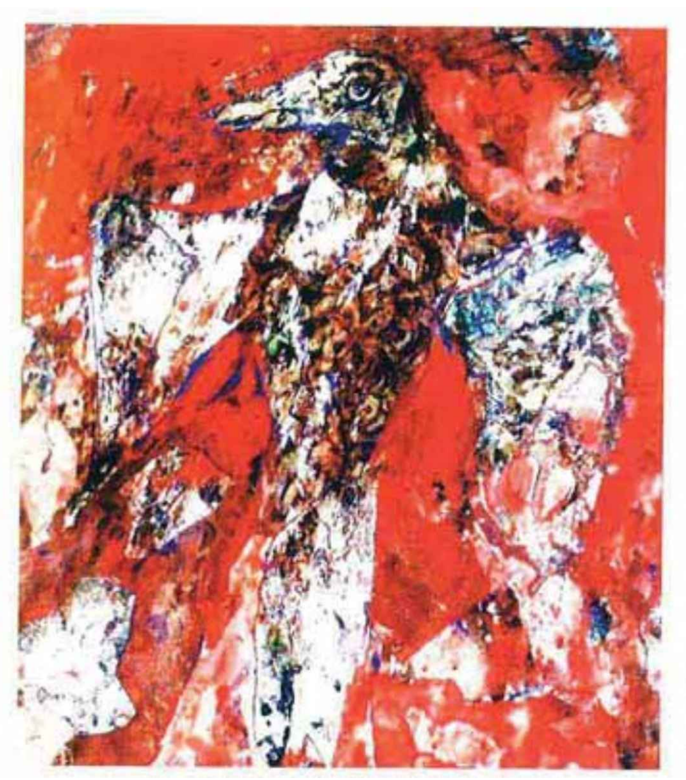
ويفسرها بطريقته الخاصة، وذلك أمر لا بد منه. وكما قال عبد الله أبو راشد: «إن قراءة النص البصري التشكيلي قائمة في جوهرها على آليات القارئ (المتلقي) على فهم فعاليات تفاصيل النص البصري كافة بعيدًا عن رؤية الفنان، وهي آلية ابتكار «إبداعية» جملة وتفصيلاً، تقوم مفاعيلها على التقاط نقاط مضيئة داخل متن النصوص، وقدرة فائقة على الاكتشاف، ونسب كل مكون وعنصر من مفردات النص البصري وجمله التشكيلية إلى أصوله المعرفية والفلسفة الجمالية، وتحديد الرموز الموحية والمعبرة عن حالة إنسانية هنا، وفكرة جمالية هناك» (٤).

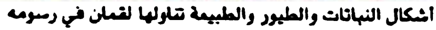
وإن التحديد الدقيق لعدد من المصطلحات، كالأسلوب والمدرسة ومنهج العمل الفني، صعب على الدوام، وخاصة في المرحلة الراهنة، وقد يكون أهمها

هذه السلسلات تظهر لنا الموقف الفني والقومي للقمان الشيخ، الذي يستخدم فرشاة عريضة تسهم في التعبير عن الحركة والحيوية، والأداء اللوني المباشر المتصل بموضوعات وتقنية مستحدثة أكثر غنائية وغرائزية



لعبة الألوان في النور والظل





أشكال النباتات والطيور والطبيعة تناولها لقمان في رسومه

الثورة المعرفية المثقلة بوسائل الاتصال المتطورة، التي اذابت، بشكل أو بآخر، السمات الخاصة بظروف كل تجربة ومدرسة، وعلى الرغم من ذلك فإن في إمكانيتنا أن نميز التجريدية الإيحائية السائدة في أعماله الفنية، ونجد أنها لم تعد تجريدية، كما هي موصوفة في كتب مدرسية عادية، بل هذا الأسلوب للقمان الشيخ يميل إلى التكثيف، ويحمل بعض سمات الاتجاهات الأخرى كالتعبيرية، والرمزية، والسريالية؛ وهذا لأنه يشعر بنفسه متحررًا من كل قيد، وعمله الإبداعي يقوده إلى ما يريد، مع الاحتفاظ بالخصوصية الخاصة به.

ومنذ بدايات التسعينيات حتى أيامنا هذه رسم لقمان الشيخ عشرات من اللوحات الزيتية بأسلوبه المستحدث، واشترك بها في كثير من المعارض الجماعية، كما أقام عددًا من المعارض الفردية، ونذكر معرضه الفردي الأخير الذي أقيم في لندن عام ٢٠٠٥م. ومن بين لوحاته المتعددة نميز ثلاث سلسلات موضوعية أساسية، وجميعها غير مسمى؛ لأن الفنان يخلق واقعيته الخاصة بمساعدة تركيب اللوحة، وتفاعل الألوان فقط، ولا يستعين بالعناوين ليفرض رأيه الشخصي على المشاهد، وبالعكس يطلق العنان لخياله.

تمثل السلسلة الأولى اللوحات المستقاة من موضوعات أسطورية، لها علاقة مباشرة بالتراث

استوعب لقمان الشيخ الخبرة الفنية المتنوعة للبلغاريين. ومن بين التشكيليين الكبار الذين أصبحت إنجازاتهم معروفة على نطاق واسع نشير إلى فلاديمير ديميتروف "مايستور" المشتهر بتصوير الشخصيات والطبيعة، وديميتير غيوجينوف المعالج للموضوعات التاريخية، وجورج بابازوف المتميز بأسلوبه السريالي

العربي، والفلكلور المحلي، وتبرز فيها تعددية الأشكال الحيوانية والنباتية، ويتناول الفنان موضوعاته بأسلوب يميل إلى تبسيط هذه الأشكال من النباتات والكائنات، وتحويرها على نحو ما نجده في المنحوتات القديمة، وقد بدت أشكاله مكتنزة ومكبرة، تسبح في لجة من الأشكال المختزلة، والمستمدة من الستائر المتموجة، التي تضفي عليها مناخًا أسطوريًا، ويقتصر لقمان الشيخ على عدد من الألوان، ويظهر ميله إلى تكثيفها، بما فيها من الحرارة والإشراق أو القتامة، التي يحولها إلى اللون السائد في كل لوحة منفردة من هذه السلسلة.

وتحتوي السلسلة الثانية على مجموعة لوحات مأخوذة من البيئة العربية والحياة الشعبية: البدويين والفلاحين والفلاحات من المناطق المختلفة بملابسهم التقليدية، وهنا نرى المرأة بالإبريق على رأسها والراعي بمزماره، والعجوز بحماره، والنساء الجليسات في حزنهن، وغيرها من الموضوعات. وقد تحولت هذه اللوحات إلى جملة من الأشكال التي تترابط عناصرها، لتؤلف منظرًا ريفيًا، أو مشهدًا ميتافيزيقيًا، أو موقفًا قوميًا، وفيها يقترب أحيانًا من المناخات التعبيرية في أشكالها وألوانها، التي تبين في سطوعها، وتنسجم في علاقاتها، وبذلك تشكل الإيقاعات البصرية.

وأما السلسلة الثالثة فهي تمثل لعبة الألوان في النور والظل من خلال الأشكال الهندسية المتنوعة، وعندما يجسد الفنان المثلث والمربع أو المستطيل لا يلبث أن يحول تقنيته من إطار المنهجية النظامية الصارمة إلى الارتجال اللوني التلقائي، الذي يظهر بصورة واضحة في اختيار الأشكال والمساحات الهندسية، وتوزيع الضوءوالظل المتشكلين من كثافة الخطوط الحساسية التصويرية وندرتها، والقوة الدرامية في الوقت نفسه.

وهذه السلسلات تظهرلنا الموقف الفني والقومي للقمان الشيخ، الذي يستخدم فرشاة عريضة تسهم في التعبير عن الحركة والحيوية، والأداء اللوني المباشر المتصل بموضوعات وتقنية مستحدثة أكثر غنائية وغرائزية. وعلى الرغم من نزعاته إلى البدع المختلفة طوال نشاطه الإبداعي الطويل، إلا أنه يحفظ الحساسيات المجازية والقصصية، والانفعالية المرتبطة بنفسيته الشرقية، والفنون الشعبية لوطنه.

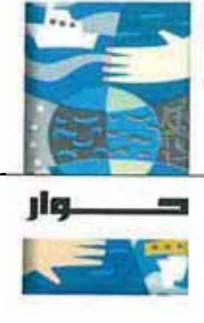
## المراجع والهوامش


1- Jabra I. Jabra. Iraqi Art Today. Bagdad 1972. p.5

٢. لقمان الشيخ: في أيام المعهد الملكي تألق الرواد: جواد سليم، وفائق حسن، وعطا صبري، صحيفة المؤتمر، الجمعة ٦، ١٢ كانون الأول ٢٠٠٢ م: عدد ٣٢٩، ص٩.

٣. جوجرجي شابكاروف: التشكيلي لقمان الشيخ.. تجربة طويلة في الرسوم الجدارية، وزخرفة الأقمشة، صحيفة المؤتمر، الجمعة، ٢٩ تشرين الثاني- ٥ كانون الأول ٢٠٠٢ م: عدد ٣٢٨، ص٩.

٤. عبد الله أبو راشد: نظرية التلقي في الفنون التشكيلية: نحو خلق نظرية عربية، الثورة / ملحق ثقافي، العدد ٤٤٦، ١ فبراير ٢٠٠٥، ص ١٠.




# د. صالح السنوسي:
# العولمة إرث غربي مخيف

الطيب ولد العروسي

باريس ـ فرنسا

تطرح العولمة الكثير من التساؤلات النظرية في العالم العربي. وتؤسس في الغرب لعالم بدأت بوادره بادية للجميع. حيث تتمثل في استعمار ثقافي وأيديولوجي من نوع جديد. فالغرب له الحق في ضرب حقوق الإنسان عرض الحائط. واستعمار البلدان لنهب خيراتها باسم الديمقراطية. إضافة إلى بعض منظريه ومفكريه الذين قصروا مجهوداتهم لتبرير الاستعمار المباشر. الذي خضعت وتخضع له بعض بلدان العالم الثالث. ومن ضمنها العالم العربي.

تؤسس العولمة إذن لحكم شمولي يسود العالم في جميع ميادين الحياة، ويساعدها على ذلك تفوقها التكنولوجي والمعلوماتي، هذه المحاور وغيرها كانت من بين الأمور التي ناقشها الدكتور صالح السنوسي في مؤلفه العولمة أفق مفتوح وإرث يثير المخاوف، الصادر حديثًا في القاهرة عن مؤسسة ميرفيت. التقينا المؤلف في باريس وكان الحوار الآتي:

**متى بدأ مشروع العولمة يتشكل؟**

. هناك إجماع على أن مشروع العولمة بدأ يتشكل نسيجه الاقتصادي والسياسي منذ القرن الخامس عشر. ومن المؤكد أنه كان يواكبه ـ حتى الآن ـ مشروع ثقافي، كانت قيمه ومفاهيمه وحقائقه وأساطيره تغذي جهد الإنسان الأوربي المندفع إلى السيطرة على أرض الآخرين وثرواتهم؛ وذلك تحقيقًا لذاته المتفوقة.

تنامى هذا المشروع، وأخذ يصبو نحو آفاق عولمة الكون أوربيًا، حيث حملته قوى المركز الأوربي المتنافسة على تملك العالم طبيعة وبشرًا، وقطعت به خلال أربعة قرون شوطًا كبيرًا على الصعيد الاقتصادي والسياسي، فخلال هذه



القرون الأربعة كان التنافس بين قوى المركز الأوربي وتصادم مصالحها، يعملان لمصلحة هذا المشروع، فلم يكن هناك خلاف بين هذه القوى حول الإطار العام لمنظومة القيم والمثل والمفاهيم التي يمثلها هذا المشروع، كما أنه لم يكن هناك اختلاف بينها حول نظرتها إلى الآخر غير الأوربي.

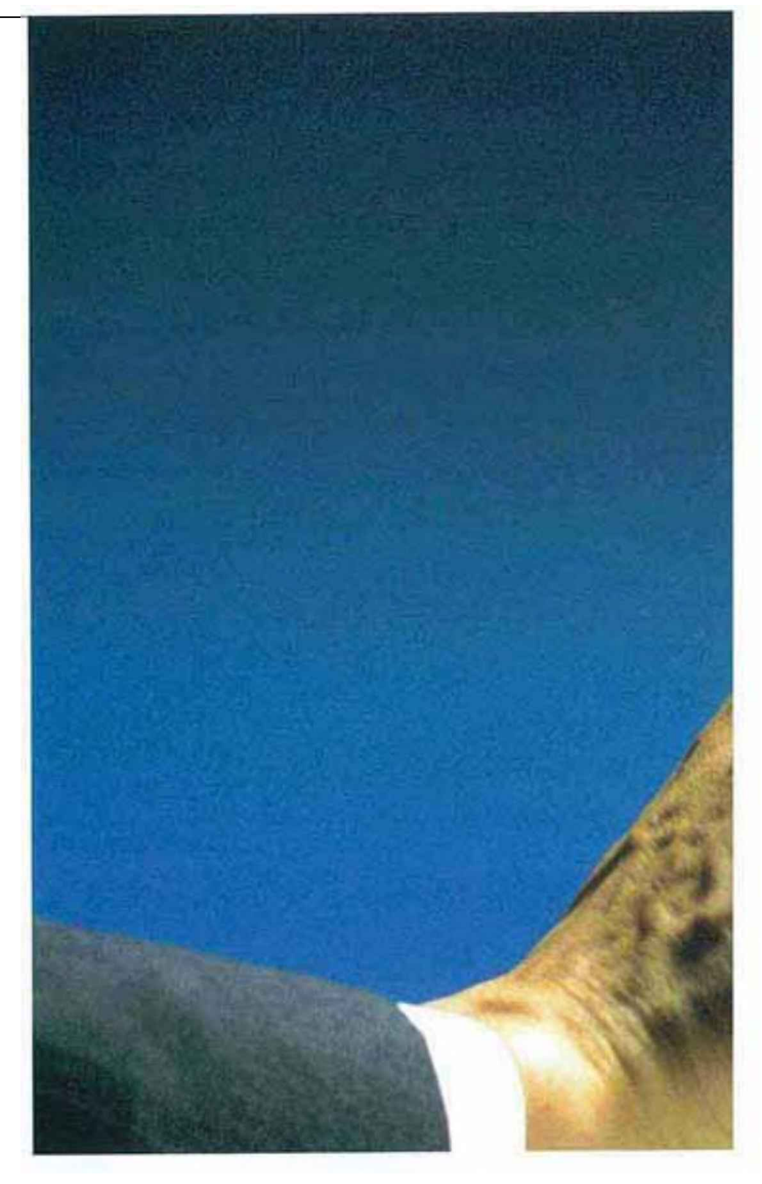
ما اللحظات البارزة في هذا المشروع؟ وكيف حاولت دراستها؟

**ـ لقد حاولت القبض على اللحظات البارزة في تاريخ الثقافة الغربية، التي تكونت خلالها منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم التي ميزت هذه الثقافة، فهذه المنظومة ـ في رأيي ـ هي المفتاح الذي يمكن أن يحل ما يكتنف العولمة ظاهريًا من تناقضات وألغاز وأبواب مغلقة. فهناك ركائز أساسية في ثقافة الغربي، كانت قد تشكلت في لحظات تاريخية حاسمة في تاريخ الحضارة الغربية المعاصرة، وهذه الركائز هي التي حملت بذور العولمة وغذتها، حتى أينعت وأثمرت في القرن الحادي والعشرين.**



**في أي شيء تتمثل هذه الركائز؟**

ـ تتمثل هذه الركائز في الاتجاهات التي ميزت الفكر الغربي، وحددت رؤية الثقافة الغربية إلى الآخر، وهي ـ تحديدًا ـ المنظور الشمولي والعرقي والمنظور القومي. فهذه المنظورات الثلاثة على ما يبدو بينها ظاهريًا من اختلاف، إلا أنها هي التي حفرت متضافرة نهر النزعة المركزية الغربية، الذي لم يتوقف منذ خمسة قرون عن



التدفق وإن تغير لون مياهه من حقبة إلى أخرى.

فقبل أن يصل الغرب إلى ما نسميه ظاهرة العولمة في القرن الحادي والعشرين، قطعت ثقافته مسافة خمسة قرون من الزمن موصولة بالنقد والمراجعة للمفاهيم والمبادئ والقيم الثابتة والمتغيرة في آن، بحيث ظلت ثقافة الغرب متحولة على الدوام، ومحافظة على ثبات رؤيتها للآخر، ولثقافته، وقد ساعدها على ذلك نهضتها العلمية التي انطلقت منذ القرن الرابع عشر، لتدشن أولى خطوات الغرب على طريق العولمة الطويل.

**«العولمة أفق مفتوح وإرث يثير المخاوف» عنوان كتابك الصادر حديثًا في القاهرة. ماذا أضفت من جديد؟**

- قاطعني الدكتور صالح السنوسي قائلاً: ما أردت قوله هو أن الإرث السياسي والثقافي الغربي، الذي لا يزال في القرن الحادي والعشرين تسنده كل أشكال القوة العسكرية والاقتصادية والعلمية والثقافية، وهو مبعث مخاوف الشعوب الأخرى من أن تكون العولمة شكلاً من أشكال الهيمنة الغربية في إطار علاقة المركز بالأطراف. فكل القيم والمبادئ والأطروحات المصاحبة للعولمة، مثل: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحوار الحضارات والاعتماد المتبادل، لا تبدو أنها تشيع أو ترسّخ الطمأنينة بين هذه الشعوب، حول العلاقة التي ستربطها بالغرب في هذه المرحلة، فالحضارة الغربية لم تكن في الماضي تعاني خلوًا من القيم والمبادئ الإنسانية الكبيرة، فالاستعمار وهو الركيزة الأولى للعولمة، كانت طريقه تظللها القيم التي حملها خطاب نظري موجه إلى كل البشر.

**أين ترى الإشكالية بين الغرب والآخر؟**

- الإشكالية التي قامت ولا تزال، بين الغرب والشعوب الأخرى، هي التناقض بين القول والعمل، وبين المبدأ

أنجزت أوربا على طريق العولمة. إبان المرحلة الاستعمارية سياسة اقتصادية ضخمة. ومن ثم فعندما حملت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لواء العولمة الغربية. وجدت أمامها نظامًا اقتصاديًا رأسماليًا عالميًا صنعته جيوش أوربا وشركاتها واحتكاراتها

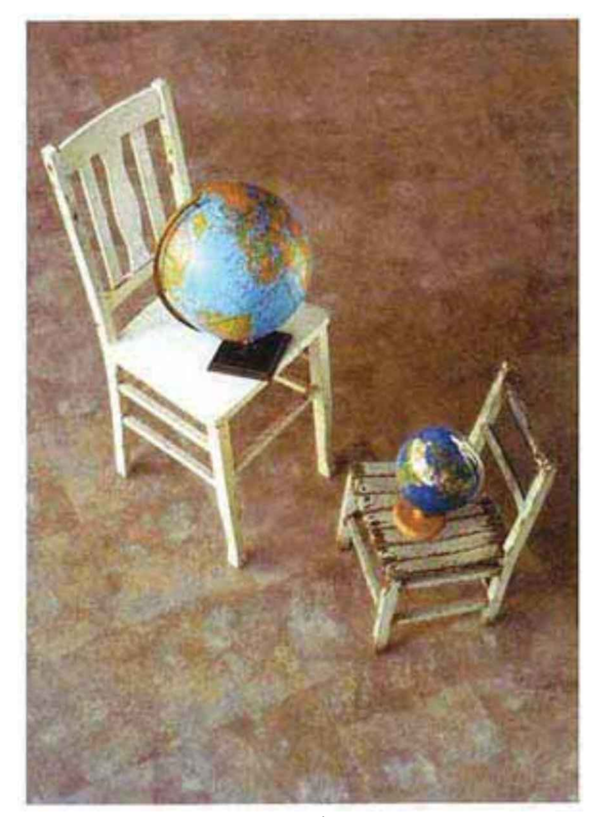
والفعل، ففي ظل أعتى موجات الاستعمار، وأكثرها ضراوة، نجد الكثيرين من مفكري الغرب يفاخرون بأن بلدانهم هي التي تضطلع بشرف نشر وترسيخ المبادئ والقيم التي تعيد للبشر إنسانيتهم.

إليكس توكفيل، الذي يفاخر بأن بلاده وثورته أعادت إلى الجنس البشري صفاته، ورفعت مبدأ المساواة بين كل الناس، لا يجد غضاضة في الوقت نفسه من أن يقدم نصيحة بخصوص التعامل مع الجزائريين، كرعايا للمستعمرة الفرنسية، بأنه ليس هناك منفعة، ولا واجب في إعطاء رعايانا المسلمين أفكارًا مبالغًا فيها عن أهميتهم، ولا في إقناعهم بأننا مجبرون على معاملتهم في كل الظروف تمامًا، كما لو كانوا مواطنينا وأندادًا لنا.

**هناك إجماع على أن مشروع العولمة بدأ نسيجه الاقتصادي والسياسي يتشكل منذ القرن الخامس عشر. ومن المؤكد أنه كان يواكبه ـ حتى الآن ـ مشروع ثقافي. كانت قيمه ومفاهيمه وحقائقه وأساطيره تغذي جهد الإنسان الأوربي المندفع إلى السيطرة على أرض الآخرين وثرواتهم**

تاريخ أوربا العسكري والسياسي والثقافي وراء بروز العولمة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية





عالمان أم عالم واحد؟

**ما الآفاق التي تنتجها العولمة؟**

- على الرغم من الآفاق التي تفتحها ظاهرة العولمة في أفق المستقبل الإنساني، وما تحمله من مبادئ وقيم نظرية، فإن التناقض، الذي ميز الإرث الغربي، لا يبدو مجرد سمة ميزت تركة الماضي ولا يزال ممتدًا ومبتديًا في أفعال ومواقف واضحة للجميع، يمكن أن تقوض مصداقية كل ما يمكن طرحه من قيم ومبادئ في عصر العولمة، حيث الانتقائية والتمييز بين من هُم جديرون بحقوق الإنسان، ومن ليسوا جديرين بذلك، وبين أجناس يعد فعل القتل جريمة إذا وقع عليهم، وأجناس أخرى يعد قتلهم فعلاً لا تثريب عليه. معظم القيم التي تبشر بها العولمة ليست في واقع الأمر إلا تلك التي بشرت بها الحداثة الغربية، والتي من أجل تعميمها كطريقة وحيدة للعيش وللحياة أباح معظم مفكري الغرب ومثقفيهم الاستعمار والقسر، ولهذا فإنه من الصعب مقاومة بعض الشكوك في أن الغرب قد يبيح لنفسه، في عصر العولمة، ما سبق أن أباحه لها، في سبيل تعميم كل ما هو خير وجميل في نظره.

**كيف كان يرى مفكرو الغرب هذه القيم التي يستعمرون بها الآخر؟**

- كانت رسالة نشر قيم الثقافة الغربية بين البشر، هي الخطوة الأولى في مسيرة العولمة، فباسم هذه الرسالة أباح مفكرو المنظور الشمولي، أمثال: كوندرسيه ما أسموه بالاختلاط الذي تفرضه جماعة على جماعة أخرى، ترفض هذا الاختلاط، لكي ينتج من ذلك نظامًا مقبولاً ومسلمًا به من قبل الجميع، كذلك الأمر في مرحلة المنظور القومي، فقد قبل هذا المنظور بفكرة الحرب والاستعمار لأجل تصدير القيم والمبادئ التي أتت بها هذه الثورات القومية في الغرب، فقد جرى التوفيق بين المفهوم الإنساني والمفهوم الاستعماري، وبين المفهوم القومي والمفهوم الشمولي، كل ذلك كان بمنزلة باب مفتوح باتجاه العولمة بمفهومها الغربي.

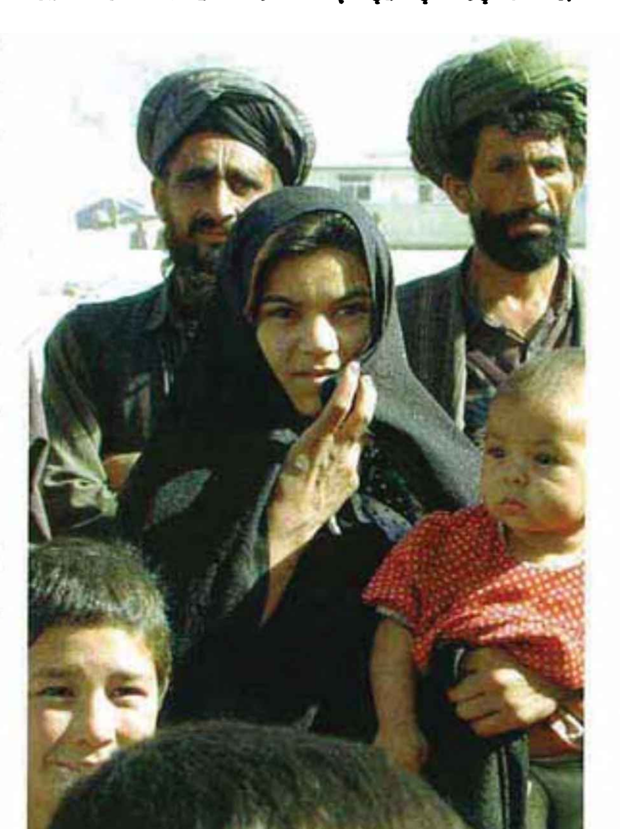
**هناك إرث سياسي إذن؟**

- لقد ربط الإرث السياسي والثقافي الغربي دائمًا بين ما هو إنساني، وما هو استعماري، فالاستعمار الفرنسي كان يستظل بخطاب مفرداته المفتوحة على كل المعاني الإنسانية والشمولية، وما فعله الجنرال الفرنسي بول بير لدى احتلاله هانوي غير دليل على

ذلك، حيث أمر بتعليق ملصقات تحمل بنودًا من إعلان حقوق الإنسان، ولم يتغير شيء في القرن الحادي والعشرين، فها أنت ذا ترى المبادئ التي أسست للفكر السياسي الأمريكي، يجري توظيفها في إطار مشروع الهيمنة الأمريكية على العالم؛ وذلك لإضفاء مشروعية إنسانية على الطموحات الأمريكية الهادفة إلى عولمة الكون أمريكيًا.

لقد أنجزت أوربا على طريق العولمة، إبان المرحلة الاستعمارية سياسة اقتصادية ضخمة، ومن ثم فعندما حملت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية لواء العولمة الغربية، وجدت أمامها نظامًا اقتصاديًا رأسماليًا عالميًا صنعته جيوش أوربا وشركاتها واحتكاراتها، ومصارفها وبيوتها المالية ومؤسساتها الصناعية ارتبطت به عضويًا مصاير مليارات من البشر..

الإرث السياسي والثقافي الغربي الذي تسنده القوة العسكرية مبعث مخاوف الآخرين



**كانت أوربا إذن السباقة في مشروع العولمة الذي تقوده الولايات المتحدة الآن؟**

لولا تاريخ أوربا العسكري والسياسي والثقافي الطويل، ما كان للعالم أن يشهد في القرن الحادي والعشرين ظاهرة اسمها العولمة الغربية، تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، التي لم توجد على مسرح التاريخ السياسي العالمي إلا منذ ثلاثة قرون من الزمن.

**ما رأيك في مقولة نهاية الأيديولوجية التي حلت محلها الثورة المعلوماتية؟**

. لا أعتقد أن الأيديولوجية قد انتهت، فالقول بنهايتها كالقول بنهاية التاريخ، والحدث عن ثورة المعلومات، وعن التقدم التكنولوجي هو نوع من الأيديولوجية. فإذا خسرت الشيوعية صراعها مع الرأسمالية الليبرالية فليس معنى ذلك نهاية التاريخ، أو الأيديولوجية، فهناك دائمًا منظومة من القيم والتصورات تؤطر رؤية الإنسان للكون والحياة، ويتخذ منها دليلاً يسترشد به، ويقيس به . حسب مفهومه . مدى صحة ما يختاره من حلول في مواجهة ما يطرحه عليه الزمن والطبيعة من إشكاليات وخيارات.

هل يمكن الحديث عن نهاية الأيديولوجية، ونحن نرى الحروب تشن، والبلدان تحتل باسم الديمقراطية. ومهما

هناك ركائز أساسية في ثقافة الغربي، كانت قد تشكلت في لحظات تاريخية حاسمة في تاريخ الحضارة الغربية المعاصرة، وهذه الركائز هي التي حملت بذور العولمة وغذتها، حتى أينعت وأثمرت في القرن الحادي والعشرين



لا مستعمرات بالمعنى إلا في بلاد العرب من أمثال فلسطين والعراق

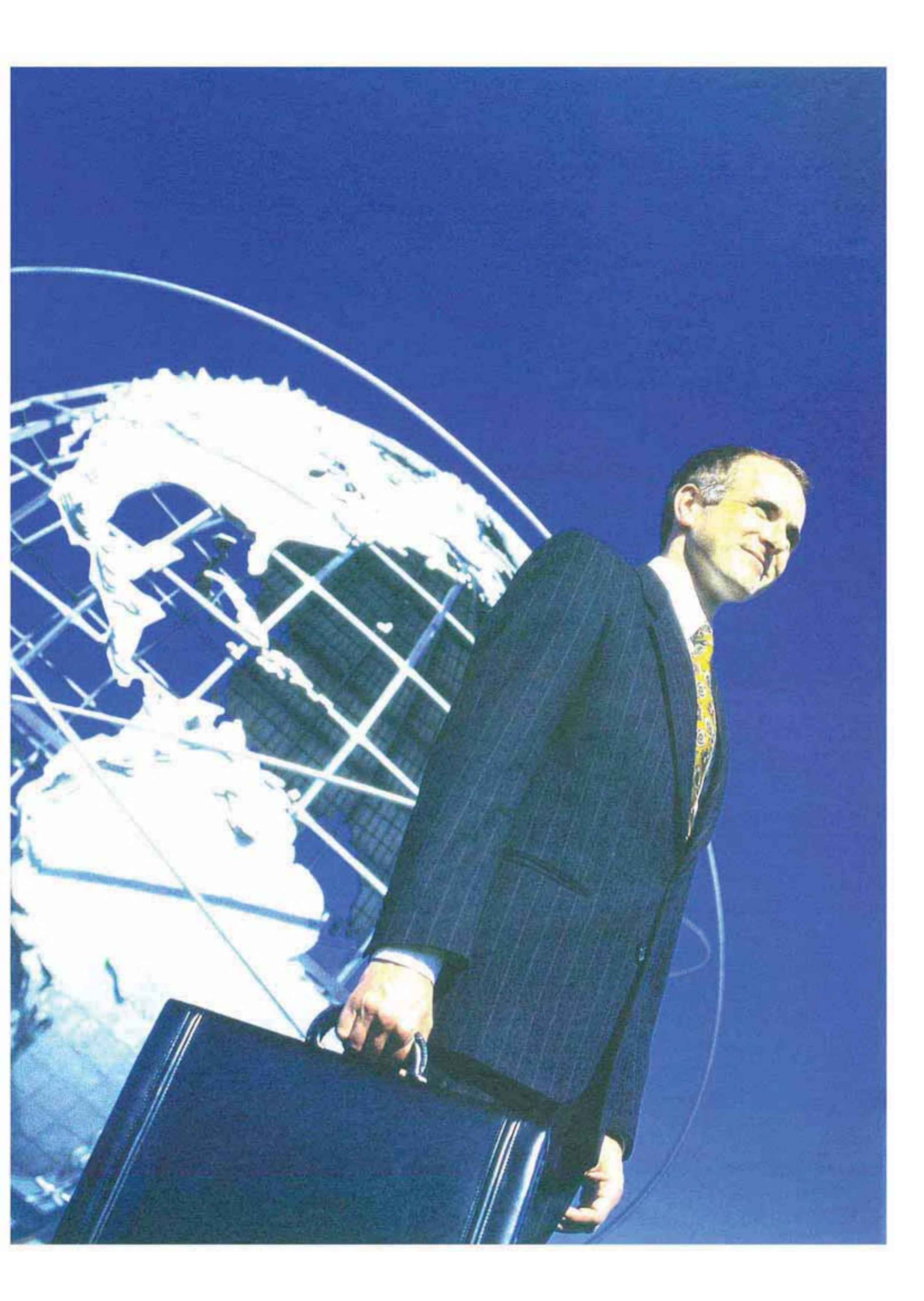
كان السبب الحقيقي وراء الاحتلال إلا أن استخدام الديمقراطية وتوظيفها من أجل إضفاء الشرعية على الطموحات غير الشرعية لا يدلان على شيء أكثر من دلالته على أن الديمقراطية أضحت جزءًا من أيديولوجية يمكن تفسيرها وتوظيفها لخداع كل من يعتقد أنها كفكرة هي الحل الأفضل للإشكاليات التي تطرحها التناقضات الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع. فأعتقد أننا نعيش في هذه الفترة في ظل أيديولوجية ثورة المعلومات والتقدم والسرعة والإنجاز والديمقراطية.

**إذن ما يسمى بالحضارة الغربية هو أحد عوامل بناء العولمة؟**

. لا شك أن الحضارات التي ادعت لنفسها رسالة حضارية عالمية، كلها كانت لها طموحات كونية، ومشروع للعولمة، حسب مفاهيمها وتصوراتها، غير أن الحضارة الغربية هي التي استطاعت من بين الحضارات الأخرى حتى الآن، أن تسير بمشروعها العولمي بخطا ثابتة، وان تتقدم به دومًا إلى الأمام محافظة بذلك على صيرورة قوامها التراكم المادي، وجدلية الفكر.

فمفهوما إرادة القوة، والبقاء للأصلح هما الدليلان اللذان قادا مسيرة الحضارة الغربية من خلال الحروب والاحتواء، والاستعمار والتهميش للأمم والحضارات الأخرى.

فقد كان التفوق في الجانب المادي بمنزلة العربة التي حملت إلى الآخرين الجوانب الأخرى لهذه الحضارة، من قيم ومبادئ ومفاهيم ورؤى للحياة.



والحداثة من كل هذا؟

- أعطى الجانب المادي للحداثة مصداقية لحضارة الغرب، وجعل دفاع الآخرين في مواجهتها عن أوطانهم وحضاراتهم وهوياتهم مهمة صعبة على الصعيد الفكري، وشبه مستحيلة على صعيد الصراع والصدام بوسائل العنف. فلا شك أن مرحلة الحداثة هي التي أسست لهذه المرحلة التي نسميها العولمة.

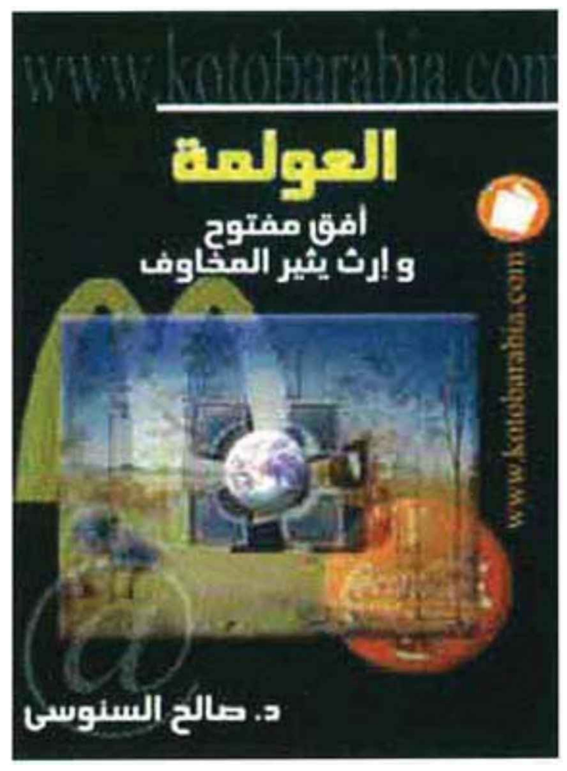
ما رأيك في مقولة الإسلام هو المقاوم الوحيد للعولمة؟

- هناك الجانب المادي للعولمة والمتمثل في التقدم العلمي وثورة المعلومات، وهو الجانب الذي ليست مقاومته مدعاة للفخر، ولا أرى من الحكمة تقديم الإسلام كمقاوم لهذا الجانب؛ لأن في ذلك إساءة إليه، أما الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي للعولمة الذي يجري توظيفه من أجل تسويد ثقافة وحيدة، وفرض نموذج سياسي واحد، ومسخ هويات الآخرين، فهذا الجانب هو الذي ينبغي مجادلته ومقاومته، ولعل الإسلام وثقافات شعوب أخرى ترفض هذا الجانب من العولمة، ويستطيعون أن يجادلوا هذا الجانب، ويقوموه إذا اقتضى الأمر.

أين العرب من كل هذه الصراعات، وهذه العولمة؟

- لقد قلت في كتابي السابق «العرب من الحداثة إلى العولمة»: إن العرب وجدوا أنفسهم في معمعة العولمة، وهم لا يزالون لم يعبروا جسر الحداثة بعد. فما أخشاه هو أن يواجه العرب العولمة بمثلما واجهوا الحداثة، فقد واجهوا الحداثة بخطاب انبعاثي يحاول أن يحل الإشكاليات التي طرحتها الحداثة الغربية على العرب، فقد تم تبني الديمقراطية الشعبية، أو الشورى في مواجهة الديمقراطية بالكيفية التي لا تجعل الحاكم يفقد شيئًا من سلطانه المطلق، وتبني مفهوم الدولة، ولكن الدولة القطرية العشائرية التي خلقت أزمة هوية بينها وبين الفرد.

لقد كان هذا الخطاب يقاوم أكثر منه خطابًا يؤسس. ولكن والحق يقال إن الغرب لم يعطهم الفرصة للحوار والتأسيس، بل كان يتعامل معهم بروح المسيطر والمهيمن والمتعالي، وهي - للأسف - الروح نفسها التي يجري التعامل بها معهم في عصر العولمة، فلا ترى في القرن الحادي والعشرين مستعمرات بالمعنى الحقيقي إلا في بلاد العرب من أمثال فلسطين والعراق.



غلاف الكتاب



الفيصل العلمية

مجلة فصلية تهتم بنشر الثقافة العلمية

- التكنولوجيا الحيوية: الواقع الراهن والمخاطر المحتملة
- الترقق العظمي: الوقاية والعلاج
- متلازمة التمثيل الغذائي




### أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٢) شوال ١٤٢٦هـ / نوفمبر ٢٠٠٥م.

الفائز الأول: إيمان حسني الرومي - أبو ظبي - الإمارات.
الفائز الثاني: هدى شكيب ذيب صالح - عمان - الأردن.
الفائز الثالث: لطيفة أحمد جمعان - صنعاء - اليمن.
الفائز الرابع: محمود محمد عبدالله - الزقازيق - مصر.
الفائز الخامس: أحمد محمد الإبراهيم - حلب - سورية.
الفائز السادس: محمد بلوله محمد مصطفى جدة - السعودية.
الفائز السابع: ساسي غريميل - مدنين - تونس.
الفائز الثامن: راضي مهدي علي - المنامة - البحرين.

### حل مسابقة العدد (٣٥٢)

١- تعني الفنون السبعة المنطق وقواعد اللغة اللاتينية والبلاغة والرياضة والهندسة والفلك والموسيقا.
٢- متحف اللوفر يضم النسخة الأصلية لقانون حمورابي.
٣- كيوعين.. أحد فنون اليابان يعني المسرحية الهزلية.

### أسئلة مسابقة العدد (٣٥٥)

### أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو مؤلف «طوق الحمامة»؟
(٢) ما هو كريشنة؟
(٣) ما هي موسيقا الحجرة؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

## مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

| | |
|---|---|
| الجائزة الأولى: | ١٠٠٠ ريال. |
| الجائزة الثانية: | ٧٠٠ ريال. |
| الجائزة الثالثة: | ٥٠٠ ريال. |
| الجائزة الرابعة: | ٤٠٠ ريال. |
| الجائزة الخامسة: | ٢٥٠ ريالاً. |
| الجائزة السادسة: | ١٥٠ ريالاً. |
| الجائزة السابعة: | (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل). |
| الجائزة الثامنة: | مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. |

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

**تنويه:**

تفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.




### شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

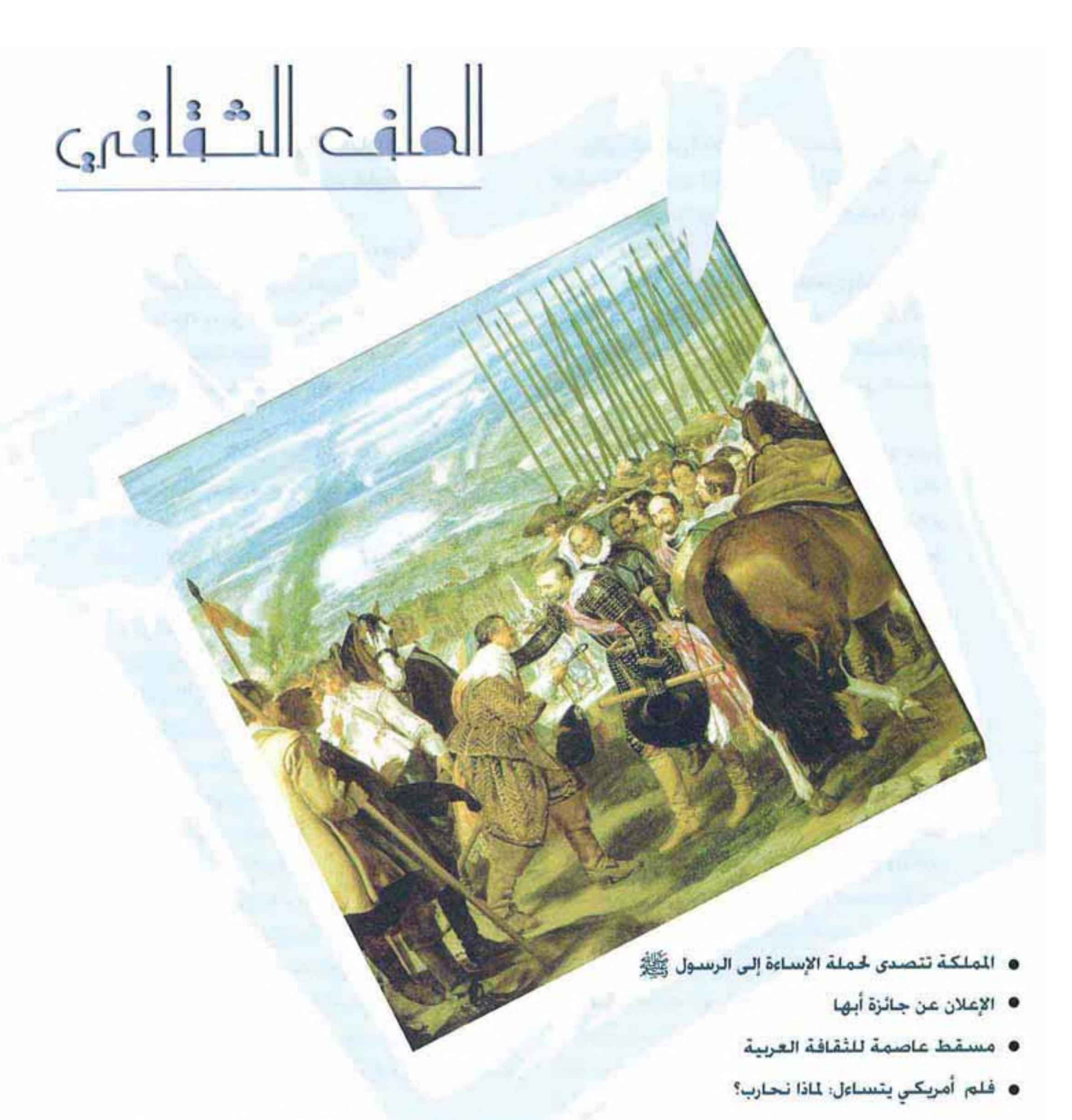
### طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث. وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب ( ٣ ). الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

# الملف الثقافي



- المملكة تتصدى لحملة الإساءة إلى الرسول ﷺ
- الإعلان عن جائزة أبها
- مسقط عاصمة للثقافة العربية
- فلم أمريكي يتساءل: لماذا نحارب؟

●● خاتمة المطاف: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي




## المملكة تتصدى لحملة الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

استدعت المملكة العربية السعودية سفيرها في الدانمارك محمد بن إبراهيم الحجيلان على خلفية ما نشرته بعض الصحف الدانماركية من إساءة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد أعرب مجلس الوزراء السعودي عن استنكار المملكة لما نشر من رسوم كاريكاتورية مست ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصدر المجلس بيانًا أعلن فيه استياءه من عدم ملاءمة ردود الفعل في الدانمارك مع الاحتجاجات الصادرة من العالم الإسلامي.

وأعلنت الخارجية النرويجية أنها طلبت من دبلوماسييها المعتمدين في الدول الإسلامية، الإعراب عن أسفهم لهذه الرسوم، وقالت المتحدثة باسم الوزارة: إن الوزيرة ليني دالي ساندستن طالبت الدبلوماسيين في الشرق الأوسط التحرك لمحاولة احتواء الأزمة.

وكانت الصحف الدانماركية، وعلى رأسها صحيفة «يولاند بوسطن»، قد نشرت رسماً لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، أثار حفيظة الهيئات الإسلامية في الدانمارك، وتصاعدت حدة الاستنكار والانتقاد من الهيئات الإسلامية في دول أوربا.

وحذر الشيخ رائد خليل، رئيس لجنة الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدانمارك، من انفلات الحوار الحضاري من أيدي الجاليات والمؤسسات الإسلامية العاملة في أوربا، بسبب التطاول والإهانة المستمرة للإسلام ونبيه الأكرم. وقال: إن من شأن ذلك «فتح طاقة من جهنم ضد المتطاولين لا يضمن عواقبها أحد».

ويأتي ذلك في أعقاب رفض محكمة دنماركية النظر في الدعوى التي أقامها المسلمون ضد الصحيفة التي نشرت الكاريكاتيرات بدعوى حرية الفكر والرأي.

وكانت المشكلة قد بدأت عقب اجتماع رئيس الوزراء الدانماركي آنس فوراسمسون بمجموعة من الأئمة وقيادات الجالية الإسلامية في ٢٠ سبتمبر/أيلول الماضي لبحث ما وصف بأسباب جنوح بعض الشباب المسلم إلى العنف، والخروج عن القانون.

وقدّم الأئمة بعض المقترحات التي من شأنها أن تساعد على الحد من تلك الظاهرة، وأهم تلك المقترحات: التدخل لدى وسائل الإعلام الدانماركية للتوقف عن الإساءة إلى الإسلام. كما طالبوا باتخاذ مواقف أكثر اتزانًا وعدلاً، وتليق بالمجتمع الدانماركي.

ودعت الرابطة الإسلامية في الدانمارك إلى تنظيم مظاهرة احتجاجية بالعاصمة كوبنهاجن.

وتسعى منظمات إسلامية في أوربا وبلدان أخرى من العالم إلى مناقشة الإجراءات القانونية المتاحة لمحاسبة الصحيفة، وإرغامها على الاعتذار، وتصحيح موقفها أمام قرائها غير المسلمين.

وقالت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو»: إن ما نشرته الصحيفة من رسم مزعوم لشخص النبي الكريم لا يعد تعبيراً عن حرية الرأي والمعتقد، كما أنه ليس من حقوق الإنسان، وطالبت «إيسيسكو» باعتذار الصحيفة للمسلمين في أنحاء العالم كافة، وأشارت إلى «أن ذلك يعد تجديفاً وبهتاناً على شخص الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم».

## الإعلان عن جائزة أبها


الأمير خالد الفيصل

تعلن الأمانة العامة لجائزة أبها عن قيام مسابقتها لهذا العام ١٤٢٧هـ في أربعة فروع هي: الخدمة الوطنية، والثقافة، والتعليم الجامعي، والتعليم العام، وتأتي مسابقة هذا العام تحت شعار «احترام النظام». ومجالات الجائزة ومقدارها:

أولاً: الشعر الفصيح:

ديوان شعري متميز «مخطوط» أو مطبوع في العام نفسه «٢٠.٠٠٠» ريال.

ثانيًا: القصة القصيرة:

مجموعة قصصية متميزة «مخطوطة» أو مطبوعة في العام نفسه «٢٠.٠٠٠» ريال.

ثالثًا: الرواية والمسرحية:

رواية أو نص مسرحي «مخطوط» أو مطبوع في العام نفسه «٢٠.٠٠٠» ريال.

رابعًا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

بحث علمي موثق عن «احترام النظام» وأثره في حياة المجتمع السعودي «٢٠.٠٠٠» ريال.

خامسًا: الفن التشكيلي:

ثلاث لوحات، على ألا يزيد مقاس اللوحة على ١٢٠سم كأطول ضلع لها، وتكون ذات إطار وإخراج جيد «١٨.٠٠٠» ريال.

سادسًا: الكاريكاتير:

أعمال لا تقل عن عشرة رسوم كاريكاتورية «١٨.٠٠٠» ريال.

و الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين، وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي، والعرب المقيمين بالمملكة.

شروط وإيضاحات عامة:

- تُقدم سيرة ذاتية مفصّلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.
- ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة، ما عدا الأعمال الكاريكاتورية.
- الترشيحات والأعمال المقدمة «البحوث - الشعر - الرواية - القصة القصيرة» مع عنوان المتسابق كاملاً، بما في ذلك الهاتف والناسوخ، ترسل أو تسلّم إلى (نادي أبها الأدبي، ص.ب ٤٧٨ - أبها) هاتف «٠٧٢٢٦٤٣٣٠» - ناسوخ «٠٧٢٢٦٢١٦٥». أما «الفن التشكيلي والكاريكاتور فتسلم إلى مركز الملك فهد الثقافي بأبها «قرية المفتاحة التشكيلية» هاتف: «٠٧٢٢٤٩٥٩٥» ص.ب ١٢٢٩ أبها - في موعد أقصاه نهاية شهر ربيع الأول سنة ١٤٢٧هـ.

ولا تعاد الأعمال المقدمة سواء فازت أم لم تفز.

وتبلغ قيمة الجائزة مليونين وخمسمئة الف ريال سنويًا: مليون وخمسمئة ألف ريال مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، ومليون مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز نائب امير منطقة عسير.

## العمارة التقليدية في الجزيرة العربية

نظمت مؤسسة التراث بالتعاون مع الجمعية السعودية لعلوم العمران، في الشهر الماضي، بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي، محاضرة عن البناء الإسلامي التقليدي في الجزيرة العربية.

قدم المحاضرة الدكتور جيفري كينغ الباحث المعروف في الآثار الإسلامية، بحضور صاحبة السمو الملكي الأميرة هيفاء بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، وصاحب السمو الأمير خالد بن عبدالله آل مقرن - رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية لعلوم العمران.

وتحدث جيفري عن العمارة في مختلف مناطق الجزيرة العربية، متناولاً نماذج كثيرة للعمارة التقليدية في مناطق المملكة العربية السعودية المختلفة خصوصاً في منطقة نجد، والحجاز، وعسير، والجوف، والمنطقة الشرقية، مبيناً أن أهم مميزات العمارة الإسلامية التقليدية تتمثل في القيمة الجمالية، والوظيفية.

وقدّم شرحاً وافياً من خلال استعراض صور لنماذج العمارة التقليدية، موضحاً مقومات هذه العمارة، وعناصر تميزها، ومدى تكيّفها مع عوامل البيئة.

ولفت جيفري في معرض رده على أسئلة الحضور أن هناك أوجه شبه كبيرة في العمارة الإسلامية التقليدية في كثير من البلدان الإسلامية.

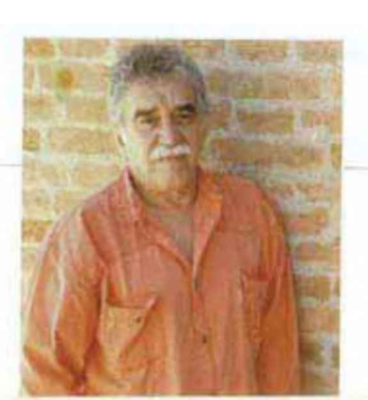
جيفري كينغ



## ماركيز يتوقف عن الكتابة

أعلن الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز - البالغ من العمر ٧٨ عامًا، والحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٢م- أنه قد توقف عن الكتابة على الأقل في الوقت الحالي.

وقال مؤلف رواية «مئة عام من العزلة» الذي يعدّ أكبر كاتب روائي في أمريكا الجنوبية، وأحد كبار الأدباء العالميين- في مقابلة تمت في المكسيك، ونشرت مقتطفات منها في صحيفة لا فانجوارديا اليومية التي تصدر في برشلونة: إن عام ٢٠٠٥م يعدّ أول عام في حياتي لا أكتب فيه، ولو سطرًا واحدًا، وأضاف: أن في الإمكان أن يعاوده الإلهام، ليعود مجددًا إلى الكتابة.



## بقايا سد تحت أنقاض سد مأرب

اكتشف فريق علماء آثار ألمان بقايا سد تحت أنقاض سد مأرب الشهير، الذي يعود تاريخه إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.

ويقع سد مأرب القديم على بعد نحو ثمانية كيلومترات إلى الغرب من مدينة مأرب القديمة، وشيد على وادي اذنة الكبير بين ما يسمى مازمي جبلي البلق الشمالي والبلق الأوسط. وتؤلف سلسلة جبال البلق الحاجز الأخير للمرتفعات الشرقية قبل أن تلتقي بالصحراء التي تعرف باسم جزر اليمن الشرقية، وتمتد بين محافظتي مأرب وشبوة، حيث تصب فيه معظم أودية الشرق.

ويقول الباحثون: إن وادي أذنة يضيق بين مازمي جبلي البلق الشمالي، والبلق الأوسط، إذ يكون موقعًا طبيعيًا يصلح لإقامة سد، كما تتسع منطقة التجمع في أعلى المضيق، بحيث تبدو كحوض مثالي لاحتواء المياه.

ولم يتبق من آثار سد مأرب القديم سوى بعض المعالم لجدار السد أو السد نفسه ومباني المصرفين الكبيرين اللذين كانت تخرج منهما المياه من جانبي السد الشمالي والجنوبي، إضافة إلى القناتين الرئيستين اللتين تربطان المصرفين بالجنتين، وهي أرض زراعية.

وتوضح الدراسات التاريخية أن السد تعرض للتدمير عدة مرات بسبب تراكم ترسبات الطمي في حوضه.

يشار إلى أن سد مأرب أعيد بناؤه، وأعلن رسميًا عن افتتاحه عام ١٩٨٦م، بتمويل من رئيس دولة الإمارات العربية الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وبتكلفة بلغت نحو ٨٠ مليون دولار.



## اكتشاف تمثال عمره نحو ٣٤٥٠ عامًا

أعلن صبري عبد العزيز رئيس قطاع الآثار المصرية بالمجلس الأعلى للآثار اكتشاف تمثال عمره نحو ٣٤٥٠ عامًا، ويرجح أنه لزوجة الملك أمنحتب الثالث. والد أخناتون. الشهير بدعوته إلى التوحيد في مصر الفرعونية.

وأوضح أن التمثال -وهو من الغرانيت الأسود- عثرت عليه بعثة الآثار الأمريكية التابعة لجامعة هوبكنز في أثناء قيامها بأعمال التنظيف بمعبد «موت» بمنطقة الكرنك، على بعد نحو ٦٥٠ كيلومترًا جنوب القاهرة. ويرجع التمثال إلى عصر الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة ويرجح أنه لزوجة أمنحتب الثالث نحو ١٤١٧-١٣٧٩ قبل الميلاد، وأضاف عبد العزيز: أن التمثال لايزال بحالة حفظ جيدة، ولكنه فاقد القدمين والذراع. ويبلغ طول التمثال ١٦٠ سنتيمترًا، وعرضه ٤٤ سنتيمترًا، ويعلوه تاج عليه كتابات باسم الملك أمنحتب الثالث، كما يوجد نسر صغير واثنتان من أفعى الكوبرا أعلى الوجه.

## مسقط عاصمة للثقافة العربية

بدأت في ٢٤ يناير/كانون الثاني فعاليات مسقط عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٦م بحضور نخبة من المسؤولين والمثقفين العمانيين والعرب.

وقال خالد بن سالم الغساني - مدير عام المنظمات والعلاقات الثقافية بوزارة التراث والثقافة، وعضو اللجنة التنفيذية المنظمة لفعاليات مسقط عاصمة ثقافية: إن أوبريت رواحل الذي كتب كلماته الشاعر العماني علي بن سالم الرواحي، والذي أقيم بهذه المناسبة تحت رعاية وزير التراث والثقافة هيثم ابن طارق آل سعيد، مكوّن من ١٥ لوحة، شارك في أدائها ٧٠ راقصًا استعراضيًا من الفرقة السلطانية الأولى، وفرقة أنانا السورية، بالإضافة إلى مشاركة فرق استعراضية من الدول العربية.

وأضاف: إن الأوبريت يدور حول مشهد رحال يطوف على الأمكنة، ويستنطق فنونها، وثقافتها، مشيرًا إلى أن الحفل ضم كثيرًا من اللوحات، التي تتحدث عن الثقافة العربية.

وتألف الأوبريت من ١١ لوحة فنية هي: اليمن السعيد، والجزيرة العربية، ولوحة الترحيب، والمغرب العربي، ومصر والسودان، بالإضافة إلى بلاد الشام، وبلاد الرافدين، والخليج العربي، والسلطنة، واللوحة الحادية عشرة وهي لوحة الختام.

وقام بالتأليف والتوزيع الموسيقي الموسيقار السوري طاهر ماملي، وبتلحين الجمل الخليجية للأوبريت الفنان العماني ماجد المرزوقي، ووزع الألحان أشرف خيري، والإشراف الموسيقي لزكريا



## فلم أمريكي يتساءل: لماذا نحارب؟

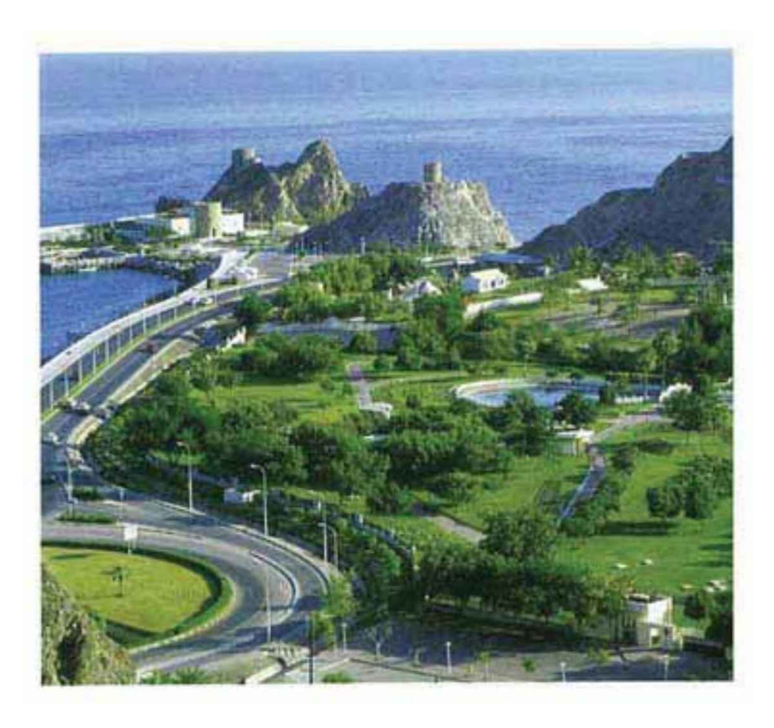
لماذا نحارب Why we fight فلم وثائقي يسأل عن سبب مواصلة الولايات المتحدة الأمريكية شن الحروب، ويتمنى مخرجه يوجين جاريكي أن يحقق النجاح الذي حققه فلم مايكل مور «فهرنهايت»، واستدرك أن هذا فقط هو كل ما يريد أن يتشابه فيه مع مور.

ويحمل فلم المخرج يوجين جاريكي اسم سلسلة أفلام الدعاية التسجيلية الأمريكية نفسها، التي أخرجها فرانك كابرا في أثناء الحرب العالمية الثانية، ويبحث دور المجمع الصناعي العسكري في السياسة الخارجية الأمريكية.

وربما يوفر الفلم الذي عرض على نطاق محدود ذخيرة لمعارضي حرب الرئيس جورج بوش في العراق، لكن جاريكي يقول: إن هدفه هو ألا يكون منحازًا، وإنه مهتم أكثر بالاتجاه الذي استمر على مدى نصف قرن من كوريا إلى فيتنام، ثم البوسنة فالعراق، والقوات التي يتناولها فلمه لا تهتم بمن هو الرئيس.

ويجري جاريكي مقابلات مع سياسيين ومؤرخين وعميل سري سابق لإدارة المخابرات المركزية الأمريكية «سي.آي.إيه»، وأعضاء في الجيش الأمريكي وعراقيين عارضًا تصنيفًا لوجهات النظر من دون وسائل التحايل والدعاية التي استخدمها فلم مور.

ويبدأ فلم «لماذا نحارب» بخطاب الوداع للرئيس دوايت أيزنهاور عام ١٩٦١م حين ابتدع الجنرال السابق في



الغساني، وأشرف على الأوبريت نخبة من الفنانين العمانيين.

يذكر أن مسقط تسلمت راية الثقافة العربية من الخرطوم التي احتفلت بهذه المناسبة طوال العام الماضي بفعاليات متنوعة امتدت حتى خارج السودان، وكان الملتقى السوداني الثقافي الاجتماعي الرياضي بالرياض احتفل في أواخر شهر ديسمبر الماضي بفعاليات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية على مدى ثمانية أيام، تم خلالها تقديم محاضرات وندوات وعروض شعبية، ومعارض للتراث، والتشكيل، والكتاب، وحضره عدد كبير من المفكرين والمثقفين وأعضاء السلك الدبلوماسي يتقدمهم سفير السودان بالمملكة العربية السعودية الأستاذ محمد أمين الكارب.



أيزنهاور

الحرب العالمية الثانية مصطلح المجمع الصناعي العسكري، وطالب الأمريكيين بأن يحذروا تأثيره.

ويبحث الفلم الروابط بين السياسيين والمستشارين ومصنعي الأسلحة ومقاولي الدفاع، ويشير إلى أن أعضاء الكونغرس يميلون إلى إقرار نفقات دفاع أضخم وأضخم، والحكومة لديها دافع اقتصادي لشن الحروب. ويبحث الفلم أيضًا الذريعة الخاصة بسياسة نشر الديمقراطية في ربوع العالم، متسائلاً عما إذا كان الدافع هو فتح أسواق للشركات الأمريكية، وتأمين إمدادات النفط. وبين من ظهروا في الفلم السناتور الجمهوري جون ماكين، ونجل جون أيزنهاور واللفتنانت كولونيل السابق بسلاح الجو كارين كوياتكوفسكي، التي عملت في قسم العراق بالبنتاغون .





## التراث يواجه العولمة في الإسكندرية

أقيم بمدينة الإسكندرية في الشهر الماضي مؤتمر دولي للتراث الثقافي والحضاري والتنمية، بمشاركة أكثر من ٢٠٠ من الخبراء في هذا المجال، من ثماني دول عربية وغربية ومنظمات دولية.

وقال الدكتور محسن يوسف ـ مدير البرامج الخاصة بمكتبة الإسكندرية: إن المؤتمر شارك فيه خبراء من مصر ولبنان وسورية واليمن والكويت وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة، وخبراء من البنك الدولي واليونيسكو. وناقش عدة قضايا، منها تأثير السياحة في التراث الثقافي، وأثر التراث في مواجهة العولمة كما ركز المؤتمر في اللغة والأنشطة والشعائر الاجتماعية والدينية، بالإضافة إلى محاور، مثل التنمية الحضارية، والحفاظ على التراث من خلال المحافظة على المناطق الأثرية، أو المناطق المهمشة والمنسية.

## افتتاح منزل موتسارت في فيينا

افتتح في العاصمة النمساوية في يوم ٢٨ ديسمبر/ كانون الأول الماضي منزل الموسيقي الشهير فولفغانغ أماديوس موتسارت، الذي يتيح لزواره فرصة الغوص في عالم هذا الفنان الكبير الذي عاش في القرن الثامن عشر.

وبلغت تكلفة تجديد هذا المنزل ثمانية ملايين يورو، وهو المنزل الوحيد من بين منازل موتسارت الذي مازال قائمًا حتى اليوم، ويقع في شارع دومغاس رقم ٥ في وسط العاصمة النمساوية الراقي، وافتتح المنزل بمناسبة الاحتفال بمرور الذكرى ٢٥٠ لولادة المؤلف الموسيقي. ويحتفل العالم بأسره بهذه الذكرى من خلال حفلات تعزف فيها أعمال موتسارت.

ويتألف الطابق الأول من المنزل من شقة كبيرة مؤلفة من أربع غرف كبيرة وصالونين ومطبخ، ويضم الطابقان الثاني والثالث معرضين دائمين بعنوان موتسارت النابغة الموسيقي، وموتسارت وفيينا، إضافة إلى قاعة اجتماعات كبيرة، ومقهى، ومتجر.



## معرض عن صلاح الدين والصليبيين

تستضيف مدينة هالي الألمانية معرض «رحلة إلى الشرق: صلاح الدين والصليبيون» يسرد وقائع تاريخية حول الشرق والغرب حدثت بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وقال مدير المتحف ميشائيل شيفسيك: إن هذا المعرض يضم عددًا كبيرًا من اللوحات والرسومات والسلع الفنية والمخطوطات التاريخية، موزعة على صالات تبلغ مساحتها الف متر مربع، ويقدر عددها بأكثر من ١٣٠ قطعة فنية شرقية ترجع إلى ثمانية قرون غابرة.

وتحمل القطع الفنية الفريدة قصصًا وروايات وأحداثًا تدور أغلبيتها حول شخصية صلاح الدين، الذي عاش من عام ١١٣٨م إلى عام ١١٩٣م، وحول اللقاءات بين أوروبا والشرق الأوسط، وهي من تجميع خبراء ومتاحف وهواة أوربيين.

وذكر شيفسيك: أن المعرض الذي انطلق اليوم يقام في الفترة من ٦ يناير/ كانون الثاني إلى ١٢ من شهر فبراير/شباط المقبل يحتضن إلى جانب القطع واللوحات الفنية أشكالاً منحوتة ومزينة ومرصعة بالأحجار الكريمة، وغيرها من مواد الزينة، وأسلحة وكنوزًا وعملات وأجهزة فلكية أيضًا، إضافة إلى شهادات ثقافية تمت صياغتها خلال القرون الماضية من الجانبين الشرقي والغربي حول الصليبيين والشرقيين.

وأشار شيفسيك إلى أن من بين القطع ذات الطابع الخاص هي مقابلة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد «١١٥٧ - ١١٩٩م»، واصفًا إياهما بـ قدوتين يحتذى بهما إبان عصر الفرسان.

وبيّن ان المعرض يضم أيضا إنجازات فنية حول الكاتدرائيات المنتشرة في أوربا، مثل: كاتدرائية مدينة كولون الألمانية الغربية، وكاتدرائية مونستر الكائنة في مدينة فرايبورغ الألمانية الجنوبية.

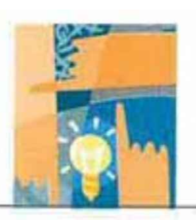
وقال: إن الجانب الذي يسعى الى إظهاره المعرض لا يتمثل في استعراض اللقاءات في الشرق بين التجار والحجاج والصليبيين ومواطني المنطقة بدافع الحروب والمواجهات فحسب، بل أيضًا استعراض إمارات الفرنجة ومملكاتهم، التي وجدت في الشرق مدة ٢٠٠ عام.

واضاف: أن الصليبيين حكموا في بعض الأحيان مناطق تمتد من عسقلان إلى انطاكيا ومن البحر المتوسط إلى الفرات.



رسم متخيل للقائد صلاح الدين













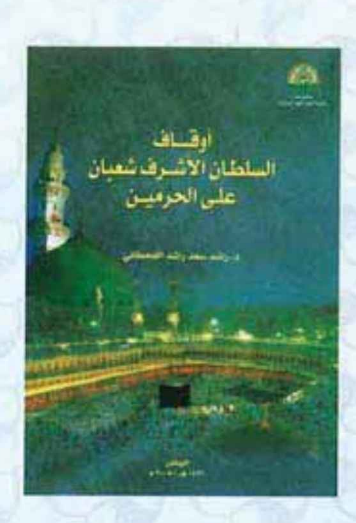
الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله/ وسم على أديم الزمن «لمحات من الذكريات».- الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٢٠ص.

يرسم هذا الكتاب صورة لطفل يدب نحو الثالثة عشرة من عمره، في مدينة عنيزة، حياته مثل آلاف من الصبيان غيره، وهذا الجزء هو واحد من ثلاثة أجزاء يؤمل أن تعطي صورة صادقة لحياة الصبيان في ذلك الزمن.

يقول الخويطر: «سوف أحاول في هذه المذكرات، ما أسعفتني أوراقي ودفاتري، وما لدي من وثائق، وما أسعفتني به الذاكرة، أن أكون أمينًا فيما أكتب، صادقًا فيما أنقل، واضحًا فيما أصور؛ لأن الحقيقة جميلة، ومن يخالفها فقد ترك الجميل إلى القبيح، ولي عنصر أثرة في هذا، لا أخفيه، وهو أني سوف أتمتع، قبل القارئ بذكرياتي كما كانت».

واتخذ المؤلف نهجًا في كتابة هذه المذكرات حسب التسلسل الزمني، بدءًا من مرحلة الصغر، والتطرق إلى الأمور الشخصية، ثم مرحلة الدراسة الجامعية في مصر، ثم إقامته في إنجلترا.

وتتضمن هذه المذكرات معلومات عامة مهمة، وبعض هذه المعلومات عن المناسبات الثابتة في السنة، وبعضها مما هو ثابت للحقبة كلها، وتحتوي أرقامًا وإحصائيات يستفيد القارئ من وجودها منظمة قريبة منه.





القحطاني، راشد بن سعد بن راشد/ أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٥٩ص.

يتناول هذا الكتاب أوقاف السلطان الأشرف على الحرمين، وهو مثال لغيره من سلاطين المماليك البحرية، ويحاول المؤلف أن يثبت من خلال هذه الدراسة أنه مع أن هؤلاء المماليك كانوا حديثي الإسلام نسبيًا إلا أنهم خدموا الإسلام والمسلمين أكثر مما كان يتوقع أو ينتظر منهم؛ فقد دخل الإسلام قلوبهم، وبذلوا في سبيل الدفاع عنه الغالي والرخيص، وتصدوا لحملات الصليبيين في الذود عن الإسلام.

يستعرض هذا الكتاب أوقاف السلطان الأشرف على الحرمين، ويكشف عن وجود عدة أوقاف متفرقة في العالم الإسلامي لخدمة الحرمين والإنفاق عليهما، دون تقتير أو شح، حتى يؤدي المسلمون شعائرهم فيهما على أكمل وجه.

ويؤكد البحث أن ظاهرة أوقاف هذا السلطان ليست فريدة من حيث الاتساع والحجم ونبل الهدف، فهناك نظائر سابقة ولاحقة لها، سواء على

الحرمين، أو المسجد الأقصى، أو على الجوامع الإسلامية المشهورة.

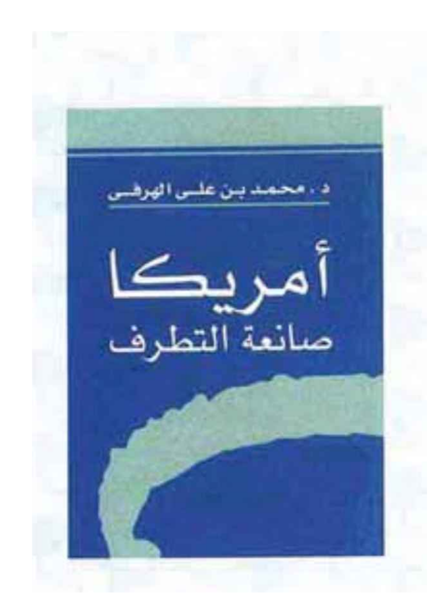



يوسف، محمد خير رمضان / آخر لقاء مع (٢٠) عالمًا ومفكرًا إسلاميًا - بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٦٦ص.

يضم هذا الكتاب آخر اللقاءات الصحفية مع أعلام الفكر والدعوة والعلم من أهل الإسلام، فمنهم عالم مملوء فقهًا وأصولاً، ومحدث جله حديث رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، ورباني لا يعرف إلا الدين، ولا يرى سوى الله، وداعية نسي نفسه، وامتطى صهوة الإعلام ينادي ولا يسكت حتى يفاجئه الموت، ومفكر إسلامي يعيش مبدأ، ويقدم حياة، هو الذي أسره، فعاش له ومات عليه، واقتصادي إسلامي لا تستعصي عليه كبرى مشكلات الاقتصاد ومعضلاتها، فيجد لها الحل مستساغًا في نظام الإسلام ونصوصه، وعالم مجدد وفقيه متعبد يعلنها على رؤوس الخلق أن لا عز لنا إلا بالإسلام، ولا نصر لنا إلا بالحق، ولا قيمة لنا إلا بالدعوة والجهاد، ولا خلاص من مشكلاتنا إلا بالعودة إلى مصدر عزنا وقوتنا، يدعو بهذا ويحاضر، ويكتب ويناصح، حتى يلقى الله.

وآخرون رأوا نور العلم فأدهشت بصائرهم، وظلوا ينظرون إليه، ويتعلقون به حتى طغت لذته على سائر لذات الدنيا عندهم، فأصبحوا أسير الكتب، وحلقات العلم، وتدريس الطلبة، ومن هؤلاء أدباء جندوا فنهم وأدبهم وعاطفتهم لخدمة دينهم، فكانوا أعلامًا بحق، يعرفهم أهل الذوق والأدب.

ومنهم أعلام للجهاد لم تلن لهم قناة أمام جنود مدججين بالسلاح والعتاد، ولا يناصرهم سوى أفراد، لكنهم أرهبوا دولاً وأقوامًا.




الهرفي، محمد بن علي/ أمريكا صانعة التطرف-الأحساء: مكتبة دار المعالم الثقافية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٠٠ص.

يضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات، نشرها الكاتب في صحيفة «الوطن» السعودية، وتتناول تلك المقالات تاريخ العلاقات بين أمريكا والمسلمين عامة، وبينها والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة.

وقد كتب هذه المقالات في فترة حدوث هجوم «القاعدة» على أمريكا، واحتلال أفغانستان والعراق، وتم فيه تداول الحديث في الأوساط الأمريكية شبه الرسمية عن اتهام السعودية ومصر وسورية بأنها دول داعمة للإرهاب، وتم فيه كذلك اتهام المناهج التعليمية في بلادنا بأنها توصل لمفاهيم الإرهاب.

وكراهية الآخرين، ومن أجل ذلك يجب تغييرها لتتلاءم مع المقاييس الأمريكية.

ويؤكد المؤلف أن أفعال الولايات المتحدة تجاه المسلمين هي التي جعلتهم يكرهونها، ويكرهون سياساتها السيئة في البلاد العربية والإسلامية، وهذه الكراهية ردة فعل طبيعية لما قامت به أمريكا تجاه المسلمين.

الحمش، منير/ تصحيح مسار التنمية في عالم متغير: أبعد من الطريق الثالث ـ دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ٢٣١ص.

تشكل المسألة الاقتصادية جانبًا أساسيًا في أي برنامج نهضوي، أو سياسي، فضلاً عن كونها أصبحت من القضايا التي تحتاج إلى معالجة جدية وملحة لارتباطها بحياة الناس اليومية، وبمستقبل الأجيال القادمة، بعد أن بدأت تظهر ملامح أزمة اقتصادية تتفاوت حدتها من بلد إلى آخر.

وإذا كان النظام الرأسمالي وجد له حلاً لأزمته في ما دعي «الطريق الثالث» فإن المهمات التنموية في بلد نام كسورية، تحتاج إلى أبعد من الطريق الثالث، إنها تحتاج إلى جانب المعالجات الاقتصادية الكلية، إلى برامج تنهض باقتصاد البلد وتعالج التدهور الحاصل في العلاقات الاجتماعية، وتدهور مؤشرات التنمية الإنسانية، إلى جانب إعداد البنية التحتية، وتقلص الفجوة التكنولوجية والمعلوماتية، وهذا ما يحتاج إلى عملية إصلاح شامل يتناول جميع المجالات.

ومع عدد من المتغيرات العالمية والإقليمية، أصبح من المهم أن يكتسب الإصلاح الاقتصادي المنشود ملامح رئيسة تتعلق بالتطوير والتحديث، والاستفادة من التقدم التكنولوجي والمعلوماتي، من خلال نظرة تنموية شمولية تتوجه نحو معالجة الاختلالات الحاصلة في الاقتصاد والمجتمع من منظور المشاركة الشعبية الأوسع، وحشد جميع الموارد المتاحة، وتربط في ما بين التنمية والعدالة الاجتماعية، في إطار الانفتاح الاقتصادي المحكوم بشروط التخطيط التوجيهي، وحاجات الاقتصاد الوطني.




مجموعة باحثين/ المعلوماتية والتعليم: القواعد والأسس النظرية، تحرير: إبراهيم بن عبدالله المحيسن، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ، ٥٩٢ص.

لقد أصبح التعليم مع المعلوماتية تعليمًا مختلفًا، يركز في المتعلم، ويتمحور

حوله، ويقدم له المعلومة والمفهوم بصورة أخرى أكثر تشويقًا، وابقى وقعًا.

إن دمج تقنية المعلوماتية في المدارس ضرورة ملحة فرضتها طبيعة هذا العصر، وفرضتها طبيعة ما قدمته للإنسانية من خدمات مبهرة جبارة قرّبت البعيد، وسهلت العسير، وأدهشت العالم بتسارعها العجيب.

إن الدخول للعصر المعلوماتي يستلزم تغييرًا جذريًا، ليس في المناهج ووسائل التعليم فحسب، ولكن في النظرة إلى التعليم برمته، فهو هنا وسيلة لتمكين المتعلم وإعداده للحياة، التي أضحت تقوم على المعلومة، وتركز عليها في العمل، وفي التعليم، وفي جزئيات الحياة المعاصرة صغيرها وكبيرها.

جاء هذا الكتاب شاملاً لجميع جوانب المعلوماتية بمنظورها المعاصر ابتداءً من الرؤية والتخطيط، ومرورًا بالعتاد والبرمجيات، وانتهاءً بالمعلم والمتعلم.

يحتوي الكتاب على اثني عشر فصلاً، جاء الفصلان الأولان عن التخطيط للتعليم المعلوماتي، والرؤية الخاصة بالتعليم المعلوماتي، وخصص الفصل الثالث عن نماذج من الخطط الدولية، وتناول الفصل الرابع دراسة الواقع وأهميته لأي برنامج أو خطة للتعليم المعتمد على المعلوماتية، وطرح الفصل الخامس موضوعًا رئيسًا، هو العتاد والبرمجيات، وهو حجر الأساس للمعلوماتية في التعليم، وناقش الفصل السادس موضوع المناهج وتطويرها، أما التدريس وارتباطه بالمعلوماتية فقد طرح في الفصل السابع مشتملاً على قضايا التدريس وما طرأ عليها من تغير في ظل المعلوماتية.

وجاء الفصل الثامن عن موضوع التعليم الإلكتروني والإنترنت، وخصص الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر لموضوع المعلم والتعليم، وختم الكتاب بفصل عن الضوابط الشرعية للمعلوماتية في التعليم.



المعشني، محمد بن سالم/ لسان ظفار الحميري المعاصر: دراسة معجمية مقارنة.- مسقط: جامعة السلطان قابوس، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٨٧٥ص.

يعنى هذا الكتاب بحصر ودراسة المفردات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر وكل من العربية الفصحى، واللغة السبئية، واللهجات العامية في اليمن، وفي سلطنة عمان.

والهدف من تأليفه هو إبراز أوجه الاتفاق، والتطابق بين ألسن العرب المختلفة، خاصة بين العربية الفصحى والعربية الجنوبية، كما يمثلها اليوم

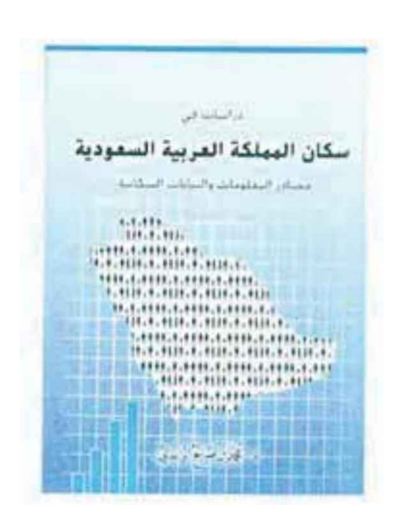
لسان ظفار الحميري المعاصر.

استغرق تأليف الكتاب نحو ست سنوات من البحث والدراسة في معاجم العربية القديمة والحديثة مثل: لسان العرب، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط، والمنجد، كما جمع المؤلف المفردات المشتركة بين لسان ظفار واللهجات بشكل مباشر عن طريق السماع من خلال ما يجده على أفواه الطلاب، وفي التقريرات التي يقدمونها في مادة الأصوات التي يقوم المؤلف بتدريسها في الجامعة، بالإضافة إلى بعض الكتب التي درست اللهجات، مثل: كتاب مفردات خاصة من اللهجات اليمانية لمطهر الأرياني، وكتاب سعيد بن حمد الحارثي عن لهجات عمان.

بدأ المؤلف في القسم الأول بالإطار النظري عن أصل العربية الفصحى وظروف نشأتها، وعن ألسن العرب، ولسان ظفار الحميري المعاصر.

وتناول في القسم الثاني من الدراسة الكلمات المشتركة بين الفصحى ولسان ظفار الحميري المعاصر، وجاء القسم الثالث عن الكلمات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر واللغة السبئية، وتناول القسم الرابع الكلمات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر وبعض لهجات اليمن المعاصرة، وخصص القسم الخامس للكلمات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر وبعض اللهجات العمانية.

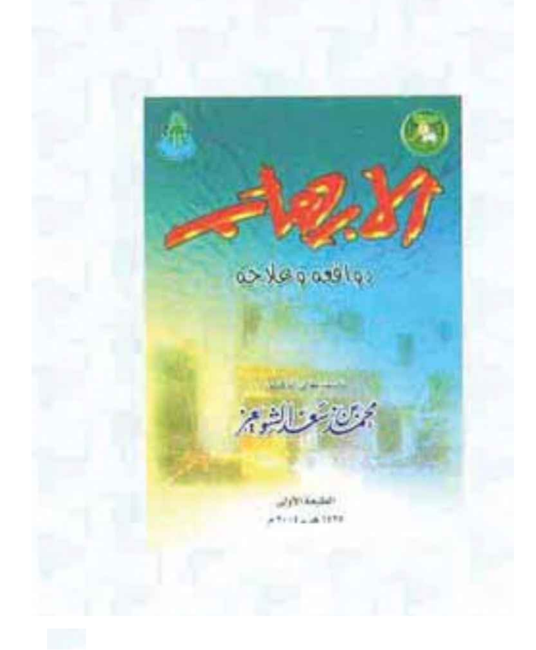
وأورد المؤلف في آخر الدراسة عددًا من الأسباب التي تؤكد أن معظم الكلمات المشتركة بين لسان ظفار الحميري المعاصر والفصحى وبعض اللهجات العامية اليمنية والعمانية، ولغة النقوش السبئية، هي كلمات أصيلة في لسان ظفار الحميري المعاصر، لم يقترضها من أي لغة أو لهجة، وهي كذلك أصيلة في الفصحى لم تقترضها من أي لغة أيضًا.




الربدي، محمد بن صالح/ دراسات في سكان المملكة العربية السعودية: مصادر المعلومات والبيانات السكانية - الرياض: المؤلف،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٥٢٨ص.

تمثل المعلومات والإحصائيات والدراسات السكانية ركيزة أساسية في عمليات التخطيط والتنمية، وهي من المعلومات الأساسية التي تتطلبها وتهتم بها تخصصات علمية مختلفة، ويحتاج إليها كثير من المختصين والباحثين في علوم مختلفة كالجغرافيا، والاجتماع، والاقتصاد، والإحصاء، والعلوم السياسية، والعلوم الصحية، والتخطيط العمراني





والحضري، والتخطيط الإقليمي، والتنمية، والعمارة، والهندسة، والتربية والتعليم، وغيرهم.

وتركز هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية؛ لأنها مرت وتمر بمتغيرات سكانية وديموغرافية سريعة، تتمثل في النمو السكاني الكبير، والتركيبة السكانية الشابة، وتزايد معدلات الهجرة الخارجية من مختلف دول العالم، وتزايد معدلات التحضر، وتركز السكان في المدن الرئيسة. كل هذه وغيرها تتطلب مزيدًا من الدراسات والبحوث السكانية، لوضع الخطط والبرامج بصورة علمية سليمة، وللمحافظة على مكتسبات التنمية.

قسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام رئيسة: يتناول الأول أهم مصادر المعلومات والدراسات السكانية في المملكة، ويتطرق القسم الثاني إلى التعددات السكانية والبحوث الديموغرافية التي نفذت في المملكة، ويتضمن القسم الثالث قاعدة بيانات سكانية عن المملكة، تتضمن شرحًا وتحليلاً موجزًا لمجموعة من الجداول والخرائط والأشكال البيانية، تحوي بيانات عن تاريخ السكان ونموهم وتوزيعهم، وتركيبهم العمري والنوعي، والحالة الزواجية، والتحضر، ونمو سكان المدن، وعدد من المتغيرات الديموغرافية الأساسية.

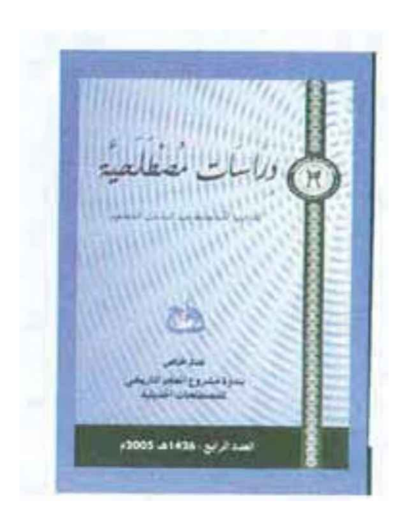
الشويعر، محمد بن سعد/ الإرهاب: دوافعه وعلاجه-الرياض: النادي الأدبي بالرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٣٤٨ص.

يستعرض هذا الكتاب مفهوم الإرهاب من حيث الدلالة، والمبدأ، مع شيء من المسببات والتعريف، وغموض الهدف، وعلاقته بما حصل في المجتمع الإسلامي: من فتن وحركات، ومبادئ وتحزّبات، وما بذله كل طرف في تحقيق هدفه، بصرف النظر عن: النظرة الدينية الصحيحة، ومشروعية الهدف الذي لم يكن في حسبان هؤلاء وإن ادعوه.

ويتناول المؤلف نشأة الإرهاب من اليهود، ونوايا اليهود في البروتوكول، وما عرف عن الإرهاب قبل الإسلام وبعده، ثم ناقش المؤلف غموض مفهوم الإرهاب وتعريفاته المختلفة، وتطرق إلى إرهاب اليهود للنصارى، وإلى الفكر التدبيري اليهودي.

وتناول مسألة الفتن ومن يحركها؟ وكيفية المخرج منها، وبماذا نعالج الإرهاب؟، وتساؤلات مع الإرهابيين.




دراسات مصطلحية (ع٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

**مجلة حولية محكّمة يصدرها معهد الدراسات المصطلحية بالمغرب.**

احتوى هذا العدد من المجلة على مداولات ندوة «مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية»، التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، بتعاون مع معهد الدراسات المصطلحية بفاس، التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمدينة نفسها.

وقد شارك في هذه الندوة، التي عقدت في رجب سنة ١٤١٧هـ/ ديسمبر عام ١٩٩٦م، ثلة من العلماء من عدد من البلاد العربية؛ بهدف تكوين مجموعة بحث غايتها إنجاز معجم تاريخي للمصطلحات الحديثية، يعمل على وضع حد لاضطراب المفاهيم، والتباس المصطلحات. وقد جاءت الندوة تحت أربعة محاور:

المحور الأول بعنوان: علم الحديث ومصطلحاته: «دراسة مفهومية»، ومن البحوث التي قدمت فيه: «ألقاب الحديث» للدكتور محمود أحمد طحان، و«المصطلح الحديثي» للدكتور إبراهيم بن الصديق، و«خصائص المصطلح الحديثي» للأستاذ محمد مشان، وغير ذلك من البحوث.

وكان المحور الثاني بعنوان: معاجم مصطلحات الحديث: «دراسة تقويمية»، ومن البحوث التي قدمت فيه: «بواكير التأليف في علم مصطلح الحديث» للدكتور أبولبابة الطاهر صالح حسين، و«المصطلح الحديثي في المعاجم الاصطلاحية العامة» للدكتور محمد جميل مبارك، و«دراسة تقويمية ومقارنة بين معجمين في توثيق الحديث» للأستاذ عبدالعزيز فارح، وغير ذلك من البحوث.

وجاء المحور الثالث تحت عنوان: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية: «دراسة نظرية»، ومن بحوثه: «الوسائل والغايات من وضع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية» للدكتور وهبة الزحيلي، و«مصادر مادة المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية» للأستاذ سعيد المغناوي، و«ملاحظات حول إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية» للأستاذ عبدالرزاق جمنيد، وغيرهما.

وجاء آخر محاور الندوة بعنوان: مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية: «دراسة تطبيقية»، وجاء فيه: «مصطلحات الجرح والتعديل: نشأتها وتطورها» للدكتور الحسن العلمي، و«ضوابط معرفة الصحبة ومصطلحاتها»

للأستاذ عبدالحق بدير، وغيرهما.

وجاء في بداية جلسات الندوة كلمات: الدكتور عبدالحق ركام، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني هلال، والدكتور الشاهد البوشيخي، مدير معهد الدراسات المصطلحية، والأستاذ عبدالحق بديررئيس شعبة الدراسات.

العنوان:

معهد الدراسات المصطلحية ص.ب ٦٠١٢ فاس ٣٠٠٢٤ المغرب.

هاتف ٥٥٧٣٢٢٧٥ (٢١٢)

ناسوخ: ٥٥٦٥٩٣٤٥ (٢١٢)

العنوان الإلكتروني: almustalahey.a@maktoob.com

عالم الفكر (مج ٣٤، ع٢، أكتوبر/ديسمبر ٢٠٠٥م)

مجلة دورية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.



ناقشت موضوعات هذا العدد من الدورية قضية المرأة وحقوقها في المجتمعات العربية، وبدأت بموضوع الدكتورة يمنى طريف الخولي بعنوان «النسوية وفلسفة العلم»، وقدمت الدكتورة وسمية عبدالمحسن المنصور قراءة في التراث عن «المرأة المحاورة»، وتحدثت الدكتورة مسلك ميمون عن دور «المرأة في تاريخ المغرب الأقصى»، وتتبعت الدكتور وطفاء حمادي هاشم «خطاب المرأة في النص الدرامي»، وقدّمت الدكتورة نجمة عبدالله إدريس قراءة في الواقع الثقافي لـ «مأزق المرأة الشاعرة». كما قدّم الدكتور محمد حسين اليوسفي مراجعة لكتاب «المرأة في الخليج العربي وتحولات الحداثة العسيرة».

وجاء في آفاق نقدية: «الوحدة النفسية في القصيدة العربية القديمة: دراسة تطبيقية تقوم على عرض عينيّتي متمم والحادرة وتحليليهما» للدكتور علي عبدالله إبراهيم، و«النحاة الجدد وميلاد اللسانيات التاريخية» للدكتور أحمد يوسف.

العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي ١٣١٠٠ دولة الكويت.

البريد الإلكتروني: Elfikr@nccal.org.kw







# التيارات الفكرية واشكالية المصطلح النقدي

يوسف حسن نوفل
القاهرة - مصر

هذا كتاب جديد للباحث الجاد الدؤوب الدكتور سلطان بن سعد القحطاني، والجدّة ليست في الموضوعات المطروحة في هذا الكتاب الصادر عام ٢٠٠٥م في ٢٣٦ صفحة فحسب، ولكنها في تلك النظرة البانورامية المتسعة الحدقات في إطار الإجابة عن تساؤلات علمية حرص الباحث على أن يتخذ طريقه الواضح للإجابة عنها حول المصطلح النقدي في مسيرة طويلة عريقة تبدأ منذ ظهور الإسلام حتى اليوم.

وللباحث الحق في تساؤله حول إشكالية المصطلح: أهي إشكالية معرفية أم إشكالية تراثية؟، وهل ظهرت شخصية علمية للمصطلح مع قيام الدولة العربية آنذاك، شخصية تحدد الملامح الخاصة لمصطلح عربي إسلامي يقوم - حضاريًا - في حقبة معرفية أعقبت حقبة سابقة كانت متمثلة في حضارتين قديمتين عريقتين هما: حضارة الروم، وحضارة الفرس؟ يتبع ذلك أهمية تأمل موقف أبناء هذا التراث المنسوب إلى تلك الحضارتين القديمتين، موقفهم من الدين والمعتقد الجديد، وموقفهم من اللغة وما جدّ فيها من سمات، وذلك كله - بطبيعة الحال - لا ينفصل عن موقف الخطاب الديني الدائر والمحتدم والموّار في ذلك المجتمع، والمتمثل في تعدد الفرق الإسلامية من معتزلة وخوارج وشيعة باطنية. بل ما دار حول ذلك كله من أصوات: الزنادقة، والحشاشين، والمارقين على النظام الديني، ثم ما موقف الوسطيين وسط هذا الخضم الموار؟.

والموقف العام السابق الذي استوى في البدايات من عمر الدولة الإسلامية يؤكد مقولة قديمة جديدة هي: ما أشبه الليلة بالبارحة، ومقولة: إعادة التاريخ نفسه: لنرى انفسنا - وجهًا لوجه - منذ بداية العصر الحديث حتى الآن نقف أمام اتجاهات متنوعة متكاثرة متداخلة حينًا، ومتنافرة حينًا، ما بين العلمانية، والفكر الفلسفي بوجوهه ومدارسه وتياراته المتعددة، وما أسفرت عنه الحداثة من تطبيقات ورؤى تجعل من الحداثة حداثات، لا حداثة واحدة.

ومنذ مرحلة الانسلاخ أو الانقطاع عن الدولة العثمانية حتى الآن، نشأت، ونمت، وترعرعت، وتطورت، وتشكلت تيارات واتجاهات ومدارس، وجماعات كثيرة بعضها ذو منحى عربي، وآخر قومي، وأممي، وآخر مازج بين العروبة والإسلام، أو فاصل بينهما، ويساري، وناصري ومن قبل ذلك حيرة السؤال حول مؤشر الاتجاه: أهي الجامعة الإسلامية أم الجامعة العربية؟، والمقابلة الواضحة بين التيار الغربي وتيارات: الإخوان المسلمين، وتيار العروبة القومي، والقومية العربية الرومانسية، والأهم من ذلك كله أن الفكر العربي لم يعش، وما استطاع أن يعيش بمعزل عن الرأي الآخر، والعين القارئة الأخرى، البادية في اهتمامات المستشرقين فرادى، وجماعات منظمة موجهة مدعومة، خالصة لوجه التراث حينًا، أو لوجه آخر غيره أحيانًا، أو للاثنين معًا، وما دور البيئات العربية المتعددة في ذلك كله، وما الحل المطروح؟.

وما دور اتجاه الأدب الإسلامي؟ وما موقع التغريب من ذلك كله في مجتمع صار قرية صغيرة بفعل تنامي وسائل الاتصال وتعاظمها، وتقارب المسافات وتلاحمها؟.

أسئلة وعلامات استفهام كثيرة طرحت نفسها من قبل، وتصدى هذا الكتاب الصريح لمواجهتها، وتسليط الضوء على زواياها وجوانبها بشكل علمي عميق.

وإذا كان العنوان - دائمًا - ثريّ الدلالة في كل عمل، مفيدًا في شرح مضمونه، فإن اعتماد عنوان الكتاب على محورين دالين كبيرين واضحين هما: «التيارات»، و«إشكالية»، لأقوى دليل على ضخامة المحتوى، وسخونة القضايا، وأهمية التناول الصريح لها، وبخاصة أن السؤال المكرر، المطروح دومًا على الساحة النقدية العربية هو حيرة السؤال الأبدي عن «غياب نظرية نقدية عربية»، حتى غدا الحلم بهذا الطيف من أنواع المستحيل، لماذا؟

لأننا ننسى، في تناولاتنا دائمًا، جذور القضية، ونتعجل الوصول إلى رأسها ونتائجها، قبل التعرف إلى أبجدياتها. ومن هنا كانت أهمية الكتاب الذي بين أيدينا، والذي يعنى بالكشف عن الجذور، وعدم الانخداع بالسطح الظاهري، الذي رجع إلى المرجعية الفكرية، وما أسماه «مرجعية الأصول»، وهذا ما يجعلنا نصل مع المؤلف إلى القول بمثل ما انتهى إليه، وقال في ختام بحثه:

«إذا أريد لهذه التيارات أن تنجز المشروع التنموي العربي الإسلامي، فعليها أن تتخذ خطًا وسطًا متسامحًا يقوم على الحوار وتقريب وجهات النظر، والوقوف على النظريات الجديدة والقديمة وتمحيصها، ودراستها دراسة تظهر موافقتها أو عدم موافقتها للبيئة الثقافية العامة، وان تعلم أن الفكر النقدي يقوم على معرفة التيارات المعاصرة، وسألخصها في أربع نقاط:

- تمحيص النظرية الغربية، والأخذ منها ما يتوافق مع الثقافة المحلية، وعرضها على أرض الواقع.

- الابتعاد عن النصوص الموجهة ضد التيارات الأخرى بحماسة وانفعال.

- الرجوع إلى الدراسات التي ناهضت التراث العربي، والنظر فيها من وجهة نظر محايدة، وعدم التسليم بالأقوال التي لبست الصيغة الإسلامية، ورفضت التراث العربي المتعلق بالإسلام من عدد من الوجوه.

- إعادة قراءة الموروث النقدي، واستخلاص ما فيه من نظريات يمكن التعامل بها مع النظريات الأجنبية، والنظريات العالمية الحديثة.

الأمر الذي دعاه إلى أن يختم القول: «بأننا بحاجة إلى دراسات مطولة حول هذا الموضوع، وإلى حوارات مثمرة هادئة، نستطيع من خلالها التوصل إلى إيجاد شخصية أدبية حديثة متفاعلة مع الفكر العالمي، تأخذ وتعطي على أسس علمية، وموقف وسط، تستطيع من خلاله ردم الهوة العميقة التي نتجت من التشدد من الطرفين».

هل يدعو الكتاب إلى الأخذ بالنظرية الوسطية؟.

هل يدعو إلى دقة التفاعل بين ما نسميه دومًا: التراث والمعاصرة - القديم والجديد - التالد والطريف؟.

هل يدعو إلى ما قامت عليه الحضارات الناجحة الخالدة منذ الأزل: تكامل الحضارات لا تصادمها، ولا تناحرها؟.

إن الكتاب ذلك كله. بل ما هو أكثر.

تعاني من هذه المشاكل

لدينا
الحل ...





الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE

تلفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨ ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥ المملكة العربية السعودية E-mail:apph@apph.com.sa

العربات المعلقة

حديقة السفاري

مركز المغامرات

المخيمات البرية

المدينة الترفيهية

مركز الزوار

مخيمات الشباب

نادي الطيران السعودي

ولى الحقائب الاستثمارية... العربات المعلقة، المخيمات العائلية اليومية، المتحف الطبيعي.

من دراسات الجدوى الاقتصادية:

- ثلاثة ملايين زائر سنوياً لمتنزه الثمامة
- ٦٠٠ ألف مستخدم للعربات المعلقة
- ٥٠ عاماً مدة الاستثمار
- ١٥٪ عائد سنوي للحقيبة الأولى

## متنزه الثمامة

www.thumamah.com

للإستفسار، هاتف: ٤٨٨٣٣٣١ -٠١ تحويلة: ١٤٠٧/١٤٣٩/١٤٤٧، فاكس: ٤٨٠٧٠٦٤ -٠١، بريد إلكتروني: thumamah@arriyadh.net

